
قلوبٌ
تهوى العطاء



الطَّبعَة الثَّانِيَة
١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



قلوبٌ تهوى العطاء

الدكتور حسّان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب
في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة
زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن وغلاسجو وإيرلندا
زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب





المحتويات









* * *

المقدمة

العطاء عطاءان.. عطاء من خالق الأكوان.. وعطاء الإنسان للإنسان..

وكيف يمكن لأحدٍ أن يتحدث عمَّا منّ به ذو الجلال والإحسان؟!.

فهو وحده الذي يعطي.. وحده الذي يهب.. يمنح ما يشاء لمن يشاء بلا حساب ولا ميزان..

عمّ نتحدث؟.. عن نعمة الإيمان.. أم عن الأمن والأمان؟..

عن صحةٍ في الأبدان.. أم عن سكينةٍ في النفس والوجدان؟..

عن رحمةٍ بعباده ولطفٍ وغفران.. أم عفوه عمن ضلّ في العصيان؟..

عمَّا أعدّ لِمنْ رضي عنهم في جنة الرضوان..

أم عن حبّه لمن عاش في طاعة الرحمن؟..

وكيف يُقارَن عطاء العبد الفقير.. بعطاء سيد الأكوان؟!.

ولكنه جلّ في علاه يريد من عباده.. أن يعطوا بسخاء وإحسان..

فعطاء الإنسان قوة سحرية تنبض في شرايين الحياة..

هو لسانٌ ينطق بالكلمة الطيبة.. أو الفعل الحسـن فتترك أثراً خيّراً في نفوس الآخرين..

العطاء أن ترسم ابتسامة على شفاهٍ حُرمتْ منها أياماً وأياماً..

العطاء أن تبعث النور في عيونٍ تنظر للحياة بعدسات مظلمة..

العطاء أن تزرع الأمل في نفوسٍ يئستْ من الحياة..

والعطاء أنواع.. فالصفح عمن أساء إليك عطاء..

ودعاؤك لأخيك في ظهر الغيب عطاء..

وعدم الظن به والتماس العذر له عطاء..

والكف عن عرض أخيك عطاء..

وليست روعة الإنسان بما يملك.. بل بما يعطي ويمنح..

فالشمس كتلة من نار محرقة.. لكنها أعطت الكون أجمل ما عندها من دفء ونور..

ومهما كان شعور الأخذ والتلقِّي جميلاً.. إلا أن شعور العطاء والبذل هو أجمل وأرقى..

انظر إلى من حولك.. فكم من الناس من هو بحاجة إلى عطائك..

فليس أروع من أن تأخذ بيد تائهٍ يتخبط في خطواته.. فتوصله إلى طريق الحق والصلاح..

وليس أروع من أن تشعر بمعاناة فقير عزيز النفس.. لا يُظهر حاجته لأحد.. يحمل همّ قوت يومه صباح مساء.. فتعطيه ما يُشعره بأن الدنيا لا زالت بخير.. وأنه لا زال في الناس من يشعر بالغير.. ويحب لهم الخير..

وليس أروع من أن تجلس إلى أمك أو أبيك.. وقد انتابهم شعورٌ بأنهم أصبحوا وحيدين لا يجدون من يجالسهم.. فتعطيهم من وقتك.. تصغي إليهم وهم يحدّثونك أحاديث الذكريات.. تلبي حاجاتهم.. تقضي أمورهم.. فتدخل على قلوبهم السعادة والسرور.. وتكسب منهم الرضا ومن الله القبول..

وليس أروع من أن تدخل على مريض يصارع آلام المرض ويكابد أحزانه.. فتتحدث إليه بكلمة طيبة تزرع في قلبه التفاؤل والأمل.. فتخف آلامه وتنقشع أحزانه..

فهل ذقت بعد هذا لذة العطاء؟.

ويأتي هذا الكتاب استمراراً لما منّ الله عليّ من المنح والعطايا..

فبعد قضاء (٣٦٥) **ليلة** في كتابيّ «**سهرة عائلية في رياض الجنة**» و«**عندما يحلو المساء**».. يطيب السهر مع «**قلوب تهوى العطاء**».. وما يليه «**همسة في أذن زوجين**»..

فنكمل معاً (٣٦٥) **ليلة أخرى**.. وفي كل ليلة موضوع مستقل بصفحتين.. على غرار الكتابين السابقين..

وإن كان في العمر بقية.. فسننهي سوية بإذن الله سلسلة «**ألف ليلة وليلة للأسرة السعيدة**»..

وأخيراً.. فما هذا الكتاب إلا من الله عطاء..

فإن لقيَ القبول فهذا عطاء العطاء..

وإن كان غير ذلك.. فقد أسأتُ إلى العطاء !..

أسأل الله تعالى المغفرة والقبول.. وأن يجعل فيه للناس خيراً ونفعاً..

ورحم الله من قال:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى ... ويبقى الدَّهرَ ما كتبتْ يداهُ

فلا تكتب بخطك غيرَ شيءٍ ... يَسُرّك في القيامة أن تراهُ

اللهم إني أشهدك أني ما كتبت حرفاً.. إلا وابتغيتُ أن يسرّني في القيامة أن أراه..

فلا تنسوني في ظهر الغيب من دعوة صادقة.. فهي عندي أجمل من الدنيا وما فيها...

حسان شمسي باشا

جدة ٢٣ مارس (آذار) ٢٠١٤م

الموافق ٢٢ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ



الليلة ٣٦٦

قلوب ترجو من الله العطاء

عطاء الله سبحانه وتعالى لعباده ليس له حدود.. عطاءٌ للمؤمن والكافر..

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠].

وهذه نِعَمُ الله تترى.. لا تُعَد ولا تُحْصَى..

ولرتابة النعمة وحلولها في وقتِها.. يتعوّدها الإنسان..

ثم يذهل عن المُنعم سبحانه.. فلا يتذكّره إلا حين الحاجة إليه..

وإذا كان العطاء في أمور الدين.. كأن يوفقك الله لقيام ليل وبرٍّ وصدقات..

فهذا مؤشر طيب على حب الله لك..

أما إذا كان العطاء في أمور الدنيا.. فإن الله يعطي الدنيا مَنْ يحب ومن لا يحب..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ اللهَ قسم بينكم أخلاقَكم كما قسم بينكم أرزاقَكم، وإنَّ اللهَ يُعطي الدُّنيا من يُحبُّ ومن لا يُحبُّ، ولا يُعطي الإيمانَ إلَّا من أحبَّ**»(١).

والشكر على العطاء ألا تعصي به من أعطاك..

فإذا استمر العطاء رغم المعاصي فإنما هو استدراج..

---

(١) السلسلة الصحيحة: ٢٧١٤.

فالنبي ﷺ يقول: «إذا رأيتَ اللهَ يُعطي العبـدَ من الدنيا على مَعاصيه ما يُحِبُّ فإنما هو استدراجٌ» ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤][١].

وعندما تعيش في ظلال قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].. وتتذكر عطاء الله في كل حين.. فلا تكبر ولا غرور.. ولا استعلاء على أحد من البشر..

فلا تنسب الفضل أو النجاح.. ولا السمعة أو الغنى إلى نفسك..

بل ردِّد دوماً ومن أعماق قلبك: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٧٠].

لا تستكثر عملك فتراه من نفسك.. إنما عملك منّة من الله عليك..

ولا تغترّ بعملك وتحسبه منجيك يوم الحساب.. يقول رسول الله ﷺ: «لن يُدخِلَ أحداً عملُهُ الجنَّة» قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «لا، ولا أنا، إلَّا أن يتغمَّدَنِي اللهُ بِفَضلٍ ورَحمةٍ، فسدِّدوا وقارِبوا، ولا يَتمَنَّيَنَّ أحدُكمُ الموتَ: إمَّا مُحسِناً فلعلَّهُ أن يزدادَ خيراً، وإمَّا مُسيئاً فلعلَّهُ أن يَستَعتِبَ»[٢].

فاخشَ على نفسك من نفسك.. وعشْ بلمسةٍ من حنان مولاك جلّ في علاه.. أَرجِعِ الفضلَ كلَّه لله.. ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة: ٤].

* * *

(١) السلسلة الصحيحة: ٤١٣.

(٢) رواه البخاري.



ربما أعطاك فمنعك

الليلة ٣٦٧

أختٌ من الأخوات همّت بالسفر للعمرة.. ولكن سفرها تعثّر فحزنت..

وقالت في نفسها: أليس سفري في طاعة؟! فكيف أُمنع منه؟!.

يقول ابن عطاء الله السكندري:

«ربما أعطاك فمنعك..

وربما منعك فأعطاك..

وإذا كشف لك الحكمة في المنع.. عاد المنع عين العطاء»..

أي: ربما أعطاك الله تعالى ما تشتهيه نفسك..

فمنَعَك التوفيق والطاعة والإقبال عليه..

وربما منعك ذلك الأمر أو جزءاً منه..

فأعطاك التوفيق والرضا والقبول..

وهكذا فقد يكون المنع في حقيقته عطاءً!..

والعطاء في جوهره منعاً!..

ولكن كيف يكون المنع في ذاته عطاءً؟.

فحين يرغب أحدنا أمراً فيُحرَم منه عندها يقف.. يُعيد حساباته ويتساءل..

ثمّ يزداد لجوءه إلى الله تعالى ويتمرّغ على بابه.. ويلزم الدعاء لعلّه يصيب بعضاً من رحمة الله..

يقول عطاء بن أبي رباح:

«متى أطلق الله لسانك بالدعاء..

فاعلم أنه يريد أن يُعطيك ما تشاء..

مهما عظم مرادك وعظم مطلبك».

وقد يبتغي الإنسان أشياءَ دنيويّة.. وهي محض شرٍّ له..

ولعدم علمه بالغيب يخال أن كلّ الخير فيها !..

ويستعجل الإنسان بدعاء الخير.. فإذا تأخر ما أراد إذا هو من القانطين..

وما يدري لعل الله ادّخر له خيراً مما سأل.. وأعطاه أفضل مما أراد !.

ولو اطلعتم على الغيب لوجدتم ما فعل ربكم خيراً..

أمّا أن يريد الإنسان أمراً دينيّاً وطاعةً يتقرّب بها إلى الله ﷻ فيُمنَع..

فلا بد من التوقف برهةً ينقّب عن أسرارٍ توارَت عنه !

فلربما كان هناك ذنبٌ أصرّ عليه.. أو كلمة قالها ولم يلقِ لها بالاً..

أو موقف غلبت عليه شهوة.. أو علاقة مشبوهة..

أو مظلمةٌ عند ضعيف دعا عليه.. أو أبوان لم يبرّهما..

وحين يفهم الإنسانُ لِمَ حُرِم حتى من الطاعة التي قد تصاحِبها معصية..

يرضى بل ويفرح لأنه يمشي بنور الله...

فما أشقاك الله إلا ليسعدك..

وما أخذ منك إلا ليعطيك..

وما أبكاك إلا ليضحكك..

وما حرمك إلا ليتفضل عليك..

وما ابتلاك.. إلا لأنه «أحبك»..



الليلة ٣٦٨

التلذُّذ بالعطاء

التلذُّذ بالأخذ يشــترك فيه معظم البشــر.. لكن التلذُّذ بالعطاء لا يعرفه سوى العظماء وأصحاب الأخلاق السامية..

يقول أحد الصالحين: في كل مرة أعطيتُ.. شــعرتُ أنني أخذتُ نفس الذي أعطيت..

لأن فرحتي بما أعطيتُ.. لم تكن أقل من فرحة الذين أخذوا..

فبهجة العطاء تفوق لذة الأخذ..

ونحن عندما نُعطي.. في الواقع لا نعطي.. ولكننا نأخذ..

نأخذ تلك المشــاعر الممتنّــة.. والدعوات المخلصــة.. ممّن أمددناهم بعطائنا..

فنسقي بها قلوباً عطشــى إلى رحمــة الله.. ونفوساً ظمــأى إلى جوده وكرمه..

وعندما تكون دائم العطاء.. ستشعر أنك تستمدُّ من ربِّ العزة والجلال ـ وبفضل من الله تعالى ـ إحدى أسمى صفاتــه.. ألا وهي صفة الجود والكرم..

فأصحاب اليد العليا هم رمــوز كل عصر.. يجودون بمالهم.. ويضحُّون بالغالي والنفيس بقلوب راضية..

يقدّمون راحة غيرهم على راحتهم وهنائهم.. ويسعون في قضاء حوائج الناس..

تعرفهم بسيماهم.. قلوبٌ هادئة.. وابتسامة راضية.. ونفوس مطمئنة..

هم أسعد أهل الأرض.. ولهم في السماء ذكرٌ حسن.. وأجر عظيم..

فذق لذة العطاء.. وإياك أن تحرم منها نفسك..

فمن كان جاهلاً بشيء أنت تعلمه.. فلا تبخل عليه بعلمك..

ومن كان عاجزاً عن فعل شـــيء أنت تقدر عليه.. فساعده بما أنت عليه قادر..

وتذكَّر أنك بقدر ما تعطي.. ستلقى عليه الجزاء من الله.. ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠]..

يقول ﷺ: «**أَحَبُّ العِبادِ إلى اللهِ تعالى أَنْفعُهُمْ لِعيالِهِ**»[١]..

والله يحب منهم من يكون نافعاً لهم ومعطاءً..

وإن كنتَ نسيتَ جميلاً أسديتَه إلى أحد من خلق الله.. فإن الله لا ينسى جميلك..

لَا تُعْطِ شَـــيْئاً لِتُعْطَى أَكْثَر مِنْهُ ـ رغم أنه مباح لعامة الناس ـ ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]..

ولَا يَكْثُر عَمَلك فِي عَيْنك.. فَإِنَّهُ فِيمَا أَنْعَمَ الله عَلَيْك وَأَعْطَاك قَلِيل.

وإن كنتَ تعطي الناس على قدرك.. فإن الله سيعطيك على قدره..

ومن لا يعطي.. فوجوده وعدمه سواء..

وعلى قدر عطائك يفتقدك الآخرون..

ولا تنسَ وأنت تعطي أن تدير ظهرك عن من تعطيه..

كي لا ترى حياءه عارياً أمام عينيك..

---

(١) صحيح الجامع: ١٧٢.



أيهما أكثر إسعاداً؟

الليلة ٣٦٩

• يروى أن طالباً وشيخه كانا يمشيان بين الحقول فشاهدا حذاء قديماً..

اعتقدا أنه لرجل فقير يعمل في أحـــد الحقول القريبة.. وأنه سيعود إليه بعد انتهاء عمله..

التفتَ الطالب إلى شيخه وقال: هيا بنا نمازح هذا العامل فنخبئ حذاءه..

ونختبئ وراء الشجيرات.. وعندما يأتي ليلبسه لا يعثر عليه فنرى دهشته وحيرته!..

أجابه الشـــيخ: «لا ينبغي يا بنيّ أن نسلّي أنفسنا على مشـــاعر الفقراء المساكين !..

وأنت غنيّ يمكنك أن تجلب لنفسك مزيداً من السعادة بأن تضع قطعاً نقدية داخل حذاءه.. ونختبئ لنشاهد مدى تأثير ذلك عليه».

أُعجب الطالب بالاقتراح وقام بوضع قطع نقدية في حذاء ذلك العامل..

ثم اختبأ هو وشيخه خلف الشجيرات ليريا ردة فعل ذلك العامل الفقير..

وبعد برهة جاء عامل رث الثياب أنهى عمله في المزرعة ليأخذ حذاءه..

فوجئ العامل عندما وضع رجله في الحذاء أن هناك شيئاً داخله !..

وعندما أخرجها وجدها قطعاً من النقود.. وكذلك وجد في الحذاء الآخر..

نظر مليّاً إلى النقود وكرر النظر ليتأكد أنه لا يحلم..

نظر في كل اتجاه فلم يجد أحداً حوله..

وضع النقود في جيبه وهو يبكي.. ثم نظر إلى السماء مخاطباً ربه..
وهو يقول: أشـــكرك يا رب !.. لقد علمتَ أن زوجتي مريضة وأولادي جياع لا يجدون الخبز.. فأنقذْتني وإياهم من الهلاك !..
ظلّ يبكي ويبكي طويلاً شاكراً لهذه المنحة من السماء..
تأثر الطالب كثيراً.. وامتلأت عيناه بالدموع..
عندها قال له شيخه: ألستَ الآن أكثر سعادة من اقتراح تخبئة الحذاء؟!.
أجابه الطالب: لقد تعلمتُ درساً لن أنساه ما حييت..
لقد فهمتُ الآن معنى عبارة ما فهمتها من قبل: «**عندما تعطي ســـتكون أكثر سروراً من أن تأخذ**»!..

• وإن لم يكن عندك مـــا تعطيه.. أعطِ ابتسامة طيبة.. أو عبارة تُفرح بها قلبَ غيرك..

فالسعادة الحقيقية هي في العطاء وليس الأخذ..
فما المرءُ إلا كثمرة إذا نضجتْ واحلوّت.. كان عليها أن تهبَ حلاوتها للآخرين..
فإن هي أمسكت حلاوتها على نفسها كان ذلك سبب عفنها وفسادها..
تعلّموا العطاء حتّى في ظروفكم الخانقة..
تعلّموا كيف تهدون النّور لمن حولكم..
وإن كانت خفاياكم حالكة!..
تعلّموا أن تهبوا لأحبابكم ابتسامة.. وإن كنتم تبكون !..
ابذلوا، فثواب العطاء سيمسح متاعبكم..
ويخبئ لكم فرجاً من حيث لاتحتسبون..



الليلة ٣٧٠

من يعايش الحب؟

• سُئل أحد الحكماء يوماً: ما الفرق بين من يتلفّظ الحب وبين من يعايشه؟.

فقال الحكيم: سترون الآن..

دعاهم إلى وليمة وبدأ بالذين لم تتجاوز كلمة المحبة شفاههم.. ولم تدخل بعدُ إلى قلوبهم..

ثم أحضر لهم الحساء وسكبه لهم..

وأحضر لكل واحد منهم ملعقة طولها «متر» كامل !..

اشترط عليهم أن يحتسوه بهذه الملعقة العجيبة!..

حاولوا جاهدين لكنهم لم يفلحوا.. فلم يستطع أحد منهم أن يوصل الحساء إلى فمه دون أن يسكب معظمه على الأرض !..

وقاموا جائعين في ذلك اليوم!..

ثم دعا الذين يحملون الحب في قلوبهم إلى نفس المائدة..

أقبلوا والنور يتلألأ على وجوههم.. وقدّم لهم الملاعق الطويلة نفسها !.

أخذ كل واحد منهم ملعقته وملأها بالحساء.. ثم مدّها إلى جاره الذي بجانبه فاحتساها..

وهكذا شبع الجميع وحمدوا الله على ما رزقهم..

عندها وقف الحكيم وقال:

«من يفكر على مائدة الحياة أن يُشبع نفسه فقط.. فسيبقى جائعاً..

ومن يفكر أن يُشبع أخاه.. فسيشبع الاثنان معاً»!..

• فهلّا تعلّمنا كيف نشارك إخواننا أفراحهم وأتراحهم؟.

يقول ﷺ: «**لا يُؤمن أحدكم حتّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبّ لنفسه**»[١]..

• سُئِلَ حكيم: أيّ خيرٍ يستطيع فعله كل الناس؟.

قال: «حُبُّكَ الخير للناس»..

• وحب الخير للناس موهبة ربانية..

يقول ابن عباس رضي الله عنهما متحدثاً بنعمة الله عليه في ثلاث خصال:

«ما نزل غيث بأرض.. إلّا حمدتُ الله وسررتُ بذلك وليس لي فيها شاة ولا بعير..

ولا سمعتُ بقاض عادل.. إلّا دعوتُ الله له وليس عنده لي قضية..

ولا عرفتُ آيةً من كتاب الله.. إلّا وددتُ أنّ النّاس يعرفون منها ما أعرف».

إنّه حبّ الخير للنّاس، حبٌّ منزّه عن كلّ مصلحة وأنانية.. حبٌّ طاهر ينبع من صدق الإيمان..

يقول رسول الله ﷺ: «**وانظر ما تُحبُّ للناسِ أن يأتوه إليك فافعله بهم، وما تكره أن يأتوه إليك فذَرْهم منه**»[٢]..

* * *

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الجامع: ١٠٣٩.



الليلة ٣٧١

رسالة إلى كلِّ أبوين..

• طلبت المعلمة من طلبتها في المدرسة الابتدائية أن يكتبوا موضوعاً يطلبون فيه من الله أن يعطيهم ما يريدون..

وبعد العودة إلى منزلها جلست تقرأ ما كتبوا..

أثار عاطفتها موضوع.. فدمعت عيناها..

صادف ذلك دخول زوجها البيت.. فسألها: ما يبكيكِ يا حبيبتي؟.

فقالت: موضوع التعبير الذي كتبه أحد الطلبة.. اقرأه بنفسك!.

فأخذ يقرأ:

«إلٰهي، أسألك هذا المساء طلباً خاصّاً جدّاً! اجعلني تلفازاً!..

فأنا أريد أن أحلّ محله! أريد أن أعيش مثله.. لأحتل مكاناً خاصّاً في المنزل!..

فتتحلَّق أسرتي حولي.. ويأخذون كلامي مأخذ الجد!..

وأصبحُ مركز اهتمامهم.. فيسمعونني دون مقاطعة أو توجيه أسئلة!..

أريد أن أتلقى العناية التي يتلقاها التلفاز حتى عندما لا يعمل..

أريد أن أكون بصحبة أبي عندما يصل إلى البيت من العمل، حتى وهو تَعِب..

أريد من أمي أن ترغب فيَّ حتى وهي مهمومة أو حزينة..

أريد من إخوتي وأخواتي أن يتخاصموا ليختار كل منهم صحبتي..

أريد أن أشعر بأن أسرتي تترك كل شيء جانباً.. لتقضي بعض الوقت معي!..

وأخيراً وليس آخراً.. أريد منك يـــا إلٰهي أن تجعلني أستطيع إسعادهم..
وأن أرفِّه عنهم جميعاً..

يا ربِّ إني لا أطلب منك الكثير..

أريد فقط أن أعيش مثل أي تلفاز»..

انتهى الزوج من القراءة فقال: يا إلٰهي، إنه فعلاً طفل مسكين! ما أسوأ أبويه!..

فبكت المعلمة مرة أخرى.. وقالت: **إنه الموضوع الذي كتبه ولدنا!..**

• فيا أحبتي! ربّوا أبناءكم بالحب لا بالعقاب..

كونوا لطيفيــن معهم.. حاوروهم.. مازحوهم.. وتفاعلوا مع مشـــاعرهم وأحاسيسهم..

أظهروا السرور لفرحهم.. والحزن لآلامهم..

تابعوهم أولاً بأول.. راقبوا سلوكهم خفية عنهم.. فإن ذلك يعينكم على معرفة ما ينطوون عليه.. وما في أنفسهم يخبّئون..

لا تكثروا مــن التهديد والعقــاب.. بل الجؤوا إلى أسلــوب التحفيز.. وروّحوا عن أولادكم مرة بعد مرة بالمكافآت والهدايا..

خاطبوهم باللغة التي يفهمون ويألفون..

أدخلوا السرور على حياتهم.. واحرصوا علــى تسليتهم بما هو مباح.. ففي ذلك أجر ومثوبة من الله..

واستغلوا تلك اللحظات من البهجة والفرح.. لتوجّهوا كيف تشــاؤون.. وتزرعوا من القيم والأفكار ما تريدون.

* * *



الليلة ٣٧٢

قد رضيت.. قد رضيت!

• «يُروى أن رجلاً فقيراً كان يمشي في طرقات المدينة يوم العيد..

رأى الناس تأكل اللحم.. فتحسّر على نفسه.. وقرر الرجوع إلى البيت..

وجد زوجته قد حضّرت طعام العيد.. وليس عندها سوى الفول..

فقالت له: كل عام وأنتَ بخير يا زوجي العزيز!..

ردّ والغصة في حلقه: وأنتِ بخير!.

أخذ يأكل الفول ويرمي قشره من النافذة وهو يقول:

لماذا كل الناس يأكلون اللحم في العيد وأنا آكل الفول؟!.

ضاقت به الدنيا ونزل إلى الشارع.. فرأى رجلاً كان يجلس تحت نافذة بيته يلملم قشر الفول ثم يأكله!.. وهو يقول: الحمد لله الذي رزقني من غير حول مني ولا قوة.

دمعتْ عينا الفقير وقال: قد رضيت يا رب.. قد رضيت يا رب!».

• فالرحمة الرحمة.. يا أغنياء المسلمين بإخوانكم الضعفاء والمساكين..

فمنكم اليوم من يعيش حياة الترف والسرف..

ومنكم من يرمي بالطعام في سلال المهملات!..

تذكّروا وأنتم تأكلون.. أن في بلاد الإسلام إخواناً لكم..

محرومين أو نازحين أو مشردين..

سيأخذون بتلابيب أعناقنا يوم الدين..

ويقولون: سلْهم يا رب.. ماذا فعلوا من أجلنا ؟.

خفِّفوا من كربهم.. أحسنوا إليهم..

يحسن الله إليكم.. ويُجزل مثوبتكم..

خففوا وطأتكم.. كونوا سباقين للخير..

سباقين لجنة عرضها السماوات والأرض..

فالصدقة ! كنـزٌ لا تصل إليه الأيـدي.. وذُخرٌ لا تخـاف عليه حوادث الأيام !.

• يقول **ابن مسـعود** رضي الله عنه: «إن استطعت أن تجعل كنزك حيث لا يأكله السوس، ولا تناله اللصوص؛ فافعل بالصدقة».

وكان **سفيان الثوري** ينشرح إذا رأى محتاجاً في طريقه.. ويقول: «مرحباً بمن جاء يغسل ذنوبي»!.

وكان **الفضيل بن عياض** يقول: «نِعمَ المحتاجون.. يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة ! حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى!».

هكذا كان فهم العلماء الربانيين للصدقـة.. فهل خطر هذا المعنى على بالنا ؟!.

واستمعوا إلى **عمر بن عبد العزيز** رحمه الله وهـو يقول: «انثروا القمح على رؤوس الجبال؛ لكي لا يقال: جاع طير في بلاد المسلمين»! هكذا قال! خوفاً من أن يموت الطير جوعاً في بلاد المسلمين !.

وأقول: لقد جاع المسلمون يا عمر.. قبل أن يجـوع الطير.. فماذا نحن فاعلون؟..

* * *



الليلة ٣٧٣

لا تطرقوا المسامير في القلوب!

• كان هناك طفل يصعب إرضاؤه ويفقد أعصابه عندما يختلف مع أقرانه..
أعطاه والده كيساً مليئاً بالمسامير وقال لـــه: قم بطرق مسمار واحد في سور الحديقة في كل مرة تفقد فيها أعصابك أو تختلف مع أي شخص..
في اليوم الأول قام الولد بطرق (٣٧) مسماراً في سور الحديقة..
وفي الأسبوع التالي تعلم الولد كيف يتحكم في نفسه..
فكان عدد المسامير التي توضع يوميّاً ينخفض..
اكتشف الولد أنه تعلم بسهولة كيف يتحكم بنفسه..
وذلك أسهل من الطرْق على سور الحديقة..
وأخيـــراً أتى اليـــوم الذي لم يطـــرق فيه الولـــد أي مسمـــار في سور الحديقة !..
عندها ذهب ليخبر والده أنه لم يعد بحاجة إلى أن يطرق أي مسمار..
قال له والده: الآن قم بخلع مسمار واحد عن كل يوم يمر بك دون أن تفقد أعصابك..
مرت الأيام وقد قام بخلع كل المسامير من السور..
عندها أخذه والـــده إلى السور وقال له: يا بنيّ قـــد أحسنت التصرف..
ولكن انظر إلى هذه الثقوب التي تركْتها في السور.. فلن تعود أبداً إلى ما كانت عليه..

• فعندما تحدث بينك وبين الآخرين مشادة أو اختلاف..

وتخرج منك بعض الكلمـات السيئة.. فأنت تترك فـي قلوبهم جرحاً كتلك الثقوب التي تراها.

فلا تجرحوا من أسكنوكم في قلوبهم بكلمات نابية..

لا تنسَوا تلك اللحظات الجميلة التى كانت فيما بينكم..

لا تقطعوا أواصر المحبة.. واتركوا طريق العودة مفتوحاً على مصراعيه..

• يقول الشيخ **علي الطنطاوي** رَحِمَهُ اللهُ:

«وقع مرة بيني وبين صديـق لي ما قد يقع مثله بيـن الأصدقاء، فأعرض عني وأعرضت عنه، ونأى بجانبه ونأيت بجانبي، ومشى بيننا أولاد الحلال بالصلح، فنقلوا مني إليه ومنه إلي، فحولـوا الصديقين ببركة سعيهما إلى عدوين، وانقطع ما كان بيني وبينه، وكان بيننا مودة ثلاثين سنة.

وطالت القطيعة وثقلت علي، ففكرت يوماً في ساعة رحمانية، وأزمعت أمراً.. ذهبت إليه فطرقت بابه، فلما رأتنـي زوجه كذبت بصرها، ولما دخلت تنبئه كذب سمعه، وخرج إلي مشـدوهاً! فما لبثت حتى حييته بأطيب تحية كنت أحييه أيام الوداد بها، واضطر فحياني بمثلها، ودعاني فدخلت، ولم أدعه في حيرته، فقلت له ضاحكاً: لقد جئت أصالحك!.

وذكرنا ما كان وما صار، وقال وقلت، وعاتبني وعاتبته، ونفضنا بالعتاب الغبار عن مودتنا، فعادت كما كانت، وعدنا إليها كما كنا.

وأنا أعتقد أن ثلاثة أرباع المختلفين لو صنع أحدهما ما صنعت لذهب الخلاف، ورجع الائتلاف، وإن زيارة كريمة قد تمحو عداوة بين أخوين كانت تؤدي بهما إلى المحاكم والسجون..

إنهـا والله خطوة واحدة تصلـون بها إلـى أنس الحـب، ومتعة الود، وتسترجعون بها الزوجة المهاجرة، والصديق المخالف.. فلا ترددوا»..



الليلة ٣٧٤

أي طائر أنت؟

• يُروى أن «**شــقيق البلخي**» عزم على السفر في تجارة.. فودَّع شــيخه إبراهيم بن أدهم ثم سافر..

وفيما كان في طريقه في الصحراء رأى طائراً أعمى وجناحه مكسور..

وقف «شقيق» يتأمل الطائر ويتساءل: كيف يجد هذا الطائر رزقه في هذا المكان المنقطع؟.

لم يمضِ وقت طويل حتى جاء طائر آخر.. فأطعم الطائرَ كسيرَ الجناح وسقاه!..

تعجب «شقيق» من هذا المشــهد وأثّر فيه.. فقال في نفسه: إذا كان الله تعالى يرزق هــذا الطائر الكسير الجناح ولم يهملــه.. فلماذا أذهبُ في التجارة؟! ولماذا العناء والسفــر وأنا في هذا السن؟! سأرجع إلى بيتي وسيرزقني الله وأنا في بيتي!.

عاد «شقيق» إلى بيته.. ولما زاره شيخه إبراهيم بن أدهم قال له الشيخ: لماذا عدتَ يا شقيق؟.. ألم تذهب للتجارة؟.

فقص عليه القصة..

عندها قال له إبراهيم: «سبحان الله يا شقيق!.. لماذا رضيتَ لنفسك أن تكون الطائرَ الأعمى العاجز الذي ينتظر عون غيره؟..

لماذا لا تكون أنت الطائــرَ الآخر الذي يسعى ويكــدح.. ويعود بثمار ذلك العمل على من حوله؟!.

أما علمتَ أن النبي ﷺ يقول: «**اليدُ العُلْيَا خيرٌ من اليدِ السُّفْلَى، وابدأْ بمن تَعُولُ**»[١]؟.

• وقد جعل الإسلام العمل أفضل من الانقطاع للعبادة.. وجعل السّاعي على المنقطع للعبادة أفضل منه درجة..

ورد أنّ جماعة قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: إنّ فلاناً يصوم النّهار ويقوم الليل ويكثر الذّكر، فقال رسول الله ﷺ: «**أيكم يكفيه طعامه وشرابه؟**» قالوا: كلّنا، قال: «**كلّكم خير منه**»[٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحنُ مع رسولِ اللهِ ﷺ إذ طلع شابٌّ من الثَّنيَّةِ، فلما رأيناه رَميْناه بأبصَارِنا، فقلنا: لو أنَّ هذا الشابَّ جَعل شبابَه ونشاطَه وقوتَه في سبيلِ اللهِ! فَسَمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ مقالتَنا فقال:

«**وما سبيلُ اللهِ إلا مَن قُتِلَ؟! مَن سعى على والدَيْهِ ففي سبيلِ اللهِ..**

ومَن سعى على عيالِه ففي سبيلِ اللهِ..

ومَن سعى على نفسهِ لِيَعُفَّها فهو في سبيلِ اللهِ..

ومَن سعى مُكَاثِراً ففي سبيلِ الطاغوتِ»[٣].

فكن يا أخي الطائرَ المبصر.. كن من يعمل بجد وإخلاص ويعود بالخير على الآخرين..

ما أجمل أن تقدم ما عندك لإسعاد الآخرين.. إسعاد من هم إخوتك في الله..

* * *

(١) رواه البخاري.

(٢) هذا الحديث جاء من طرق صحيحة كما في مراسيل أبي داود وسنن سعيد بن منصور وغيرهما.

(٣) السلسلة الصحيحة: ٢٧٢/٥.



الليلة ٣٧٥

وَحِّدوا ولا تفرِّقوا..

• كان هناك أخوَان متحابان يعيشان في توافق تام في مزرعتهما..

يزرعان معاً ويحصدان معاً.. كل شـــي مشـــترك بينهما.. حتى جاء يوم شبّ خلاف بينهما..

بدأ الأمر بسوء تفاهم.. ولكن رويداً رويداً اتسعت الهوة واحتد النقاش..

تبع ذلـــك صمت أليم استمر لأسابيع وأشـــهر.. حتـــى انقطعت الصلة بينهما..

وذات يوم طرق شـــخصٌ باب الأخ الأكبر.. كان الطـــارق عاملاً ماهراً يبحث عن عمل..

أجابه الأخ الأكبر: لدي عمل لك.. هل ترى الجانب الآخر من النهر؟.. فهناك يقطن أخي الأصغر.. لقد أساء إلي وأهانني.. وانقطعت كل صلة بيننا..

سأريه أنني قادر على الانتقام..

انظر إلى قطع الحجارة التي بجوار المنـــزل.. أريدك أن تبني بها سوراً عالياً.. فأنا لا أريد رؤيته ثانية..

أجابه العامل: أعتقد أني فهمت ما تريد!.

أعطى الأخُ الأكبر للعامل كل الأدوات اللازمـــة للعمل... ثم سافر في شأنٍ ما أسبوعاً كاملاً..

وعند عودته كان العامل قد أنهى البناء... ولكن يا لها من مفاجأة!.

فبدلاً من إنشاء سـورٍ يحجب بين الأخوين.. بنى جسـراً يجمع بين طرفي النهر !.

في تلك اللحظة خرج الأخ الأصغر من منزله وجرى صوب أخيه قائلاً: يا لك من أخ رائع !..

تبني جسراً بيننا رغم كل ما بدر مني ! إنني حقّاً فخور بك..

وبينما كان الأخوان يحتفلان بالصلح أخذ العامل يجمع أدواته استعداداً للرحيل...

قال له الأخوان بصوت واحـد: لا تذهب ! انتظر ! فقد وجدنا لك عملاً عندنا.

فأجاب: كنت أود البقاء معكما.. لكن **عليّ أن أذهب إلى مكان أستطيع عنده أن أبني جسوراً أخرى!..**

• فكونوا بناة للجسور بين الناس..

وإياكم أن تبنوا حواجز وجُدراً للتفريق..

كونوا ممن يوحّد بين الناس ويؤلّف قلوبهم..

يقول رسـول الله ﷺ: **«ألا أخبرُكـم بأفضلِ من درجةِ الصيـامِ والصلاةِ والصدقةِ؟»** قالـوا: بلى، قال: **«إصـلاحُ ذاتِ البينِ، وفسـادُ ذاتِ البينِ الحالِقةُ»**[(١)].

قال الأوزاعي: ما خطوة أحب إلـى الله ﷻ من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار..

* * *

(١) صحيح أبي داود: ٤٩١٩.



ساعة من وقتك!

الليلة ٣٧٦

عاد الأب إلى بيته متأخراً من عمله كالعادة وقد أصابه الإرهاق والتعب، وجد ابنه الصغير ينتظره عند الباب..

الابن: هل لي أن أطرح عليك سؤالاً يا أبي؟.

الأب: طبعاً.. تفضل..

الابن: كم تكسب من المال في الساعة يا أبي؟.

الأب غاضباً: هذا ليس من شـأنك، ما الذي يجعلـك تسأل مثل هذه الأسئلة السخيفة؟!.

الابن: فقط أريد أن أعرف.. أرجوك يا أبي أخبرني كم تكسب من المال في الساعة؟.

الأب: إذا كنت مصرّاً... (٣٠) ديناراً في الساعة..

الابن: ممكن تقرضني (١٠) دنانير من فضلك يا أبي؟.

الأب ثائراً: إذن كنت تريد أن تعرف كم أكسب من المال لكي أعطيك (١٠) دنانير تنفقها على الدمـى السخيفة والحلوى! اذهب إلى غرفتك ونمْ فأنا أعمل طوال اليوم وليس لدي وقت لهذه التفاهات..

لم ينطق الولد بأي كلمة، نزلـت دمعة من عينه وذهب إلى غرفته لكي يخلد إلى النوم..

وبعد ساعة من الزمن شـعر الأب بأنه كان قاسياً مع طفله، فربما كان الصبي بحاجة للدنانير العشرة..

ذهب إلى غرفة ابنه، وفتح الباب.. ثم قال: هل أنت نائم؟.

فردّ الابن: لا يا أبي ما زلت مستيقظاً..

قال له أبوه: لقد كنتُ قاسيـاً معك.. كان اليوم طويلاً وشـاقّاً.. تفضل فهذه العشرة دنانير التي طلبتها..

فرح الابن فرحاً شديداً.. لكن الأب فوجئ بالصغير يأخذ مجموعة من الدنانير من تحت الوسادة ويضعها مع هذه العشرة دنانير.

غضب الأب وسأله: لماذا طلبتَ مالاً ما دمتَ تملك المال؟.

ردّ الابن ببراءة: لم يكن لدي ما يكفي.. أما الآن فقد أصبح لدي (٣٠) ديناراً...

أريد أن أشتري بها ساعة من وقتك نقضيها سويّاً !..

كم منا من آباء وأبناء لا يعلم قيمة تلـك الأوقات التي نقضيها معاً إلا عند رحيل أحدهم؟!.

رتّبوا اجتماعاً عائليّاً كل أسبوع على الأقل.. على العشـاء مثلاً أو على الغداء..

اقضوا فيه وقتاً لطيفاً وممتعاً.. العبوا أو أعدّوا وجبة معاً..

اجمع عائلتك حولك.. واعمل على زيادة ترابطها.. فما من أحد سينسى تلك الساعات..

* * *



الليلة ٣٧٧

ثماني مرات.. كذبت أمي عليّ[1]! (١)

بدأت القصة عند ولادتي، فكنت الابن الوحيد في أسرة شديدة الفقر.. فلم يكن لدينا من الطعام ما يكفينا[1]..

• وإذا وجدنا في يوم من الأيـــام بعضاً من الأرز لنأكل ما يسد جوعنا.. كانت أمي تعطيني نصيبها.. وتحوِّل الأرز مـــن طبقها إلى طبقي وهي تقول: يا ولدي تناول هذا الأرز، فأنا لست جائعة..

كانت هذه **كذبتها الأولى**!..

• وعندما كبرتُ قليلاً كانت أمي تذهب للصيد في نهر قريب..

استطاعت مـــرة بفضل الله أن تصطـــاد سمكتين.. أسرعـــتْ إلى البيت وأعدت الغذاء ووضعتْ السمكتين أمامي..

بدأتُ بتناول السمكة الأولى شيئاً فشـــيئاً، وكانت أمي تتناول ما تبقى من اللحم حول العظام والشوك، فاهتز قلبي لذلك..

وضعتُ السمكة الأخرى أمامها لتأكلها، فأعادتهـــا أمامي فوراً وقالت: يا ولدي تناول هذه السمكة أيضاً، ألا تعرف أني لا أحب السمك؟!..

وكانت هذه **كذبتها الثانية** !..

• وعندمـــا كبرتُ كان لا بـــد أن ألتحق بالمدرسة، ولـــم يكن معنا من المال ما يكفي مصروفـــات الدراسة.. فأخذت تدور على المنازل وتبيع

(١) الدكتور مصطفى العقاد: ثماني مرات: كذبت أمي عليّ (بتصرف).

الملابس في البيوت..

وفي ليلة ممطرة باردة، تأخرت أمـــي في العمل.. فخرجتُ أبحث عنها في الشوارع المجاورة..

وجدتُها تحمــل البضائع وتطرق أبواب البيــوت، فناديتها: أمي، تعالي نعود إلى المنزل فالوقت متأخر والبرد شديد..

ابتسمت أمي وقالت: يا ولدي أنا لست مرهقة !..

وكانت هذه **كذبتها الثالثة** !..

• وفي يوم الامتحان أصرّت أمي على الذهاب معي إلى المدرسة..

دخلتُ أنا ووقفت هي تنتظر خروجي في حرارة الشمس المحرقة..

وعندما قرع الجرس خرجتُ فاحتضنتني بقوة ودفء..

وجدتُ معها كوباً من العصير اشترتْه كي أتناوله عند خروجي..

شربْته من شدة العطش حتى ارتويت..

وفجأة نظرتُ إلى وجهها فرأيتُ العرق يتصبب منه..

أعطيتُها الكوب فوراً وقلت لها: اشـــربي يا أمي، فردّتْ: اشــرب أنت يا ولدي.. فأنا لست عطشى !..

وكانت هذه **كذبتها الرابعة** !..

• وبعد وفاة أبي كان على أمي أن تعيش حياة الأم الأرملة الوحيدة..

وعندما رأى الجيران حالتنا تتدهور من سيِّــئ إلى أسوأ.. نصحوا أمي بأن تتزوج رجلاً ينفق علينا فهي لا زالــت صغيرة، ولكن أمي رفضت الزواج قائلة: أنا لست بحاجة إلى الحب !..

وكانت هذه **كذبتها الخامسة** !..



الليلة ٣٧٨

ثماني مرات.. كذبت أمي عليّ ! (٢)

• وبعدما انتهيتُ مـــن دراستي وتخرجتُ مـــن الجامعة، حصلتُ على وظيفة جيدة..

اعتقدتُ أن هذا هو الوقـــت المناسب لكي تستريح أمـــي.. وتترك لي مسؤولية الإنفاق على المنزل..

ولم يعد لديها من الصحة حينئذ ما يعينها على أن تطوف بالمنازل !..

فكانت تفرش فرشاً في السوق وتبيع الخضراوات كل صباح..

فلما رفضتْ أن تترك العمل.. خصصتُ لها جزءاً من راتبي، فرفضتْ أن تأخذه قائلة:

احتفظ بمالك يا ولدي فإن معي من المال ما يكفيني..

وكانت هذه **كذبتها السادسة** !..

• وبجانب عملي واصلتُ دراستي كي أحصل على درجة الماجستير..

وبالفعل نجحت وازداد راتبي..

منحتني الشـــركة التي أعمل بها الفرصة للعمـــل بالفرع الرئيس لها في أوربة، فشعرت بسعادة بالغة..

بدأتُ أحلم ببدايـــة جديدة وحيـــاة سعيدة.. وبعدما سافـــرت وتهيأت الظروف.. اتصلتُ بأمـــي أدعوها لكي تأتي للإقامـــة معي.. ولكنها لم تحب أن تضايقني..

وقالت: يا ولدي أنا لست معتادة على المعيشة المترفة !.

وكانت هذه **كذبتها السابعة** !..

• كبرت أمي وأصبحت في سن الشيخوخة.. وأصابها مرض السرطان..

كان ينبغي أن يكون بجانبها من يمرضها.. ولكن ماذا أفعل فبيني وبين أمي الحبيبة بلاد.. تركت كل شيء وذهبت لزيارتها في منزلنا، فوجدتها طريحة الفراش بعد إجراء العملية.. وعندما رأتْني حاولت أمي أن تبتسم لي.. لكنها كانت هزيلة وضعيفة جدّاً..

كاد قلبي يحترق.. وانهمرت الدموع من عينيّ.. ولكن أمي أخذت تواسيني وهي تقول:

لا تبكِ يا ولدي فأنا لا أشعر بالألم.

وكانت هذه **كذبتها الثامنة** !..

وما أن تفوّهت بتلك الكلمات حتى أغلقت عينيها.. ولم تفتحْهما بعدها أبداً..

• فإلى كل من ينعم بوجود أمه في حياته..

حافظ على هذه النعمة قبل أن تحزن على فراقها..

وإلى كل من فقد أمه الحبيبة..

تذكر دائماً كم تعبتْ من أجلك..

فلا تنْسَها من دعائك أبداً..

* * *



كلاب وفيّة..

الليلة ٣٧٩

• «يُروى أن ملكاً أمر بتربية عشرة كلاب وحشية.. يرمي إليها أيّ وزير يخطئ.. فتنهشه وتأكله بشراهة !..

وذات يوم أبدى أحد الوزراء رأياً لم يعجبِ الملك.. فأمر برميه للكلاب !..

فقال له الوزير: لقد خدمْتُك عشر سنوات.. ثم تفعل بي هذا؟!..

طلب الوزير من الملك أن يمهله عشرة أيام قبل تنفيذ الحكم.. فوافق..

قام الوزير بالاعتناء بالكلاب وإطعامها وتغسيلها كل يوم..

وبعد مرور عشرة أيام جاء تنفيذ الحكم بالوزير..

زُجّ به في السجن مع الكلاب.. والملك ينظر إليه مع الحاشية..

دُهش الملك مما رأى.. فقد جاءت الكلاب تجلس عند قدميّ الوزير وتتودد إليه..

فقال الملك: ماذا فعلتَ للكلاب؟..

فقال الوزير: **لقد خدمتُ الكلاب عشرة أيام فقط.. فلم تنسَ لي هذه الخدمة..**

وخدمتُك عشر سنوات.. فنسيتَ كل ذلك بلحظة واحدة..

طأطأ الملك رأسه.. وأمر بالعفو عنه !»..

• فلا تنكروا العِشْرة فيما بينكم بسبب موقف عابر لم يعجبْكم..

لا تمسحـــوا ذكريات الماضي الجميل بلحظة غضـــب واحدة.. فتفقدوا أعز الناس عليكم..

فالوفاء.. هو الإخلاص الذي لا خيانة فيه ولا غدر..

هو تذكّر للود.. وحفاظ على العهد..

والوفاء الحقيقي لا يأتي إلا من قلبٍ طاهر، تدفعه نية طيبة خالصة..

• وقد جعل الله الوفاء قوامـــاً لصلاح أمور الناس، فقال الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

وفي القرآن أكثر من عشرين آية تتحدث عن الوفاء..

والوفاء بالعهد من سمات الإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧]..

وهو سبيل الوصول إلى أعلى درجات القُرب من الله ﷻ..

وأكبر عهد هو العهد الذي بينك وبين الله..

ومن لم يكن بينه وبين الله عهد فلا عهد بينه وبين الناس..

ولا تتوقـــع من إنسان أن يفي بعهده لك، إن كـــان هو في عهده مع الله خائناً..

فلا ترجو من العاق لوالديه خيراً.. ولو كان فيه خير لكان لوالديه !..

ورَسُول اللهِ ﷺ يَقُـــولُ: «لَا تُصَاحِـــبْ إِلَّا مُؤْمِناً، وَلَا يَـــأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»[(١)].

* * *

(١) صحيح الجامع: ٧٣٤١.



الليلة ٣٨٠

ساعدني الطبيب مرة

• شيخ كبير عمره ثمانون عاماً.. أصيب فجأة باحتباس في البول.. فحمله أبناؤه إلى المستشفى..

وهناك قام الطبيب بإجراء قسطرة بولية.. فخرج البول..

تنهَّد المريض عميقاً.. وانتهت الآلام..

توجه الأبناء والأحفاد للطبيب وأخذوا يشكرونه ويثنون عليه..

التفت الأبناء إلى أبيهم ليطمئنوا عليه فإذا هو غارق في البكاء!..

أخذوا يهدئونه ويخبرونه أن المشكلة قد انتهت فلمَ البكاء؟!..

هدأ قليلاً ثم قال:

لقد ساعدني الطبيب مرة واحدة فقط.. فاستشعرنا جميعاً فضله ومعروفه وشكرناه كثيراً..

أدركت عندها أن الله **تعالى غمرني بكرمه وإحسانه ثمانين عاماً ولكني لم أستشعر فضله!..**

أزاح الطبيب عني الألم مرة فشكرْته.. فكم دفع الله عني من البلايا والخطوب على مدى تلك السنين ولم أشكره!..

• ألسنا وقد اعتدنا على النِّعم.. حتى إذا سُئلنا عن حالنا قلنا: لا جديد!..

فهل استشعرنا تجدّد العافية وبقاء النِّعم؟!..

رأيتُ طفلاً فقدَ أطراف يَديه.. وأصبح يعمل بقدميه.. كي يكسب قوت يومه.. رغم أنه لا زال طفلاً..

قارن نفسك وظروفك بظروف هذا الطفل..

قارن بين عمله وعملك.. وجسده وجسدك..

• تذكَّروا أن النعم لا تدوم إلا بحمد الله وامتنانه.. فبالشكر تدوم النعم..

كان أحد السلف أقرع الرأس.. أبرص البدن.. أعمى العينين.. مشلول القدمين واليدين..

وكان دوماً يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً ممن خلق وفضلني تفضيلاً..

فَمَرّ بِهِ رجل فقال له: مِمَّ عافاك؟..

أعمى وأبرص وأقرع ومشلول؛ فَمِمَّ عافاك؟..

فقال: ويحك يا رجل !..

جَعَلَ لي لساناً ذاكراً.. وقلباً شاكراً..

وبَدَناً على البلاء صابراً..

• قالَ أحدهم: الشكرُ معرفةُ العجزِ عن الشُّكرِ.. فتقول: يا ربي لا أُحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسك..

وقالَ الجُنيد: «الشُّكرُ أن لا ترى نفسكَ أهلاً للنِّعمة.. أن ترى الله سبحانه وتعالى تفضّلَ عليك.. وإذا أرادَ ربُّكَ إظهارَ فضلهِ عليك.. خلقَ الفضلَ ونسبَهُ إليك»..

افرح إذا لاحَ الصباحُ وَ أنتَ تحيا في سلام..
واشكُر إلٰهك إن سمعتَ اليوم ترتيل الحمام..
ألطافُ ربّي لا تُعدّ وَليس يُحصيها الكلام..

* * *



الليلة ٣٨١

وَكَلْتُ إلى المحبوب أمري كلَّه

• لمّا قال **يعقوب**: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣].. اختفى يوسف.. وأصيب هو بالعمى..

وحين قال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤].. عاد له يوسف وعيناه !..

• يَقول **ابن القيّم**:

لو أن أحدكم همّ بإزالة جبل.. وهو (واثق بالله).. لأزاله..

قال أحد السلف:

إني أدعو الله في حاجة..

فإذا أعطاني إياها.. فرحتُ (مرة).

وإذا لم يعطني إياها..!فرحتُ (عشر مرات).

لأن الأُولى: «اختياري»..

والثانية: «اختيار الله» علّام الغيوب..

• فجميلة هي الثقة برب العباد..

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].. إجابة كافية شافية لمن يسأل: «لماذا يحدث ذلك لي؟!».

• حَكَم أحد الملوك على نجّار بالموت !..

تسرّب الخبر إليه فلم يستطع ليلتها أن ينام..

قالت له زوجته: نَمْ يا زوجي العزيز ككل ليلة.. توكل على الحي القيوم.. فالرب واحد والأبواب كثيرة !..

نزلت الكلمات على قلبه طمأنينةً وسكينةً.. فغفت عيناه..

لم يفقْ إلا على صوت قرع الجنود على باب داره..

شحب وجهه.. ونظر إلى زوجته نظرة يأس وندم.. متحسراً على تصديقها !..

فتح الباب ويداه ترتجفان.. ومدّهما إلى الجنود كي يقيدوه..

فقال له أحدهم في استغراب: لقد مات الملك ونريدك أن تصنع له تابوتاً..

أشرق وجهه.. ونظر إلى زوجته نظرة اعتذار فتبسّمت وقالت:

ألم أقل لك: إنَّ الرب واحد والأبواب كثيرة؟!..

فلا يرهقنّك التفكير.. فالله تعالى وحده يملك التدبير..

• والقرآن الكريم يبين هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

ويقول ﷺ: «لو أنَّكم توَكَّلتم على اللهِ حقَّ توَكُّلِه، لرزقَكم كما يرزقُ الطَّيرَ، تغدو خماصاً، وتروحُ بطاناً»[١].

فالتوكل أن يعتمد الإنسان على الله وما عنده، ويوصد أبواب القلب دون سواه..

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ ... فَمَا خَابَ حَقّاً مَنْ عَلَيْهِ تَوَكَّلَا

وَكُنْ وَاثِقاً بِاللهِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ ... تَفُزْ بِمَا تَرْجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلَا

والمتوكل على الله يقول:

وكلتُ إلى المحبوب أمري كلَّه ... فإن شاء أحياني وإن شاء أتلَفا

(١) صحيح ابن ماجه: ٣٣٧٧.



سعيد من كان له ولد كهذا!

الليلة ٣٨٢

في كل يـــوم جمعة، وبعد الصـــلاة، كان الإمام وابنـــه البالغ من العمر إحدى عشرة سنة يخرجان في إحدى ضواحي أمستردام.. يوزعان على الناس كتيبات صغيرة بعنوان «الطريق إلى الجنة».

وفي أحد الجُمَع كان الجو بارداً وماطراً جدّاً.. ارتدى الصبي الكثير من الملابس وقال: لقد حان الوقت لكي نخرج لتوزيع الكتيبات..

أجابه أبوه: ألا ترى الطقس شديد البرودة يا بنيّ؟!..

قال الصبي: «ولكن يا أبي لا يزال هناك أناس يذهبون إلى النار»!..

استأذن الابنُ أباه أن يخرج لتوزيع الكتيبات..

مشـــى الصبي في شـــوارع المدينة في ذلك الطقس البارد الممطر كي يوزع الكتيبات على من يقابله من الناس..

وبعد ساعتين من المشـــي تحت المطر.. بقي معه آخر كتيب.. فقرر أن يذهب إلى أول منزل يقابله.. قرع جـــرس الباب، فلم يجب أحد.. ظل يقرع الجرس مراراً وتكراراً وكأن شيئاً ما يمنعه من ترك ذلك المنزل!.. أخذ يطرق الباب بقوة فإذا بالباب يفتح ببطء..

كانت تقف عند الباب امرأة كبيرة في السن.. يبدو عليها علامات الحزن الشديد فقالت له: ماذا أستطيع أن أفعل لك يا بني؟!..

قال لها الصبي وعلى وجهـــه ابتسامة أضاءت لها العالـــم: سيدتي، أنا آسف إذا كنت أزعجتك، ولكن فقط **أريـــد أن أقول لك: إنَّ الله يحبك حقّاً**.. جئتُ أعطيك آخر كتيب معي.. وهو سيخبرك كل شيء عن الله.. ولماذا نعيش.. وكيف نصل إلى الله!..

وبعد أسبوع وعقب صــلاة الجمعة.. وقفت سيدة عجوز تقول: «لا أحد منكم يعرفني، ولم آتِ إلى هنا من قبــل.. وقبل جمعة واحدة فقط لم أكن مسلمة.. ولم أكن أفكر أن أكون كذلك..

لقد توفي زوجي منذ أشهر قليلة.. وتركني وحيدة تماماً في هذا العالم..

ويوم الجمعة الماضية.. قررت أن أنتحر لأنه لم يبقَ لدي أمل في الحياة..

صعدتُ إلى الغرفة العلويــة في بيتي.. قمتُ بتثبيــت الحبل جيداً في السقف وثـبّتُّ طرف الحبل الآخر حول عنقي..

كنت على وشــك أن أقفز.. وفجأة سمعت رنيــن جرس الباب.. فقلت: سوف أنتظر لحظات حتى ينصرف.. ولكن صوت الطرق يزداد!..

رفعتُ الحبل من حول رقبتي.. ونزلت لأرى من يطرق الباب بكل هذا الإصرار..

رأيتُ صبيّاً على وجهه ابتسامة لم أر مثلها من قبل..

قال لي بصوت حانٍ: سيدتي!.. لقد أتيــت الآن لكي أقول لك: إن الله يحبك حقّاً ويعتني بك!..

ثم أعطاني هذا الكتيب..

أغلقت بابي وبتأنٍّ شــديد قمت بقراءة الكتاب.. وأنا الآن سعيدة جدّاً لأنني تعرفت إلى الإلٰه الواحد الأحد..

جئتُ إليكم لأشــكركم علــى هذا المــلاك الذي جاءني فــي الوقت المناسب.. فأُنقذتْ روحي من الجحيم»..

دمعت العيون في المسجد وتعالت صيحات التكبير..

نزل الأب من المنبر.. احتضن ابنه وأجهش في البكاء وقال: الحمد لك يا إلٰهي أن جعل هدايتها على يديك..

وأقول: ربما لم يكن بين ذلك الجمع أبٌ سعيدٌ بابنه مثل ذلك الأب!..



الليلة ٣٨٣

الرضا.. الرضا.. يا أهل الرضا!

• أرملـة فقيرة تعيـش مع طفلها فـي حجرة صغيرة فـوق سطح أحد المنازل..

لم يكن هناك شيء يخيف الأم مثل برد قارس أو مطر غزير..

كان للغرفة باب خشبي غير أنه ليس لها سقف!..

مرّت على الطفل سنوات ثلاث لم يهطل فيهن إلا مطر خفيف..

وذات يوم امتلأت السماء بالسحب الكثيفة.. وهطل المطر بغزارة شديدة..

اختبأ الجميع فـي بيوتهم.. أما الأرملة والطفل فكـان عليهما مواجهة قدرهما..

نظر الطفل إلى أمه نظرة حائرة واندسّ في حضنها..

لكن جسد الأم والطفل ابتلّا بشدة بماء المطر الغزير..

أسرعت الأم إلى باب الغرفة فخلعتْه.. ووضعتْه مائلاً على أحد الجدران..

وخبّأت طفلها خلف الباب لتحجب عنه سيل المطر المنهمر..

نظر الطفل إلى أمه في سعادة بريئة وقد علتْ وجهه ابتسامة الرضا..

وقال: (**تُرى ماذا يفعل الفقراء الذين ليس عندهم بابٌ** حين ينزل عليهم المطر؟)..

أحسّ الصغير في تلك اللحظـة أنه من طبقة الأثرياء.. (ففي بيتهم بابٌ يحميهم من المطر)!.

• فما أجمل القناعة والرضا؟.. إنها مصدر السعادة والهناء..

لو قنع الناس بالقليل لما بقي بينهم فقير ولا محروم، ولو رضي العبد بما قُسم له لاستغنى عن الناس وصار عزيزاً وإن كان لا يملك من الدنيا الكثير.

يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رأيتُ القناعةَ رأسَ الغِنَى ... فصرتُ بأذيالها مُمتسكْ
فلا ذَا يراني على بابِهِ ... ولا ذَا يراني به مُنهمكْ
فصرتُ غنيّاً بلا درهمٍ ... أمرُّ على النَّاسِ شبهَ الملكْ

وقد وجَّه النبيُّ ﷺ أمته إلى التحلي بصفة القناعة حين قال: «**ارضَ بما قسم الله لك تكنْ أغنى الناس**»[1].

وكان يدعو ربه فيقول: «**اللهم قنِّعني بما رزقتني**»[2].

ومن عجيب ما يروى في ذلك أن الخليل بن أحمد الفراهيدي رفض أن يكون مؤدباً لابن والي الأهواز، ثم أخرج لرسوله خبزاً يابساً وقال: «ما دمتُ أجدُ هذا فلا حاجة إلى سليمان ـ الوالي ـ». ثم أنشد:

أبْلِغْ سليمانَ أنِّي عنه في سَعَةٍ ... وفي غنًى غير أنِّي لستُ ذا مالِ
شُحّاً بنفسيَ أنِّي لا أرى أحداً ... يموتُ هزلاً ولا يبقى على حالِ
والفقرُ في النفسِ لا في المالِ نعرفُهُ ... ومثلُ ذاك الغنى في النفس لا المالِ

* * *

(١) السلسلة الصحيحة: ٩٣٠.
(٢) الفتوحات الربانية: ٤/٣٨٣.



قصة حج مؤثِّرة(١)..

بعد انتهاء مراسم الحج وانفضاض الحجيج.. اكتظَّ المطار بالحجاج العائدين إلى بلادهم وهم ينتظرون طائراتهم..

جلس سعيد على الكرسي وبجانبه حاج آخر.. سلّم الرجلان على بعضهما وتجاذبا أطراف الحديث حتى قال الرجل الآخر:

والله يا أخ سعيد أنا أعمل مقاولاً.. وقد رزقني الله من فضله وفزت بمناقصة اعتبرتُها صفقة العمر.. فقررتُ أن يكون أدائي للحج للمرة العاشرة.. أول ما أفعله شكراً لله..

ثم أردف بكل فخر واعتزاز: وها أنا ذا قد أصبحتُ حاجّاً للمرة العاشرة!.

أومأ سعيد برأسه وقال: حجّاً مبروراً وسعياً مشكوراً إن شاء الله..

ابتسم الرجل وقال: يا أخ سعيد! وهل لحجّك قصة خاصة؟..

أجاب سعيد بعد تردد: نعم.. فقد انتظرتُ سنينَ طوالاً حتى أحجّ.. فأنا أعمل منذ (٣٠) سنة معالجاً فيزيائيّاً.. وأشرفتُ على التقاعد.. وزوجتُ أبنائي.. ثم قررت بما تبقى من مدخراتي البسيطة أداء فريضة الحج هذا العام.

وفي اليوم الذي كنت أعتزم فيه الذهاب إلى متعهد الحج.. وبعد أن سحبتُ لهذا الغرض كل النقود من حسابي.. صادفتُ إحدى الأمهات التي يتعالج ابنها المشلول في المستشفى الخاص الذي أعمل به.. وقد كسا وجهَها الهمُّ والغم.. وقالت لي: أستودعك الله يا أخ سعيد فهذه آخر زيارة لنا لهذا المستشفى!..

استغربتُ كلامها وحسبتُ أنها غيـــر راضية عن علاجي لابنها.. فقالت لي: لا يا أخ سعيد.. يشـــهد الله أنك كنت لابني أحـــنّ من الأب.. وقد ساعده علاجك كثيراً بعد أن كدنا نفقد الأمل به.

ذهبتُ إلى الإدارة وسألتُ المحاسب عن سبب ما حدث؟..

فأجابني بأن لاعلاقة لي بالموضوع.. ولكـــن زوج المرأة فقدَ وظيفته.. ولم تعد العائلة تستطيع دفع تكاليف العلاج الطبيعي فقررتْ إيقافه!.

ذهبـــتُ إلـــى المديـــر ورجوتـــه أن يستمر بعـــلاج الصبيّ علـــى نفقة المستشـــفى.. ولكنه رفض رفضاً قاطعاً وقال: هذه مؤسسة خاصة تبغي الربح وليست مؤسسة خيريـــة للفقراء والمساكيـــن!.. ومن لايستطيع الدفع فهو ليس بحاجة للعلاج!.

خرجتُ من عنـــد المدير حزيناً مكســـور الخاطر على المـــرأة وابنها.. خاصة وأن الصبي بـــدأ يتحسن.. وإيقاف العلاج معنـــاه انتكاسة تعيده إلى نقطة الصفر..

وفجأة وضعتُ يدي على جيبي الذي وضعتُ فيه نقود الحج.. فتسمّرتُ في مكاني لحظة.. ثم رفعتُ رأسي إلى السماء وخاطبتُ ربي قائلاً:

اللهم أنت تعلم أنْ ليس أحب إلى قلبي من حج بيتك.. وزيارة مسجد نبيك.. وقد سعيتُ لذلـــك طول عمري.. وأعـــددتُ نفسي لأجل تلك الدقائـــق واللحظات.. ولكنني الآن مضطـــر لأن أخلف موعدي معك.. فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم..

ذهبتُ إلى المحاسب ودفعتُ له كل مـــا معي.. عن أجرة علاج الصبي لستة أشهر مقدَّماً..

❋ ❋ ❋



الليلة ٣٨٥

قصة حج مؤثِّرة (٢)..

رجعتُ يومها إلى بيتي حزيناً على ضياع فرصة العمر في الحج..

ولكنني كنتُ فرِحاً أنْ فرّجتُ كربة تلك المرأة وابنها..

نمتُ ليلي ودموعي على خدي.. فرأيت نفسي في المنام وأنا أطوف حول الكعبة.. والناس يسلّمون علي ويقولون لي: حجّاً مبروراً يا حاج سعيد.. **فقد حججتَ في السماء قبل أن تحج على الأرض!..**

استيقظتُ من النوم وأنا أشعر بسعادة وسرور.. رغم أني كنت شبه متأكد أني لن أتشرف يوماً ما بلقب «حاج»!..

وفي الصباح.. رنّ جرس الهاتف وإذا بمدير المستشفى يقول لي:

أنجدني يا سعيد! فأحد كبار رجال الأعمال يريد الذهاب للحج هذا العام..

وهو لن يذهب من دون معالجه الفيزيائي الخاص.. ولكن زوجة هذا المعالِج في أيام حملها الأخيرة ولا يستطيع تركها.. فهلا أسْدَيتَ إليَّ خدمة وذهبتَ بدلاً عنه؟ ولا أريد أن أفقد وظيفتي إذا غضب مني رجل الأعمال.. فهو يملك نصف المستشفى!.

قلت له بلهفة: وهل سيسمح لي أن أحج؟..

فقال: طبعاً..

فقلتُ له: سأذهب معه دون أي مقابل مادي..

وكما ترى يا أخي.. فقد رزقني الله حـج بيته دون أن أدفع هللة واحدة والحمد لله.. وفوق ذلك فقد أصرّ الرجل علـى إعطائي مكافأة مجزية لرضاه عن خدماتي له..

حكيتُ لـه عن قصـة المـرأة المسكينة.. فأمـر بأن يعالـج ابنها في المستشـفى على نفقته الخاصـة.. وأن يكون في المستشـفى صندوق خاص لعلاج الفقراء.. وفوق ذلك فقد أعطـى زوجها وظيفة لائقة في إحدى شركاته.

نهض الرجـل وقبّل سعيداً على جبينه وقال: والله لم أشـعر في حياتي بالخجل مثلما أشعر الآن يا سعيد.. فقد كنت أحج المرة تلو الأخرى.. وأنا أحسب نفسي قد أنجزت شيئاً عظيماً.. وأن مكانتي عند الله ترتفع بعد كل حجة..

ولكني أدركتُ الآن أن حجّك بألف حج من أمثالي..

فقد ذهبتُ أنا إلى بيت الله.. في حين دعاك الله إلى بيته..

ومضى وهو يردد: غفر الله لي.. غفر الله لي..

إليـك إلٰهـي قـد أتيـتُ مُلَبِّيا — فبـاركْ إلٰهـي حجتـي وَدُعائيا

قصدتُك مضطـرّاً وجئتُك باكياً — وحاشـاك ربِّي أن تـردَّ بكائيا

كفانـي فخـراً أنني لـك عابدٌ — فيا فرحي إن صرتُ عبداً مُواليا

أتيتُ بلا زادٍ وجُـودُك مطمعي — وما خابَ من يهفو لِجُودك سـاعيا

إليك إلٰهي قد حضـرت مؤملاً — خلاصَ فؤادي مـن ذنوبي مُلَبِّيا

* * *



الليلة ٣٨٦

درس من الواقع!

• في عام (١٩٧٤م) كان «مهاتير محمد» ضيف شرف في حفل الأنشطة الختامية لمدارس «كوبانــج باسو» في ماليزيا.. وذلــك قبل أن يصبح وزيراً للتعليم في السنة التالية.. ثم رئيساً للوزراء عام (١٩٨١م)..

قام مهاتير في ذلك الحفل بطرح فكرة عمل مسابقة للمدرّسين وليست للطلاب!..

وهي توزيع بالونات على كل مــدرّس، ثم طلب بأن يأخذ كل مدرّس بالونة وينفخها..

ومن ثم يربطها في رجله..

وفعلاً قام كل مدرس بنفخ وربط البالونة في رجله..

جمع مهاتير جميع المدرسين في ساحة مستديرة ومحدودة وقال:

لدي مجموعة من الجوائز.. وسأبدأ من الآن بحساب دقيقة واحدة فقط..

وبعد دقيقة.. سيأخذ كل مدرس ما زال محتفظاً ببالونته جائزة!..

بدأ الوقت وهجم الجميع على بعضهم البعض.. كل منهم يريد تفجير بالونة الآخر حتى انتهى الوقت.. وفقدَ الجميع بالوناتهم!..

وقف مهاتير بينهم مستغرباً وقال:

«لم أطلب من أحد تفجير بالونة الآخر!..

ولو أن كل شخص وقف دون اتخاذ قرار سلبي ضد الآخر لنال الجميع الجوائز»!..

• فهناك من ينجح ويسحب معه آخرين للنجاح..

وهناك من ينجح مع الآخرين..

وهناك من ينجح على حساب الآخرين..

وكثيراً ما يطغى التفكير السلبي على العقول..

فكم منا من يفكر بالنجاح على حساب الآخرين؟.. مع أن النجاح متاح للجميع..

ولكن البعض يتجه ـ للأسف ـ نحو تدمير الآخر وهدمه لكي يحقق النجاح لنفسه..

وهذه حقيقة موجــودة في حياتنا الواقعية.. فكم مــن الناس مَنْ لا يجد غضاضة في تدمير زملائه.. كي يكسب رضا رئيسه أو مَن هو أعلى منه..

بل أصبح البعض يتجرَّد من إنسانيته طمعاً في الوصول إلى مبتغاه...

متناسين قول الرسول ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»**[1].

أليس هذا ما يحصل بين بعض فئات المسلمين؟..

• فإياك والحسد.. فنجاحك لا يستوجب عليك أن تسعى لفشل غيرك.

يقول عباس محمــود العقاد رَحِمَهُ اللَّهُ: ليــس الحاسد هو الــذي يطمع أن يساويك بأن يرقى إليك.. بل هو الذي يريد أن تساويه بأن تنزل إليه!..

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري.



الليلة ٣٨٧

لا أقدر.. لا أقدر..

يُحكى أن بهلول كان رجلاً مجنوناً فى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد..

وذات يوم.. مر عليه هارون الرشيد وهو جالس في إحدى المقابر..

فقال له هارون معنِّفاً: يا بهلول يا مجنون... متى تعقل؟!..

فركض بهلول وصعد إلى أعلى شجرة.. ثم نادى على هارون بأعلى صوته: يا هارون يا مجنون.. متى تعقل؟!..

فأتى هارون تحت الشجرة وهو على صهوة حصانه.. وقال له: أنا المجنون أم أنت الذي يجلس في المقابر؟!..

فقال له بهلول: بل أنا عاقل!..

قال هارون: وكيف ذلك؟..

قال بهلول: «لأني عرفت أن هذا زائل.. (وأشار إلى قصر هارون)..

وأن هذا باقٍ.. (وأشار إلى القبر)..

فعمّرتُ هذا قبل هذا!..

أما أنت.. فإنك قد عمّرت هذا (يقصد قصره).. وخربت هذا (يعني القبر)..

فتكره أن تنتقل من العمران إلى الخراب.. مع أنك تعلم أنه مصيرك لا محالة»..

وأردف قائلاً: فقلْ لي أيّنا المجنون؟..

فرجف قلب هارون الرشيد وبكى حتى ابتلّت لحيته... وقال: والله إنك لصادق..

ثم قال هارون: زدني يا بهلول..

فقال بهلول: يكفيك كتاب الله فالزمْه..

قال هارون: ألك حاجة فأقضيها ؟..

قال بهلول: نعم ! ثلاث حاجات.. إن قضيتها شكرتك..

قال: فاطلب..

قال: أن تزيد في عمري !..

قال: لا أقدر..

قال: أن تحميني من ملك الموت !..

قال: لا أقدر..

قال: أن تدخلني الجنة وتبعدني عن النار !..

قال: لا أقدر..

قال: فاعلم أنك مملوك ولست ملكاً.. ولاحاجة لي عندك !..

* * *



السحرُ الحلالُ

الليلة ٣٨٨

الابتسامة هي السحرُ الحلالُ.. هي عُربونُ المودةِ وإعلانُ الإخاءِ..

هي رسالةٌ عاجلة تحملُ الحبَّ والسلامَ..

الابتسامة هي اللغة التي لا تحتاج إلى ترجمة..

الابتسامة لا تكلف شيئاً ولكنها تعود بالخير الكثير..

ولا تستغرق أكثر من لمحة بصر.. ولكن ذكراها تبقى طويلاً..

وهي صَدَقَةٌ متقبلةٌ.. تدلُّ على أن صاحبَها راضٍ مطمئنٌّ..

فـ«تبسُّمُكَ في وجْهِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ»[1]..

الابتسامة هي جواز السفر إلى القلوب.. فجهّز ابتسامتك قبل أن تمدّ يدك للمصافحة..

فمصافحة دون ابتسامة لا تقرّب قلباً ولا تمنح سعادة..

وقد تبتسم لأحدهم وأنت تلقي السلام.. فتثير بصفاء القلب الذي يراه الناس في عينيك نسمة سعادة بداخله..

فابتسامتك البريئة تكسبك المزيد من الأصدقاء..

وإذا ابتسم صديقك فعليه أن يذكر لك السبب..

وإذا بكى فمن واجبك أن تبحث أنت عن السبب..

---

(١) صحيح الترمذي: ١٩٥٦.

ابتسم في الوقت الذي ينتظرك فيه الآخرون أن تبكي.. فأجمل شيء في الوجود ابتسامة تشق طريقها وسط الدموع..

ولكن من الصعب أن تبتسم في بيت مليء بالدموع !..

تذكَّر أنه إذا وقف الحزن في طريقك مرة.. فإن الفرح سيقف في طريقك مرات..

ولا بد أن تظهر البسمة وإن طال زمن الجراح..

فمهما عاش الحزن فــي أعماقنا.. فلا بد من لحظة فــرح.. تنسينا تلك الأيام الحزينة..

وليس هناك تعارض بين الابتسامة وبين الجديّة في الحياة..

وإنما هي في وجه أخيك (صدقة)..

وفي وجه الناس (دعوة)!..

اجعل الابتسامة وبشاشة الوجه لك عنواناً كمسلم ملتزم..

فتأخذ بقلوب الخلق إلى الله..

وتغيّر الصورة المشوهة عن الملتزمين في أذهان عباد الله..

* * *



الليلة ٣٨٩

أحسنوا الظن..

• يُحكى أن رجلاً كان لديه صقر يــلازم ذراعه.. يخرج به ويطلقه على فريسته ليطعم منها ويعطيه ما يكفيه..

وذات يوم خرج الرجل وحــده ولم يكن معه إلا الصقــر.. انقطع بهم المسير وعطشوا...

أراد الرجل أن يشــرب فسار حتى وجد ينبوعاً فــي أسفل جبل.. فملأ كوبه..

وعندما أراد شرب الماء جاء الصقر وانقضّ على الكوب ليسكبه !..

حاول مرة أخرى ولكن الصقر ـ مع اقتراب الكوب من فم الرجل ـ كان يقترب ويضرب الكوب بجناحــه.. فيطيش الكوب.. وينسكب الماء !..

وتكررت الحالة للمرة الثالثة.. فاستشاط غضباً منه وأخرج سيفه..

وحينما اقترب الصقر ليسكب الماء ضربــه ضربة واحدة فقطع رأسه.. ووقع الصقر صريعاً..

أحسَّ الرجل بالألم لحظة وقوع السيف على رأس صاحبه.. وتقطع قلبه لما رأى الصقر يسيل دمه !..

وقف للحظة وصعد فوق الينبوع فرأى بركة كبيرة يخرج من بين ثنايا صخرهــا مخرج الينبــوع وفيها حية كبيــرة ميتة وقد مــلأت البركة بالسم !..

أدرك الرجل أن صاحبه كان يريــد منفعته.. لكنه لم يدرك ذلك إلا بعد أن سبق السيف العذل!..

فكّرْ كثيراً.. قبل أن تفقد من تحب..

فكر كثيراً.. قبل أن تُعادي من يحبك..

فكر كثيراً.. قبل أن تعادي من ينتقدك..

فربما كان كل هؤلاء يعملون من أجلك..

• يُحكى أن رجلاً ترك كلبه ليحرس ابنه الرضيع وذهب للصيد..

وعندما عاد وجد الكلب ينبح أمام البيت وقد تلطخت أنيابه بالدماء..

اعتقد أن الكلب أكل الرضيع !..

رفع بندقيته عليه وأزهق روحه ودخل مسرعاً ليرى بقايا رضيعه..

فإذا به يرى ذئباً غريقاً بدمائه.. والطفل لم يمسه سوء!..

تخيلوا الشعور بالذنب الذي غشّاه.. والندم الذي رافقه طيلة حياته..

فكم من روح أزهقت ظلماً؟.. وكم من مشاعر ماتت من سوء ظن؟..

وكم من علاقات انقطعت بسبب أخطاء رعناء قد ارتُكبتْ؟..

فلا تنظروا بأعينكم فقط بل انظروا بعقولكم..

لا تتسرعوا بالحكم على الأمور من خلال نظرة..

بل اعرفوا الحقيقة أولاً.. قبل أن تقعــوا في أخطاء تندمون عليها طوال حياتكم..

اسمعوا مِنَ المتَّهم ماذا يقول؟ قبل ردة فعل خاطئة.. تبكيك ندماً مدى الدهر..

* * *



الليلة ٣٩٠

من هو الأب؟

سؤال طرحه المحاضر على طلابه في الجامعــة.. وكانت أفضل إجابة ـ كما يذكر المحاضر ـ الإجابة التالية:

الأب هو من:

كنتَ تلبس حذاءه عندما كنت صغيراً.. فتتعثر من كبر حذائه!..

تلبس نظارته فتشعر بالعظمة..

وتلبس ثوبه فتشعر بالوقار..

تطلب مفتاح سيارته وتحلم أنك من يقودها..

يخطر في بالك شيء تافه فتتصل عليــه وقت دوامه.. يردّ عليك بصدر رحب.. ولا تعلم ربما مديره وبّخه.. أو عمله أرهقه..

وتطلب بكل هدوء: بابا ممكن تُحضر معك عصير فراولة..

ويرد: بعيوني.. ولكن لا تعذّب أمك !..

يأتي البيت وقد أُرهق من صخب الــدوام.. والحر والزحام.. وقد نسي طلبك.. فتقول: بابا! أين العصير؟..

فيخرج ليحضر لَك طلبك التافه بكل سعادة متناسياً إرهاقه !..

واليوم.. لا تلبس حذاءه بسبب ذوقه القديم !..

تحتقر ملابسه وأغراضه وسيارته التي كنتَ تباهي بها أصحابك.. لأنها لا تروق لك..

كلامه لا يلائمك.. وحركاته تشعرك بالاشمئزاز !..

يصيبك الإحراج منه لو قابل أصحابك !..

تتأخر فيقلق عليك.. ويتصل بك فتشعر أنه يضايقك !..

وقد لا ترد عليه إذا تكرر الاتصال والقلق..

تعود إلى البيت متأخراً.. فيوبّخك ليشعرك بالمسؤولية.. ويستمر في مشوار تربيتك.. لأنه راع وكل راع مسؤول عن رعيته..

فترفع صوتك عليه.. وتضايقه بكلامك وردودك..

فيسكتُ ليس خوفاً منك.. بل صدمةً منك !..

بالأمس في شبابه يرفعك على كتفه.. واليوم أنت أطول منه بكثير !..

بالأمس.. تتعثر في الكلام.. واليوم لا يسكتك أحد !..

فمهما ضايقك فهو والدك..

كما تحمّلك في طفولتك.. وتحمّل طلباتك وجهلك..

فتحمّله الآن في مرضه وشيخوخته..

يقول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ويقول النبي ﷺ: «**رَغِمَ أنفُ، ثم رغم أنفُ، ثـم رغم أنفُ**» قيل: من؟ يا رسولَ اللهِ ! قال: «**من أدرك أبويـه عند الكبرِ، أحدِهما أو كليهما فلم يَدْخلِ الجنةَ**»[1].

* * *

(١) رواه مسلم.



الليلة ٣٩١

لَولا البَلاء..

• لولا البلاء لكانَ **يُوسف** مُدلّلاً فِي حضن أبيه..

ولكِنّه مَع البلَاء صار.. عَزِيز مِصر !..

أفنيئس بعد هذا..؟ كُونوا عَلى يقينٍ.. أنْ هُناكَ شَيئاً ينتظركم بعَد الصَّبر..

ومن كمال إحسان الله تعالى أن يذيق عبده «مرارة الكسر».. «قبل حلاوة الجبر»..

ويعرّفه قدر نعمته عليه.. بأن يبتليه بضدّها !..

• كما أنه ﷻ لمّا أراد أن يكمل **لآدم** نعيـــم الجنة.. أذاقه مرارة خروجه منها، ومقاساة دارٍ رخاؤها ممزوج بشدتها..

فما كَسرَ عبدَه المؤمن إلا ليجْبره.. ولا منَعَه إلا ليعطيه..

ولا ابتلاه إلا ليعافيه.. ولا أماته إلا ليحييه..

ولا نغّص عليه الدنيا إلا ليرغبه في الآخرة.. ولا ابتلاه بجفاء الناس إلا ليردّه إليه..

• قيل لأحد العبّاد: ما هو الصّبر الجميل؟.

قال: أنْ تُبتلى وَقلبك يقول: الحمد لله !..

فالابتلاء في الحياة ليس اختباراً لقوتك.. بل هو اختبار **لقوة استعانتك بالله** سبحانه.

• يَقُول **ابنُ عبّاس:**

«لَو انطبقَت السّماء عَلى الأرضِ..

لَجعل الله للمُتقِين فتحات يَخرجون مِنها.. ألا تَرى قولَه تَعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]».

فلا تعجزْكم ضخامةُ الأمنيات.. ولا استحالاتُ الحياة..

لا تيئسوا من خذلان العالم..

ولا تحبطكم أراجيف المرجفين ولا تشكيك المشككين..

• فإذا ضاق صدرك تدبَّرْ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٨]..

تذكر أن الصواعق لا تضرب سوى قِممَ الجبال الشامخة..

وأما المنحدرات فلا تذهب إليها.. إلا المياه الراكدة المحمَّلة بالأوساخ..

والمَرءُ يُبتلى على قدر دينه..

• يقول **ابن رجب**: «إذا اشتد الكرب فإن الإنسان يحتاج حينئذ إلى مجاهدة الشيطان.. لأنه يأتيه فيقنطه ويسخطه.. فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه».

يا عبادَ الله صبراً.. إنْ توالت الكُروب
كلَّما تشتدُّ كرباً تنجلي عنك الذنوب
إنَّ في القرآن آية.. هي طبٌّ للقلوب
«إنَّ مع العسر يسراً».. قال علام الغيوب..

• قال حكيم لابنه:

«يا بُنيّ إذا رأيتَ الليل يسْوَدّ.. ويسْوَدّ.. فاعلم أن الفجر قريب..

وإذا رأيتَ الحبل يشتدّ ويشتدّ.. فاعلم أن انقطاعه قريب..

وإذا رأيتَ الكرب يحتدّ ويحتدّ... فاعلم أن الفرج قريب».



الطب عطاء

الليلة ٣٩٢

• في عام (١٩٢٠م) أقامت نقابة الأطباء في إنجلترا حفلاً لتخريج دفعة من الأطباء الجدد..

شهد الحفلَ رئيسُ الوزراء البريطاني في ذلك الحين.

وقام نقيب الأطباء أثناء الحفل بإلقاء النصائح لهؤلاء الخريجين الجدد.. وروى لهم قصة حدثت معه فقال:

«طرقتْ بابي بعد منتصف ليلة عاصفة سيدةٌ وقالت: الحقني يا دكتور.. طفلي مريض في حالة خطرة.. أرجوك أن تفعل أي شيء لإنقاذه!.

أسرعتُ غير مبال بالزوابع العاصفة.. والبرد الشديد.. والمطر الغزير..

وبعد رحلة شاقة وصلنا منزلها بصعوبة.. حيث تعيش في غرفة صغيرة في إحدى ضواحي لندن.. وطفلها يئن ويتألم بشـــدة في زاوية من هذه الغرفة..

وبعد أن أديت واجبي نحْوه ناولتْني الأم كيساً صغيراً به نقود..

فرفضتُ أن آخذ الكيس.. ورددتْه لها بلطف معتذراً عن أخذ أجري..

وتابعتُ الطفل حتى منّ الله عليه بالشفاء..

ثم أردف نقيب الأطباء قائلاً: هذه هي مهنــة الطب.. إنها أقرب المهن إلى الرحمة.. بل ومن **أقرب المهن إلى الله**».

وما كاد نقيب الأطباء ينهي كلامه.. حتى قفز رئيس الوزراء من مقعده..

واتجه إلى منصة الخطابة قائلاً:

«اسمح لي يا سيدي النقيب أن أقبّل يدك.. فمنذ أن أصبحتُ رجلاً وأنا أبحث عنك..

فأنا ذلك الطفل الذي ذكرْتَه في حديثك الآن..

آه فلتسعد أمي الآن وتهنأ.. فقد كانت وصيتها الوحيدة لي هي أن أعثر عليك.. لأكافئك على ما أحسنتَ به علينا عندما كنا فقراء»...

أما الطفل الفقير الذي أصبح رئيس وزراء إنجلترا فكان: «**لويد جورج**»!.

• يقول بعض العامة: «لقد خرجتُ من عند الطبيب فلان وقد تعافيت»!.. وهو ما اشترى وصفة بعدُ.. ولا تناول دواء!..

وهذا صحيح.. **فالطبيب يداوي في كثير من الأحيان ببسمته وكلامه أكثر من طبه ودوائه !..**

والطبيب يستطيع الدخول إلى قلوب مرضاه دون أن ينطق بكلمة واحدة.. إن كان من أهل الصفات الكريمة والأخلاق الحميدة..

فلماذا يرتاح المرضى لطبيب ويذهبون إليه راضين مبتهجين.. وينفرون من آخر ولا يقصدونه إلا مضطرين أو مكرهين؟...

لماذا عيادة ذلك الطبيب ملأى بالمراجعين.. بينما عيادة الآخر على عروشها خاوية.. والشهادات واحدة.. والخبرات متقاربة؟..

إنها الأخلاق قبل كل شيء.. ثم إتقان العمل..

فإتقان الطبيب لطبه دعوة إلى الله ...

ومعالجة حكيمة لمريض يشفى بها بإذن الله.. دعوة إلى الله...

فكن لله داعياً.. طبيباً كنتَ أم مريضاً..



الليلة ٣٩٣

المخْرَج بين يديك!

سجين في القلعة في عصر لويس الرابع عشر حُكم عليه بالإعدام..

لم يتبق على موعد إعدامه سوى ليلة واحدة!.

فوجئ السجين في تلك الليلــة بباب الزنزانة يُفتح.. و«لويس» ـ والذي اشتَهر عنه بأنه صاحب مِزاج غريب ـ يدخل عليه مع حرّاسه ليقول له: «سأعطيــك فرصــة إن نجحتَ فــي استغلالها فيمكنــك أن تنجو من الإعدام! فهناك مخرج واحد في زنزانتك من دون حراسة.. إن تمكّنت من العثور عليه يمكنك الخروج.. وإن لم تتمكّن فالحرّاس سيأتون غداً مع شروق الشمس لتنفيذ حكم الإعدام»..

غادر الحرّاسُ الزنزانةَ مع الإمبراطور بعد أن فكّوا سلاسله..

بدأ السجين يفتّــش في الجناح الذي سُجن فيــه.. لاح له الأمل عندما اكتشــف غطاء فتحة مغطّاة بسجادة بالية علــى الأرض.. وما أن فتحها حتّى وجدها تؤدّي إلى سلّم ينزل إلى ســرداب سفلي.. يليه درج آخر يصعد مرة أخرى..

ظل يصعد حتى بدأ يشــعر بتسلل نسيم الهواء الخارجي.. مما بثّ في نفسه الأمل.. إلى أن وجــد نفسه في النهاية في برج القلعة الشــاهق.. لا يكاد يرى اليابسة..

ضرب بقدمه الحائــط.. وإذا به يحس بالحجر الــذي يضع عليه قدمه يتزحزح..

قفز وبدأ يختبر الحجــر.. فوجد أنه يمكن تحريكه.. وما أن أزاحه حتى وجد سرداباً ضيّقاً لا يكاد يتّسع للزحف..

بدأ يزحف إلى أن سمع صوت خرير ماء..

أحسّ بالأمل لعلمه أن القلعــة تطلّ على نهر.. لكنّــه وجد في النهاية نافذة مغلقة بالحديد أمكنه أن يرى النهر من خلالها !..

وهكذا ظلّ طوال اللّيل يلهث في محاولات هنا وهناك..

كانت بوادر الأمل تلوح له فجأة.. لتختفي بعد ذاك مع خيبة الأمل..

وأخيراً انقضت ليلة السجين كلها دون أن يجد المخرج !..

أشرق الصباح وهو يلهث جاهداً هنا وهناك.. فإذا بالإمبراطور يطل عليه من الباب ويقول له: أراك ما زلت هنا !..

قال السجين: كنت أتوقع أنك صادق معي أيها الإمبراطور !..

قال له الإمبراطور: لقد كنت صادقاً !..

سأله السجين: لم أترك بقعة في الزنزانة لم أحاول فيها.. فأين المخرج الذي أخبرْتني عنه؟..

قال له الإمبراطور: «لقد كان باب الزنزانة مفتوحاً وغير مغلق.. ولكنك لم تفكر في أبسط الحلول»!..

ألا ترون أننا أحيانــاً نغفل عن الوصول إلى الحل رغم أن المخرج بين أيدينا ؟!..

ألسنا نضع العراقيل أحياناً أمام أنفسنا.. **ولا نفكر بأسهل الحلول؟!..**

* * *



الليلة ٣٩٤

لماذا يُبتلى أهل الحق وينجو أهل الباطل؟!

ولماذا لا ينتصر الحق كلما التقى في جولة مع الباطل؟!..

أليس هو الحق الذي ينبغي أن ينتصر؟!..

ويأتيك الجواب الذي يريح به اللهُ القلوبَ الواجفة.. ويبيّن سننه وتدبيره..

فنجاة الباطل في معركة من المعارك ليس معناه أن الله تاركه..

وخروج الحق مبتلًى في إحدى المعارك.. وبقاؤه ضعيفاً فترة من الزمن.. ليس معناه أن الله ناسيه!..

كلا.. إنما هي حكمة وتدبير.. هنا وهناك..

يُملي للباطل ليرتكب أبشع الآثام.. وينال أشد العذاب باستحقاق!..

ويبتلي الحقَّ.. ليميز الخبيث من الطيب..

ويُعظم الأجر لمن يصبر مع الابتلاء ويثبت..

فهو كسب مضاعف للحق وأتباعه.. وخسارة مركّبة للباطل وزبانيته!.

- يقول **الشيخ محمد الغزالي** (بتصرف):

«إذا احتدمت المعركة بين الحق والباطل حتى بلغت ذروتها..

وقذف كل فريق بآخر ما لديه ليكسبها..

هناك ساعة حرجة.. يبلغ الباطل فيها ذروة قوته..

ويبلغ الحق فيها أقصى محنته..

والثبات في هذه الساعة الشديدة هو نقطة التحول..

وهو الامتحان الحاسم لإيمان المؤمنين..

فإذا ثبتَ الإيمانُ تحوّل كل شيء لمصلحته..

فيبدأ الحقُّ طريقَه صاعداً..

ويبدأ الباطلُ طريقه نازلاً..

وتتقرر باسم الله النهاية المرتقبة !».

• كان **الإمام أحمد** يدعو في السجود:

«اللهمَّ مَن كان من هذه الأمة على غير الحق..

وهو يظنُّ أنه على الحق..

فردَّه إلى الحق ليكونَ من أهل الحق».

• ولا كرامة لأولئك الذين يبقون على الحياد في أوقات المعارك الفاصلة !..

فأنت لن تُحاسب فقط على ما تقول..

بل ستُحاسب أيضاً على السكوت عن الحق..

حين كان ينبغي أن تنطق به..

أليس الساكت عن الحق شيطاناً أخرس؟!..

* * *



طبيب يستقبل مريضة!

الليلة ٣٩٥

يقول الشيخ **محمد الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«دخلتْ مكتبي فتاة لم يعجبني زيّها أوّل ما رأيتها.. غير أني لمحتُ في عينها حزناً وحيرة يستدعيان الرفق بها..

جلستْ تبثني شكواها وهمومها متوسمة عندي الخير..

استمعتُ طويلاً، وعرفتُ أنها فتاة عربية نشأت في فرنسا.. ولا تكاد تعرف عن الإسلام شيئاً..

شرعتُ أشرح حقائق.. وأردّ شبهات.. وأجيب عن أسئلة..

أُفنِّد أكاذيب المبشرين والمستشرقين حتى بلغتُ مرادي أو كدت!..

لم يفتْني أن أصف الحضارة الحديثة بأنها **تعرض المرأة لحماً يغري العيون الجائعة..**

استأذنتِ الفتاةُ طالبةً أن آذن لها بالعودة، فأذنتُ...

دخل بعدها شاب يقول بشدة: ما جاء بهذه الخبيثة إلى هنا؟..

فأجبتُ: **الطبيب يستقبل المرضى قبل الأصحاء**، ذلك عمله!..

قال: طبعاً نصحتَها بالحجاب؟!..

قلت: الأمر أكبر من ذلك.. هناك المهاد الذي لا بد منه..

هناك الإيمان بالله واليوم الآخر.. والسمع والطاعة لما تنزّل به الوحي في الكتاب والسُّنَّة..

والأركان التي لا يوجد الإسلام إلا بها.. في مجالات العبادات والأخلاق..

فقاطعَني قائلاً: ذلك كله لا يمنع أمْرها بالحجاب..

قلت في هدوء: ما يسرّني أن تجيء في ملابس راهبة.. وفؤادها خالٍ من الله الواحد.. وحياتها لا تعرف الركوع ولا السجود..

لقد علّمتُها الأسس التي تجعلها من تلقاء نفسها تؤثر الاحتشام على التبرج..

وقلتُ له بصرامة: أنا لا أُحسنُ جرّ الإسلام من ذيله كما تفعلون..

إنني أشدّ القواعد.. وأبدأ البناء بعدئذ.. وأبلّغ ما أريد بالحكمة..

وجاءتني الفتاة بعد أسبوعين في ملابس أفضل..

كانت تغطي رأسها بخمار خفيف، واستأنفتْ أسئلتها..

لكن الفتاة قالت: إنها تكره رجال الدين، وما تحب سماعهم!..

قلت: لماذا؟ قالت: قساة القلوب غلاظ الأكباد!.. إنهم يعاملوننا بصلف واحتقار!..

ولا أدري لماذا تذكرتُ عندها «هندَ» امرأة أبي سفيان.. التي أكلتْ كبدَ حمزة رضي الله عنه.. ونالت من الإسلام ما نالت..

إنها كانت لا تعرف رسول الله.. فلما عرفتْه واقتربتْ منه وآمنت به.. قالت له هذه الكلمات:

«يا رسول الله! والله ما كان على ظهر الأرض أهلَ خِباء أحبّ أن يُذَلّوا من أهل خبائك!..

وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهلُ خباء أحبّ إليّ أن يُعزّوا من أهل خبائك»...

إن نبع المودة الدافق من قلب الرسول الكريم بدّل القلوب من حال إلى حال..

فهل يتعلم الدعاة ذلك من نبيهم.. **فيؤلّفوا بدلاً من أن يفرّقوا..**

ويبشّروا بدلاً من أن ينفّروا؟»[1].

(١) من كتاب: الحق المر، الشيخ محمد الغزالي (بتصرف).



الليلة ٣٩٦

رجل بأمّـة

رجل وصفتْــه أعماله بأنه «رجل بأمّة».. إنه المرحــوم بإذن الله الدكتور عبد الرحمن السميط..

طبيب تخصص في كندا في الأمراض الباطنية.. ثم في أمراض الجهاز الهضمي عام (١٩٧٨م).

هجر السميط حياة الترف والمدنية إلى أدغال إفريقية.. قدّم للدين ما لم تقدّمه دولٌ بأكملها..

سخّر نفسه ووقته.. وجهده وماله.. في خدمة الإسلام والدعوة إلى الله في إفريقية لمدة (٣٠) سنة.. **وأسلم على يديه أكثر من (١٠) ملايين إنسان..**

ترك عمله الطبي طواعية، وأنشـأ مؤسسة خيريــة رائدة (١٩٨١م)، هي لجنــة مسلمي إفريقية «جمعيــة العون المباشر حاليّـاً» لمواجهة مثلث الخطر «الفقر والجهل والمرض» في تلك البلاد الفقيرة، واستقطب معه فريقاً من أبنــاء الكويت المخلصين، الذين أسهمــوا معه في إقامة هذا المشروع الإنساني الكبير..

نال العديد من الأوسمة والجوائــز.. تقديراً لجهوده الرائدة في الأعمال الخيرية.. ومنها جائــزة الملك فيصل العالمية لخدمــة الإسلام، والتي تبرع بمكافأتها (٧٥٠ ألف ريال سعودي) لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء إفريقية..

لم يطلب يوماً شهرة ولا مكانة.. وأجمع علــى حبه القاصي والداني.. وعجّت الدنيا بالدعاء له..

ارتحل عن ظهر هذه الدنيا مخلفاً في رصيده **أربعة آلاف داعية** سلكوا الدعوة في إفريقية على يديه، وثلاث جامعات..

قام رَحِمَهُ اللهُ بالعديد من المشـاريع الخيرية.. منها بنـاء (١٢٠٠) مسجد.. ودفع رواتب شهريـة لـ (٣٢٨٨) داعية ومعلم.. وحفـر (٢٧٥٠) بئراً إرتوازية.. وبناء (١٢٤) مستشفى ومستوصفاً.. وتوزيع (١٦٠) ألف طن من الأغذية والأدوية والملابس.. وتوزيـع أكثر من (٥١) مليون نسخة من المصحف الشـريف.. وطبع وتوزيع (٦٠٥) ملايين كتيب إسلامي بلغات إفريقية مختلفة.

يقول الدكتور رَحِمَهُ اللهُ: «أنتَ قادر علـى أن تقوم بعمل أكثر من هذا العمل.. لأني إنسان مذنب.. أنا إنسان خاطئ.. وأنت إن شاء الله.. وكلكم خير مني وأقرب إلى الله مني.. كل واحد منا وكل واحدة منا قادرة على أن تفعل ما هو أعظم من ذلك.. ولكن أين الإيمان يا إخوان؟.. أنا أدعوكم أن تفتحوا صدوركم.. وتغسلوا قلوبكم من حب الدنيا وتبيعوها لله وحده»..

رحم الله الشـيخ الدكتور السميـط القائل: «**كيف أُلقـي عصا الترحال وهنـاك الملايين يحتاجـون للهداية! وأنـا بحاجة إليهم يـوم القيامة ليشهدوا لي لعلّي أدخل الجنة بدعاء أحدهم**».

وها هو يرحل كما رحل الأنبياء.. وما هو منهم.. ولكنه عمل بعملهم..

رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناتـه.. وعوّضنا وأهله خيراً في هذا المصاب الجلل.. ويشـهد الله إنا لفراقك يا أبا صهيب لمحزونون.. ولكنا لا نقول إلا ما يرضي ربنا.. «**إنا لله وإنا إليه راجعون**»..

* * *



الليلة ٣٩٧

الشيخ والببغاء

• كـــان هناك شيخ يعلّم تلاميـــذه معنى «لا إلٰه إلا الله».. يشـــرحها لهم ويربيهم عَلَيْها..

أهداه أحد تلامذته يوماً ببغاء.. فكان الشيخ يأخذه معه في دروسه حتى تعلّم الببغاء نطق كلمة «لا إلٰه إلا الله».. فكان يرددها ليل نهار..

وذات يوم وجد التلامذة شيخهم يبكي بشدة..

وعندما سألوه أخبرهم أن قطّاً قتل الببغاء !..

فقالوا: ألهذا تبكي؟!..

فقال الشـــيخ: «لا أبكي لهذا...ولكن ما أبكاني أنه عندما هاجم القطُّ الببغاءَ أخذ يصرخ ويصرخ إلى أن مات..

لقد نسي الببغاء «لا إلٰه إلا الله» ولم يقم إلا بالصراخ !..

فقد كان يقولها بلسانه فقـــط.. فما أدركها قلبه.. وما عقلت جوارحُه كنهَ معناها !..

وأخاف أن نكـــون مثل هذا الببغاء.. نعيش حياتنا نـــردد «لا إلٰه إلا الله» بألسنتنا.. وننساها عندما يحضرنا الموت.. إذا لم ندرك معناها»..

أخذ الطلبة يبكون خوفاً من أن يكونوا من هؤلاء..

فالرسول ﷺ يقول: «**من قال: لا إلٰه إلا اللهُ، مخلصاً دخل الجنَّةَ**»[1].

---

(١) صحيح الجامع: ٦٤٣٣.

ولكن تذكر ساعة الموت !.. هل ستقول: لا إلٰه إلا الله، أم ستموت دون أن تقولها ؟..

هل سيطاوعك لسانك أم لا يطاوعك؟.

• فهذا **عمر بن عبدالعزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.. عند موته يقول: أجلسوني.. فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرْتني فقصّرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إلٰه إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر. فقالوا له: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين.

قال: إني أرى حضرةً ما هم بإنس ولا جن.. ثم قُبض رَحِمَهُ ٱللَّهُ.. وسمعوا تالياً يتلو: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

• وهذا شيخ الإسلام **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحتضر وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥].

• وعلى الجانب الآخر تجد من يقال له: قل: لا إلٰه إلا الله.. فيغنّي..

أو يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟..

أو يموت وهو سكران.. أو يسب دين الله تعالى..

ولقد رأينا بأعيننا من يموت على خشبة المسرح وهو يعزف ويغني..

نسأل الله تعالى أن يكتب لنا حُسن الختام..

* * *



الليلة ٣٩٨

ثق بربِّك

• الثقة بـــالله تجدها في **إبراهيم** عليه السلام عندما ألقي فـــي النار.. فقال بعزة الواثق بالله: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»..

فجاء الأمر الإلٰهي: ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

• تجدهـــا في **هاجر** عندما ولّـــى زوجها.. وقد تركها فـــي وادٍ غير ذي زرع.. صحراء قاحلة وشمس ملتهبة.. فقالت: يا إبراهيم لمن تتركنا ؟.

قالتها فقط لتسمع منه كلمة يطمئن بها قلبها.. فلما علمت أنه أمر إلٰهي.. قالت بعزة الواثق بالله: «**إذاً لا يضيّعنا**»..

ففجّر لها ماء زمزم وخلّد سعيها..

ولو أنها جزعت وهرعت لما تنعّمنا اليوم ببركة ماء زمزم !..

• تجدها في أولئـــك **القوم** الذين قيل لهـــم: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]..

ولكن ثقتهم بالله أكبر من قوة أعدائهم وعدّتهم.. فقالوا بعزة الواثق بالله: ﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۞ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤].

• تجدها في ذلـــك **المحزون** الذي هام علـــى وجهه ملتجئاً إلـــى الله.. مَنْ يا ترى يقضي ديْنه؟.. أو يحمل عنه شيئاً من همومه؟.. إنه الله..

فانطرح بين يديه، وبكى يتوسل إليه.. ففتح الله له أبواب الفرج.. فقضى ديْنه وأصلح أمره..

• ولما كان **موسى** عليه السلام يسير ليلاً متجهاً إلى النار يلتمس شهاباً قبساً.. لم يَدُرْ بخلده.. وهو يسمع أنفاسه المتعبة.. أنه متجه ليسمع صوت رب العالمين.. فثق بربك..

• ولما دعا **نوح** عليه السلام ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].. لم يخطر بباله أن الله سيغرق البشرية..

وأن سكان العالم سيفنون.. إلا هو ومن معه في السفينة.. فَثِق بربك..

• وعندما جاع **موسى** عليه السلام وصراخه يملأ القصر.. لا يقبلُ أي مرضع.. وأصبح الكلُّ مشغولاً به.. آسية.. المراضع.. والحرس !..

كل هذه الضجة لأجل قلب امرأة خلف النهر.. مشتاقة لولدها.. رحمة بها وبابنها ولطفاً من رب العالمين.. فَثِق بربك..

• ولمّا أطبقت الظلمات على **يونس** عليه السلام.. واشتدت الهموم.. اعتذر ونادى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]..

أتاه الغوث الإلٰهي: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨].. فثِق بربك..

• ولما اشتدت الهموم على **الحبيب المصطفى** عليه الصلاة والسلام.. ماتت زوجته وعمه.. وخذله أهل الطائف.. أمر ربه جبريل أن يعرج به إليه ويرفعه إلى السماء.. فأراه اللهُ عجائب آياته الكبرى.. ومنحه عطاءً رُوحيّاً عظيماً وتثبيتاً لفؤاده.. فَثِق بربك..

• ولما أخرج الله **يوسف** عليه السلام من السجن لم يرسل صاعقة تخلع باب السجن.. ولم يأمر جدران السجن فتتصدّع.. بل أرسل رؤيا تتسلل في هدوء الليل لخيال الملك وهو نائم.. فَثِق بربك..

* * *



الليلة ٣٩٩

لماذا العجلة إذن؟!

• إذا استعجلتَ في صلاتك..

فتـذكَّر أن كل ما تُريد لحاقَه..

وجميع ما تخشى فواته..

بِيَد من وقفـتَ أمامه..

فتمهَّل واستمتع بصلاتك.. فأنت ضيف ملك الملوك..

• كان **الحسن بن علي** رضي الله عنهما إذا دخل في الصلاة ارتعش واصفرّ لونه..

فإذا سئل عن ذلك قال: أتدرون بين يدي من أقوم الآن؟..

• استشعرْ وأنت تقرأ كل آية أنك تخاطب الله سبحانه.. ويردُّ عليك كل آية.

فإن كنتَ مهموماً قلقاً.. فاقرأ آيات فيها بشائر من الله تعالى بالتفريج عن عباده الصابرين..

وإن كنتَ حزيناً على دنيا فاتتك.. فاقرأ ما يُزهدك فيها.. ويقربك من رب العالمين..

قفْ عند كل آية.. فإن كانت آية رحمة ونعيم.. سألتَ الله من رحمته..

وإن كانت آية عذاب.. استعذتَ بالله منها.. وهكذا.

• وهذا **أبو هريرة** رضي الله عنه يقول:

إن الرجل ليصلي ستين سنة ولا تقبل منه صلاة..

فقيل له: كيف ذلك؟..

فقال: لا يتم ركوعها ولا سجودها.. ولا قيامها ولا خشوعها..

فالرسول ﷺ يقــول: «لا تُجْزِئُ صــلاةٌ لا يُقِيمُ الرجلُ فيهــا صُلْبَه في الركوعِ والسجودِ»[1].

• يقول **الإمام الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن الرجل ليسجد السجدة.. يظن أنه تقرّب بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ..

ووالله لو وُزِّع ذنب هذه السجدة على أهل بلدته لهلكوا»..

فسئل: كيف ذلك؟..

فقال: «يسجد برأسه بين يدي مولاه..

وهو منشغل باللهو والمعاصي والشهوات وحب الدنيا!..

فأي سجدة هذه؟!»..

• ويقول الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يأتي على الناس زمان يصلّون وهم لا يصلّون..

وإني لأتخوف أن يكون الزمان هو هذا الزمان»!..

تُرى ماذا تقول لو أتيتَ إلينا الآن يا إمام؟!..

* * *

(١) صحيح الجامع: ٧٢٢٥.



الليلة ٤٠٠

انتبه للأولويات..

وقف بروفيسور أمام تلاميذه.. ومعه بعض الوسائل التعليمية..

بدأ الـــدرس ودون أن يتكلم أخرج عبوة زجاجية كبيـــرة فارغة.. وأخذ يملؤها ب(كُرَات الجولف)..

ثم سأل التلاميذ: هل الزجاجة التي في يده ملأى أم فارغة؟..

فاتفق التلاميذ على أنها ملأى..

أخذ صندوقاً صغيراً من الحصى.. وسكبه داخل الزجاجة..

ثم رجّها بشدة حتى تخلخل الحصى في المساحات الفارغة بين كرات الجولف..

ثم سألهم إن كانت الزجاجة مليئة أم لا ؟..

فاتفق التلاميذ مجدداً على أنها كذلك..

أخذ بعد ذلك صندوقاً صغيراً من الرمل.. وسكبه فوق محتويات الزجاجة..

وبالطبع فقد ملأ الرمل باقي الفراغات فيها..

وسأل طلابه مرة أخرى إن كانت الزجاجة مليئة؟..

فردوا بصوت واحد: بأنها كذلك..

أخرج البروفيسور بعدها فنجاناً من القهوة.. وسكب كامل محتواه داخل الزجاجة..

فضحك التلاميذ من فعلته..

وبعد أن هدأ الضحك.. شرع البروفيسور في الحديث قائلاً: الآن أريدكم أن تعرفوا ما هي القصة..

فهذه الزجاجة تمثل حياة كل واحد منكم..

وكرات الجولف.. تمثل **الأشــياء الضرورية** في حياتك: دينك، قيمك، أخلاقك، عائلتك، أطفالك، صحتك، أصدقاءك.

فلو أنك فقدت «كل شيء» وبقيت هذه الأشيــاء فستبقى حياتك مليئة وثابتة..

أمــا الحصى فيمثّــل **الأشــياء المهمة** فــي حياتك: وظيفتــك، بيتك، سيارتك..

وأما الرمل فيمثل بقية الأشياء من **الأمور البسيطة والهامشية**..

فلو كنت وضعت الرمل في الزجاجة أولاً..

فلن يتبقى مكان للحصى أو لكرات الجولف..

وهذا يسري على حياتك الواقعية كلها.. فلو صرفتَ كل وقتك وجهدك على توافه الأمور.. فلن يتبقى مكان للأمور التي تهمك!..

فعليك أن تنتبه قبل كل شيء للأشياء الضرورية لحياتك واستقرارك..

واحرص على الانتباه لعلاقتك بدينك.. وتمسّك بقيمك ومبادئك..

امرح مع عائلتك، والديك، إخوتك، وأطفالك..

قدّم هدية لشريك حياتك وعبر له عن حبك..

وحين انتهــى البروفيسور من حديثه.. رفع أحــد التلاميذ يده قائلاً: لم تبين لنا ما تمثله القهوة؟..

فابتسم البروفيسور وقال: أنا سعيد لأنك سألت..

أضفت القهوة فقط لأوضح لكم.. بأنه **مهما كانت حياتك مليئة..**

فستبقى هناك دائماً مساحة..

* * *



الليلة ٤٠١

ماتت أمي !

شاب في فترة المراهقة يروي قصته مع أمه فيقول: كنت أبتعد كثيراً عن البيت وأتأخر في العودة إليه، وكان ذلك يغضب أمي كثيراً..

كنت لا آكل في البيت إلا نادراً، بل كنت أقضي معظم النهار نائماً..

ولا أعود ليلاً إلا متأخراً بعد أن تنام أمي..

فأصبحتْ تترك لي قبل أن تنام رسالة على باب الثلاجة.. فيها إرشادات لمكان الطعام ونوعه وكيفية تجهيزه.. وطلبات لوضع الملابس المتسخة في الغسيل.. وتذكير بالمواعيد المهمة وما إلى ذلك..

وهكذا مرت معظم فترة مراهقتي على هذا الحال..

وذات ليلة.. عدتُ إلى البيت.. فوجدت الرسالة المعتادة على الثلاجة..

فتكاسلتُ عن قراءتها.. وخلدتُ إلى النوم..

وفي الصباح فوجئتُ بأبي يوقطني والدموع في عينيه..

ماتت أمك.. ماتت أمك !..

كم آلمني هـذا الخبر.. تماسكتُ نفسـي حتى دفنّاهـا وتقبّلنا مراسم العزاء..

عدت في المساء إلى البيت وفي صدري بقايا قلب من كثرة الأحزان...

تمددتُ على سريري.. وفجأة قمتُ منتفضاً..

تذكرتُ رسالة أمي التي على الثلاجة.. تذكرتُ أنني لم أقرأها بعد..

أسرعتُ نحو المطبخ.. وخطفت الورقة.. وقرأتها...

لقد أصابني هذه المرة حزن شديد!..

يا إلٰهي.. لم تكن رسالة اليوم أوامر أو نصائح.. كل ما كان فيها:

«ابني الحبيب.. وحشْتني كثيراً.. وأتمنى أن أجلس معك.. **فأنا أمك.. أمك.. هل نسيت أن لك أمّاً؟!..**

إنني متأكدة بأن **في داخلك خيراً عظيماً**.. وسيظهر يوماً ما..

حبيبي... إني أسامحك من قلبي لأنني أحبك..

التوقيع: أمك»..

ومن ذلك اليوم تغيرت أحوالي.. هدأت روحي.. وانتهت مراهقتي بلا رجعة..

بدأ عهد الرجولة عندي.. عملاً بوصية أمي التي قالت: «**إن في داخلك خيراً عظيماً**»..

أزورها في قبرها.. لأتذكر حنانها وكلماتها.. ودفء صدرها..

أصبحتُ آنس بها حتى وهي تحت التراب.. ولا أملّ من دعائي لها بالرحمة والمغفرة...

«**ربِّ اغفر لي ولوالدي، ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً**»[1].

احرصوا على آبائكم وأمهاتكم فإنهم **ضيوف عندكم**.. فأحسنوا وفادتهم.. فإنهم مفارقونكم يوماً ما إلى الأبد..

* * *

---

(١) من كتاب: صناعة الذكريات مع الأبناء، (بتصرف).



وصية بعشرة آلاف (١)

الليلة ٤٠٢

روي أن أحدَ الولاةِ كان يتجول ذات يوم في السوق القديم متنكراً في زي تاجر..

وقع بصره على دكانٍ قديمٍ شبــه خالٍ.. كان فيه رجل طاعن في السن.. يجلس بارتخاء على مقعد قديم متهالك..

لم يلفت نظر الوالي سوى بعض اللوحات التي تراكم عليها الغبار..

سأل الوالي الرجلَ: دخلتُ السوق لأشتري، فماذا عندك مما يباع ؟..

أجاب الرجل بهدوء وثقة: عندي أحسن وأثمن بضائع السوق !..

فما كان من الوالي إلا أن ابتسم ثم قال: هل أنت جاد فيما تقول ؟..

أجاب الرجل: نعــم، فبضائعي لا تقدر بثمن.. أمــا بضائع السوق فلها ثمن محدد لا تتعداه !..

أنا أبيع الحكمة.. وقد بعتُ منها الكثير.. وانتفع بها الذين اشتروها!..

ولم يبق عندي سوى لوحتين!..

تقدم الوالي إلى إحدى اللوحتين ومسح عنها الغبار.. فإذا مكتوب فيها: (**فكّر قبل أن تعمل**)!..

تأمل الوالي العبارة طويــلاً.. ثم التفت إلى الرجل وقال: بكم تبيع هذه اللوحة؟..

قال الرجل بهدوء: بعشرة آلاف دينار فقط!..

قال الوالي: عشرة آلاف دينار !.. هل أنت جاد؟..

قال الشيخ: ولا نقاش في الثمن !..

فأوحى إليه أنه سيدفع في اللوحة ألف دينار..

لكن الرجل رفض.. فزاد ألفاً ثم ثالثة ورابعة حتى وصل إلى تسعة آلاف دينار..

والعجوز ما زال مصرّاً على كلمته التي قالها..

ضحك الوالي وقرر الانصراف.. وهو يتوقع أن العجوز سيناديه إذا انصرف..

لاحظ أن العجوز لم يكترث لانصرافه.. وعاد إلى كرسيه المتهالك فجلس عليه بهدوء..

وفيما كان الوالي يتجول في السوق فكّر.. لقد كان ينوي أن يفعل شيئاً تأباه المروءة..

فتذكر تلك الحكمة (**فكّر قبل أن تعمل!**) وأدرك أنه انتفع بتلك الحكمة..

وجد نفسه يهرول باحثاً عن دكان العجوز في لهفة..

وقال: لقد قررتُ أن أشتري اللوحة بالثمن الذي حددته!..

نهض العجوز من كرسيه بكل هدوء.. ومسح بقية الغبار عن اللوحة.. ثم ناولها الوالي.. واستلم المبلغ كاملاً.. وقبل أن ينصرف الوالي قال له الشيخ: بعتك هذه اللوحة بشرط!..

قال الوالي: وما هو هذا الشرط؟..

قال: **أن تكتب هذه الحكمة على باب بيتك.. وعلى أكثر الأماكن في البيت.. وحتى على أدواتك التي تحتاجها عند الضرورة!..**

فكّر الوالي قليلاً ثم قال: موافق!..



الليلة ٤٠٣

وصية بعشرة آلاف (٢)

ذهب الوالي إلى قصره.. وأمر بكتابة هذه الحكمة في أماكن كثيرة في القصر.. حتى على بعض ملابسه وملابس نسائه وكثير من أدواته !..

وذات يوم قــرر قائد الجند أن يقتل الوالي لينفــرد بالولاية.. واتفق مع حلاق الوالي الخاص على القيام بذبح الوالي!..

ولما توجَّه الحلاق إلى قصر الوالي أدركه الارتباك.. إذ كيف سيقتل الوالي؟!..

إنها مهمة صعبة وخطيرة.. وقد يفشل ويطير رأسه !..

ولما وصل إلى باب القصر رأى مكتوباً على البوابة: (فكّر قبل أن تعمل!..)

فازداد ارتباكاً.. وساوره الخوف، ولكنه جمع نفسه ودخل..

وفي الممر الطويل، رأى العبارة ذاتها تتكرر عدة مرات هنا وهناك:

(فكّر قبل أن تعمل).. (فكر قبل أن تعمل).. (فكر قبل أن تعمل)!..

قرر أن يطأطئ رأسه، فلا ينظر إلا إلى الأرض.. لكنه رأى على البساط نفس العبارة تخرق عينيه !..

وعندما دخل الوالي هاله أن يرى ثــوب الوالي مكتوباً عليه: (فكّر قبل أن تعمل)..

شعر أنه هو المقصود بهذه العبارة.. بل داخلــه شعور بأن الوالي ربما يعرف ما خطط له !..

وحين أتى الخــادم بصندوق الحلاقة الخاص بالوالــي.. أفزعه أن يقرأ على الصندوق نفس العبارة (فكر قبل أن تعمل)!..

اضطربت يداه وهو يعالج فتح الصنــدوق.. وأخذ جبينه يتصبب عرقاً.. وبطرف عينه نظر إلى الوالي الجالس.. فــرآه مبتسماً هادئاً مما زاد في اضطرابه وقلقه !..

فلما همّ بوضع رغوة الصابون.. لاحظ الوالي ارتعاش يده.. فأخذ يراقبه بحذر شديد وتوجس..

وجد نفسه يسقط منهاراً بين يدي الوالي.. وهو يبكي منتحباً..

شرح للوالي تفاصيل المؤامــرة.. وذكر له أثر هــذه الحكمة التي كان يراها في كل مكان..

مما جعله يعترف بما كان ينوي القيام به !..

نهض الوالي وأمر بالقبض على قائد الحرس وأعوانه.. وعفا عن الحلاق..

وقف الوالي أمــام تلك اللوحة فاشتاق لمكافأة ذلــك العجوز.. وشراء حكمة أخرى منه !..

ذهب إلى السوق فأخبره الناس أن العجوز قد مات !..

ماذا لو أن أحدنا كتب هذه العبارة مثلاً:

(الله ينظر إليك)..(الله قريب منك)..(الله معك يسمعك ويحصي عليك)..

في عدة أماكن مــن البيت.. وفي مقر عملك.. علــى شاشة الكومبيوتر مثلاً.. وعلى طاولة المكتــب.. وعلى الحائط الــذي يواجهك.. وفوق التلفاز مباشــرة.. يراها وهو يتابع ما في الشــاشة ! وعلى لوحة صغيرة يعلقها في واجهة سيارته؟..

فلا شــك أنه سيجد لها أثــراً بالغاً فــي حياته.. استقامة فــي سلوكه.. والتزاماً في جوارحه..

وسيغدو مباركاً حيثما كان..



الليلة ٤٠٤

لا عليك بغيرك..

• يُحكى أنه حدثت مجاعة بقرية.. فطلب الوالــي من أهل القرية طلباً غريباً كمحاولة منه لمواجهة خطر القحط والجوع..

أخبرهم بأنه سيضع قِدْراً كبيراً في ساحة القرية..

وأن على كل رجل وامرأة أن يضع في القِدر كوباً من اللبن..

بشرط أن يصب كل واحد الكوبَ من دون أن يشاهده أحد!..

هرع الناس لتلبية طلب الوالي.. كلٌّ منهم تخفَّى بالليل.. وسكب ما في الكوب الذي يخصه..

وفي الصباح فتح الوالي القِدْر.... فهاله ما رأى!..

شاهد القــدر وقد امتلأ بالمــاء! بالماء دون لبن.. فصــاح بالقوم: أين اللبن؟!..

وسأل لماذا وضع كل واحد منهم الماء بدلاً من اللبن؟..

والإجابة سهلة.. فكلٌّ قال في نفسه: «إن وضعي لكوبٍ واحدٍ من الماء لن يؤثر على كمية اللبن الكبيرة التي سيضعها أهل القرية»!.

كل واحد منهم اعتمد على غيره!.. وكلٌّ منهم فكّر بالطريقة نفسها التي فكّر بها أخوه.. وظن أنه الوحيد الذي سكب الماء بدل اللبن..

• فهل تملأ الأكواب بالماء بدل اللبن عندما تحتاج إليك الأمة؟..

فعندما لا تشعر بمسؤوليتك تجاه المصائب والمحن التي تتعرض إليها أمّتك.. فأنت تملأ الأكواب بالماء..

وعندما لا تتقن عملك بحجة أنه لن يظهر وسط أعمال كثيرة سيقوم بها غيرك.. فأنت تملأ الأكواب بالماء..

وعندما تحرم الفقراء من مالك.. ظنّاً منك أن غيرك سيتكفل بهم.. فأنت تملأ الأكواب بالماء..

قم بواجبك على أكمل وجه.. ولا عليك بغيرك.. سواء قصّر به أو أتقنه..

أدّ واجبك على خير ما يرضي الله..

واخدم النّاس على خير يرضى عنه الله..

ولا تعتمد كثيراً على أحد في هذه الحياة..

فحتى ظلُّك.. يتخلى عنك في الأماكن المظلمة !..

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

* * *



فتح الأبواب

الليلة ٤٠٥

بعض الأبواب تُفتح بأرقامٍ سرّية..

وبعضها يفتح ببصمة اليد..

أما أبواب السماء.. فتفتح بالدعاء!..

فمن هم الذين يستجيب الله لهم الدعاء؟:

١ ـ دعوة **المظلوم**: فالرسول ﷺ أوصى معاذاً رضي الله عنه فقال: «**واتقِ دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**»[١].

٢ ـ دعوة **المسلم لأخيه بظهر الغيب**: فالنبيُّ ﷺ يقول: «**دعوةُ المسلم لأخيه، بظهرِ الغيبِ، مُستجابةٌ؛ عند رأسِه ملَكٌ مُوكَّلٌ؛ كلما دعا لأخيه بخيرٍ، قال الملَكُ الموكلُ به: آمين، ولكَ بمِثل**»[٢].

٣ ـ دعوة **الوالد لولده أو على ولده.**

٤ ـ دعوة **المسافر**: فالرسول ﷺ يقول: «**ثلاثُ دَعوات يُستجابُ لَهُنَّ لا شكَّ فِيهِنَّ: دعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافِرِ، ودعوةُ الوالِدِ لِولدِهِ**»[٣].

٥ ـ دعوة **الصائم عند فطره**، ودعوة **الإمام العادل:**

فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**ثلاثٌ لا تُرَدُّ دعوتُهُم: الإمامُ العادلُ، والصَّائمُ حينَ**

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح الجامع: ٣٠٣٣.

يُفطرُ، ودعــوةُ المظلومِ يرفعُها فوقَ الغمامِ، وتُفتَّــحُ لَها أبوابُ السَّماءِ، ويقولُ الرَّبُّ تبارك وتعالى: وعزَّتي لأنصرنَّكَ ولو بعدَ حينٍ»[(١)].

٦ ـ دعوة **الولد الصالح**: فالرسول ﷺ يقول: «إذا مــاتَ الإنسانُ انقَطعَ عنه عملُهُ إلَّا من ثلاثٍ: صَدقةٍ جاريةٍ، وعِلمٍ يُنتَفعُ بِهِ، وولدٍ صالحٍ يدعو لَهُ»[(٢)]

٧ ـ دعوة **المضطر**: فالله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

٨ ـ **من بات طاهراً** على ذكر الله: فالنبي ﷺ يقول: «ما من مسلمٍ يَبِيتُ على ذِكْرٍ طاهراً فيَتعارُّ من الليلِ فيسألُ اللهَ خيراً من الدنيا والآخرةِ إلا أعطاه إياه»[(٣)].

٩ ـ من دعا **بدعوة ذي النون**: فرسول الله ﷺ يقول: «دعوةُ ذي النُّونِ إذ دعاه وهو في بطنِ الحوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فإنه لم يَدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ؛ إلا استجاب اللهُ له»[(٤)].

١٠ ـ دعوة **الحاج والمعتمر والغازي** في سبيل الله: فرسول الله ﷺ يقول: «الغازي فــي ســبيلِ اللهِ، والحــاجُّ والمعتمِرُ، وفْــدُ اللهِ، دعاهُم، فأجابوهُ، وسألوهُ، فأعطاهُم»[(٥)].

١١ ـ دعوة **الذاكــر** الله كثيراً: فالحبيب المصطفى يقــول: «ثلاثةٌ لا يردُّ دعاؤهُم: الذاكِرُ اللهَ كثيراً، ودعوةُ المظلومِ، والإمامُ المقسطُ»[(٦)].

---

(١) صحيح الترمذي: ٢٥٢٦.

(٢) صحيح الترمذي: ١٣٧٦.

(٣) صحيح أبي داود: ٥٠٤٢.

(٤) صحيح الترغيب: ١٦٤٤.

(٥) صحيح ابن ماجه: ٢٣٥٧.

(٦) السلسلة الصحيحة: ١٢١١.



الليلة ٤٠٦

لو عرفوك لأحبوك

• حَدَثَ انقلاب جذري للمنتج الهولندي «آرنولد فاندرون» من منتج فيلم مسيء للرسول محمد ﷺ.. إلى منتج فيلم يعكس أخلاق «سيد البشر»..

قال الهولندي «فاندرون» منتج الفيلم المسيء للرسول ﷺ.. الذي أدى فريضة الحج عام (٢٠١٣م): «إن دموعه لم تتوقف منذ وصوله مكة.. وإنه يعيش الآن أجمل اللحظات».

وقال: «هنا وجدت ذاتي بين هذه القلوب المؤمنة.. **ودعواتي لله أن تمسح دموعي كلَّ ذنوبي بعد توبتي**»

وكان قد أدى العمرة في شهر فبراير (٢٠١٣م)، وقال: إنه وجد الراحة والطمأنينة بجوار قبر المصطفى ﷺ.. ولكن ارتباطاته الأسرية والعملية تحرمه من الإقامة بجواره.

تشوّقَ لمعرفة الكثير عن الإسلام بعد ردود الأفعال ضد إنتاج فيلم «الفتنة».. فبدأ بالقراءة عنه حتى تخلل الإسلام قلبَه.. وأشهر إسلامه بعد ذلك.. رغم أنه كان ينتمي لحزب الحرية الهولندي المتطرف في عدائه للإسلام والمسلمين !..

اعتبرَ «فاندرون» الفيلمَ المسيء للرسول ﷺ نقطة سوداء في حياته.. وقال: إن خجله الشديد تضاعف أمام قبر الرسول ﷺ.. حيث جال بخاطره حجم الجرم الكبير الذي اقترفه قبل أن يشرح الله صدره للإسلام.

وأكد أنه سوف ينتــج فيلماً آخر يخدم الإســلام والمسلمين.. ويعكس أخلاق نبي الرحمة بعد عودته من رحلة الحج..

فيا حبيبي يا رسول الله !لو عرفوا قدرك لأحبوك..

لو أدركوا ذلك لوجدوا أنك أعظم رجل عرفتْه الدنيا..

• ورحم الله **أحمد شوقي** إذ يقول:

وُلِـد الهُدى، فالكائنـات ضياءُ ... وفـم الزَّمـان تَبَسُّـمٌ وثنـاءُ

يا خيـرَ من جاءَ الوجـودَ تحيةً ... من مرسلينَ إلى الهُدى بك جاؤوا

يومٌ يتيـهُ على الزَّمـان صباحُه ... ومسـاؤُه بمحمَّـدٍ وضَّـاءُ

زانَتْكَ في الخُلُق العظيم شمائلٌ ... يُغـرى بهـن ويُولَـعُ الكُرَماءُ

فإذا سخوتَ بلغتَ بالجودِ المَدى ... وفعلـتَ مـا لا تفعـلُ الأنواءُ

وإذا عفـوتَ فقـادراً، ومقـدَّراً ... لا يستهيـنُ بعفـوك الجُهَـلاءُ

وإذا رحمـتَ فأنـتَ أمٌّ أو أبٌ ... هذانَ فـي الدُّنيا همـا الرُّحماءُ

وإذا غضبـتَ فإنما هــي غَضبةٌ ... في الحبِّ، لا ضغنٌ ولا بغضاءُ

وإذا قضيتَ فلا ارتيـابَ كأنَّما ... جاءَ الخُصُومَ مـن السَّماءِ قضاءُ

وإذا أخـذتَ العهـدَ أو أعطيتَهُ ... فجميـعُ عهـدِك ذِمَّـةٌ ووفـاءُ

• وما أجمل ما قال **حسان بن ثابت** في مدحك يا رسول الله:

وأجمـلُ منك لم ترَ قـطُّ عيني ... وأكـرُم منك لـم تلـدُ النساءُ

خُلقـتَ مبـرَّأً مـن كـلِّ عيبٍ ... كأنَّـكَ قـد خُلقْتَ كمـا تشاءُ

صلى عليك الله يا علم الهدى..

ما هبّت النسائم.. وما ناحت على الأيك الحمائم..

* * *



الليلة ٤٠٧

الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف !

• الشباب داعٍ إلى الشهوة..

والشاب قد يستحيي من أهله ومعارفه من قضاء وطره..

فإذا صار في دار الغربة: زال ذلك الاستحياء والاحتشام..

وإذا كان عزباً.. كان أشد لشهوته..

وإذا كانت المرأة هي الطالبة.. كان أشد..

وإذا كانت جميلة.. كان أعظم..

فإذا كانت ذات منصب.. كان أقوى في الشهوة..

فإن كان ذلك في دارها وتحت حكمها بحيث لا يخاف الفضيحة ولا الشهرة.. كان أبلغ..

فإن استوثقت بتغليق الأبواب والاحتفاظ من الداخل.. كان أقوى للطلب..

فإن كان الرجل كمملوكها وهي كالحاكمة عليه.. كان أبلغ..

فإذا كانت المرأة شديدة العشق والمحبة للرجل.. قد امتلأ قلبها من حبه..

فهذا الابتلاء الذي صبر معه يوسف عليه السلام.

• كان فتى من أهل المدينة يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. وكان عمر يتفقده إذا غاب..

عشقتْه امرأة من أهل المدينة، فذكرت ذلك لبعض نسائها..

فقالت إحداهن: أنا أحتال لكِ في إدخاله عليك..

قعدت... لـه في الطريق، فلما مر بها قالت له: إنـي امرأة كبيرة السن..

ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها.. فلو دخلتَ فحلبْتها لي!..

فدخل فلــم ير شاة، فقالت: اجلــس حتى آتيك بها.. فــإذا المرأة قد طلعت عليه..

فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه..

فأرادته عن نفسه فأبى وقال: اتقي الله أيتها المرأة..

فجعلتْ لا تكفّ عنه ولا تلتفت إلى قوله..

فلما أبى عليها صاحت عليه..

فجاؤوا فقالت: إن هذا يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه، وأوثقوه..

فلما صلى عمر الغداة فقده.. فبينما هو كذلك إذ جاؤوا به في وثاق..

فلما رآه عمر قال: اللهم لا تخلفْ ظني به!..

قال: ما لكم؟ قالوا: استغاثت امرأة فجئناها.. فوجدنا هذا الغلام عندها فضربناه وأوثقناه..

فقال عمر: اصدقني.. فأخبره بالقصة على وجهها..

فقال له عمر: أتعرف العجوز؟ فقال: نعم؛ إن رأيتها عرفتها.

فأرسل عمر إلى نســاء جيرانها وعجائزهن، فجــاء بهن فعرضهن، فلم يعرفها فيهن.. حتى مرت به العجوز فقال: هذه يا أمير المؤمنين..

فرفع عمر عليها الدرة، وقــال: اصدقيني.. فقصــت عليه القصة كما قصّها الفتى..

فقال عمر: **الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف!..**

* * *



الليلة ٤٠٨

الحياة كالوردة

• حين تشمّ عبيرها.. تنطلق إلى الخيال..
وحين يدميك شوكها.. ترجع إلى الحقيقة..
فلا تجعل عبيرَ الدنيا ينسيك طاعة الله..
ولا تجعل وخز الأشواك يقنطك من رحمته..

• ولا تذهب إلى حيث تأخذك الحياة..
بل خذ الحياة إلى حيث أنت ذاهب..

• تذكر دائماً أنك ولدتَ لتحيا..
ولستَ حيّاً لأنك وُلدت!..

• هكذا هي الحياة.. لوحة لا يكتمل رسمها لأحد..
وأنشودة تسرّك أحياناً.. وتبكيك أحياناً أُخرى..
لكن الأمل بالله والطمع في رحمته لا ينقطع عند المؤمن أبداً..

• ابتسم للحياة.. فنحن لا نستطيع أن نغير الأمس.. أو نعدّل فيه..
تذكر دائماً تلك الحكمة الجميلة:
«**إن من يتقن فن العيش مع نفسه فلن يعرف البؤس أبداً**»..

• تفاءل وأحسِن الظنَّ بخالقك.. فستجد للحياة معنى أجمل..
فلماذا نغلق أعيننا عندما نضحك بشدة؟!..
وعندما نحلم..

وعندما نتعانق..

وعندما نبكي..

وعند الخشوع !..

لأن أجمل ما في الحياة.. لن تراه بعينك..

بل ستشعر به بقلبك وجوارحك..

• والحياة لا تعطيك إلا بقدر ما تعطيها..

ولا تحرمك إلا بمقدار ما تحرم نفسك منها..

• الحياة مثل متجرٍ تتجول فيه.. وتأخذ ما يطيب لك من البضائع المعروضة..

ولكن تذكر أن الحِساب أمامك.. وستدفع ثمن كل شيء أخذته !..

• افعل ما شئت !.. فسيأتي اليوم الذي يُفعل بك كما فعلت..

وعندما تظلِم فستُظلَم يوماً ما..

وعندما تكذِب ! فسيُكذب عليك يوماً ما..

فافعل الآن ما تُحب أن يُفعَل بك غداً !..

جاء في الأثر: «**البرُّ لا يَبْلَى، والذنبُ لا يُنْسَى، والدَّيَّانُ لا يموتُ، اعْمَلْ ما شِئْتَ، كما تَدِينُ تُدَانُ**»[1].

• انظر إلى الخلف ففيه عبرة تردعك..

وانظر إلى الأمام ففيه أمل يجذبك..

وعش حياتك لله.. تكن أسعد خلق الله..

* * *

---

(١) ضعيف الجامع: ٢٣٦٩.



الليلة ٤٠٩

طفل أمريكي مسلم

طفل أمريكي يدرس الإسلام في السادسة من عمره.. ويشهر إسلامه في الثامنة!..

يقول الرسول ﷺ: «**ما من مولــود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**»[١].

ولد «ألكساندر فرتز» لأبوين مسيحيين فـــي عام (١٩٩٠م).. وقررت أمه أن تتركه ليختـــار دينه بنفسه.. فأحضرت له كتبـــاً دينية في شتى الأديان..

وبعد قراءة متفحصة.. **أعلن إســـلامه وعمره ثماني سنوات**.. بل وتعلم الكثير عن الإسلام من صلاة وأحكام.. وقراءة للقرآن..

سمى نفسه (محمد عبد الله) تيمُّناً باسم النبيِّ الذي طالما أحبه!..

استضافته إحدى القنوات الإسلامية وكان بصحبة والدته..

كان مقدم البرامج يستعد لإلقاء الأسئلة على الصغير.. إلا أنه فوجئ به يسأله: كيف يمكنني أداء الحج والعمـــرة؟.. هل الرحلة مكلفة؟.. ومن أين أشتري ملابس الإحرام؟..

كان الصغير حينما يأتي موعد الصلاة في مدرسته.. يقف وحده ويؤذن ثم يقيم الصلاة بمفرده!..

(١) رواه البخاري.

سأله المذيع: هل تقابلك مشاكل أو مضايقات في ذلك؟.. فأجاب الطفل بحسرة: تفوتني بعض الصلوات أحياناً بسبب عدم معرفتي بالأوقات!.

سألــه: ما الذي جذبك إلى الإســلام؟.. فأجاب: كلما قــرأت عنه أكثر أحببته أكثر..

سأله: ما هي أمنياتك؟.. فأجاب في لهفة: لدي أمنيتان:

الأولى: أن **أصبح مصوِّراً أنقل الصورة الصحيحة عن المسلمين**.. إذ كثيراً ما تؤلمني الأفلام الأمريكية القذرة التى تشوه صورة حبيبي محمد ﷺ ..

والثانية: أتمنى أن أذهب إلى مكة المكرمة و**أقبّل الحجر الأسود**..

وهنا تدخلت أمه المسيحية قائلة: إن حجرة ابني مملوءة بصور الكعبة.. وهو يدخر من مصروفه الأسبوعي حتى يتسنى له زيارتها.. ولديه إيمان حقيقي لا يحس به الآخرون!..

سأله: هل صمــتَ رمضان؟ فأجاب: نعم.. لقد صمــت العام الماضي.. وكان والدي يتحداني بأني لا أستطيع.. ولكنه ذُهل عندما فعلت ذلك!..

سأله: وما هــي أمنياتك الأخرى؟ فأجــاب: أتمنى أن تعــود فلسطين للمسلمين.. فهذه أرضهم وقد اغتصبها الإسرائيليون منهم!..

سأله: هل تأكل مع والديك لحم الخنزير؟.. فأجاب: الخنزير حيوان قذر جدّاً.. أنا لا آكله ولا أعرف كيف يأكله الناس!..

حان وقت صلاة المغرب.. فنظر إلى المذيع قائلاً: **هل تسمح لي بالأذان؟**..

ثم قام وأذّن في الوقت الذي اغرورقت فيه عينا المذيع بالدموع !..

ترى.. هل علّمْنا أبناءنا أن يهتموا بالإسلام كما يهتم به هذا الطفل؟!..

* * *



الليلة ٤١٠

كاد يبيع الإسلام بعشرين بنساً!

• قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**كونوا دُعاة إلى الله وأنتم صامتون**».

فقيل: كيف ذلك؟.

قال: «**بأخلاقكم**»!.

• فمنذ سنوات.. انتقل أحد المسلمين للسكن في مدينة لندن ليقترب قليلاً من مكان عمله..

وكان يركب الباص دائماً من منزله إلى مكان عمله.

وكثيراً ما كان يستقل نفس الباص بنفس السائق..

وذات مرة دفع أجرة الباص وجلس..

اكتشف أن السائق أعاد له (٢٠) بنساً زيادة عن الأجرة المعروفة..

فكّر الأخ المسلم وقال في نفسه: عليّ إرجاع المبلغ الزائد لأنه ليس من حقي!..

فكّر مرة أخرى وقال في نفسه: «انسَ الأمر.. فالمبلغ زهيد.. وشركة الباصات تحصل على الكثير من المال من أجرة الباصات.. ولن ينقص عليهم شيء بسبب هذا المبلغ الزهيد..

إذن سأحتفظ بالمال وأعتبره هدية من الله وأسكت»!..

توقف الباص عند المحطة التي يريدها المسلم.. لكنه قبل أن يخرج من البــاب توقف لحظة ومد يــده وأعطى السائق العشــرين بنساً وقال له: تفضَّل.. لقد أعطيتني أكثر مما أستحق من المال !..

أخذها السائق وابتسم وسأله: «ألســت الساكن المسلم الجديد في هذه المنطقة؟..

فأنا أفكر منذ فترة في الذهاب إلى مسجدكم للتعرف على الإسلام..

ولقد **أعطيتك المبلغ الزائد عمداً لأرى كيف يكون تصرفك**»!.

وعندما نزل المسلم من الباص.. شعر بضعــف في ساقيه وكاد أن يقع أرضاً من رهبة الموقف !..

تمسّك بأقرب عمود ليستنــد إليه.. ونظر إلى السماء ودعا باكياً: يا الله.. حمداً لك يا إلٰهي أن نجّيتني وأنقذتني فــي هذا الامتحان.. فقد كدت أبيع الإسلام بعشرين بنساً !..

• ألسنا نحن النافذة التي يرى الآخرون من خلالها الإسلام؟..

ألا ينبغي أن نكون قدوة للآخرين؟..

فهــذا شاب عربي رفــض أبوه زواجه مــن صديقته الأمريكيــة إلا إذا أسلمتْ..

فأعطاها كتباً عن الإسلام..

وبعد أن قرأت عن الإسلام وأسلمتْ.. رفضتِ الزواج من هذا الشاب..

فلما سألها.. قالت: **لم أجد فيك معنى الإسلام !..**

* * *



الليلة ٤١١

لا تحقرنّ من البشر أحداً

• دخل طالب جديد إلى قاعة إحدى الجامعات وكان لابساً جزمة!..

وخلال المحاضره سأل الدكتور سؤالاً.. فأجابه الطالب «أبو الجزمة» وكانت إجابته خاطئة.. انزعج الدكتور كثيراً من الإجابة وقال للطالب: «منذ أن رأيتك لابساً الجزمة في وقت الصيف وأنا أشعر باليأس منك ومن أمثالك»!..

ضحك كل من في القاعة على الطالب.. فقام بكل ثقة وقال: «أنعم الله عليكم بأشياء كثيرة، لكن أخذ منكم زينة العقل»!..

أوقف الطلاب ضحكهم باندهاش.. والدكتور يزداد عصبية..

وقبل أن يتخذ الدكتور أي إجراء بحق الطالب.. قام الطالب من كرسيّه ورفع ثوبه..

وإذا بكلتا رجليْه من أطراف اصطناعية.. ولا يمكن أن يستوعبها شيء سوى تلك الجزمة !..

وقف الدكتور مبهوراً وعيونه ملأى بالدموع.. وألغى المحاضرة..

• فلا تسخر في حياتك من أحد فلربما ابتلاك بما سخرت منه..

لا تحتقر أحداً.. فلا تدري ماذا أودع الله في القلوب..

ولعلنا نسخر من أناس قد وضعوا رحالهم في الجنة !..

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١] .

وقال عن قوم: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠].

قال القرطبي: «السخرية: الاستحقـار والاستهانة.. والتنبيه على العيوب والنقائص بوجه يُضحك منه.. وقد تكـون بالمحاكاة بالفعل والقول أو الإشارة أو الإيماء.. أو الضحك على كلام المسخور منه.. إذا تخبط فيه أو غلط، أو على صنعته أو قبح صورته.. وقال آخرون: هو ذكر الشخص بما يكره على وجه مضحك بحضرته»..

والميزان عند الله تعالى هو بالتقوى.. يقول رسول الله ﷺ: «**رُبَّ أشعث أغبر ذي طِمرين** ـ الثوب الخَلِق البالي ـ **تنبو عنه أعين الناس؛ لو أقسم على الله لأبرَّه**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٢).

• كان **أبو بكر بن عبد الله المزني** يقول:

إذا رأيتَ مـن هو أكبر منـك فعظّمه وقل: إنـه سبقني إلى الإسـلام والعمل الصالح..

وإذا رأيتَ من هو أصغر منك فعظّمه وقل في نفسك: إني قد سبقته إلى الذنوب..

وإن كان مثلك فإنك لا تدري أيكما إلى الله أقرب..

* * *

(١) سنن الترمذي: ١٢ / ٣٥٠ (٣٧٨٩) تحقيق الألباني: صحيح، المشكاة (٦٢٣٩).

(٢) صحيح مسلم.



يا نفسُ توبي فإنّ الموت قد حانا

الليلة ٤١٢

- من خطورة العيش بين الطاعة والمعصية.. أنك لا تدري في أي فترة منهما ستكون الخاتمة !..
- سأل موسى ربه فقال: يا رب.. كيف تعامل من عصاك؟..

فقال: «يا موسى!

من عصاني.. أمهلْتُه..

فإن فعل ذنباً.. سترْتُه..

فإن رجع إليّ.. قَبِلْتُه..

فإن عاد إلى الذنب.. انتظرتُه..

فان تاب.. غفرتُ له وأحببتُه..

وإلّا خذلْتُه.. وإلى نفسه وكلْتُه..

كي لا يكون لعبدي حجة..

وما أنا بظلام للعبيد..».

فقل: يا رب أذنبتُ.. يا رب أسأتُ.. يا رب أخطأتُ..

فيكون الجواب منه سبحانه: عبدي قد غفرتُ وسامحتُ.. وسترتُ وصفحتُ..

إنَّ الملوكَ إذا شابتْ عبيدُهُمُ ... في رقّهم عتقوهم عتقَ أبرارِ

وأنت يا خالقي أوْلى بذا كرماً ... قد شبتُ في الرقِّ فاعتقني من النَّارِ

• يا كثير الأخطاء ! من الذي ما أساء قط؟!.. وأين الذي ما غلط؟!..

لِمَ يقتلك القنوط وأنت تسمع رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيدِه ! لو لم تذنبوا لذهب اللّهُ بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون، فيستغفرون اللّهَ، فيغفرُ لهم»[1].

وتقول:

تَمُرُّ ساعاتُ أَيَّامي بِلا نَدَمٍ ... ولا بُكاءٍ وَلاخَوْفٍ ولا حَزَنِ

أَنَا الَّذِي أُغْلِقُ الأَبْوابَ مُجْتَهِداً ... عَلى المعاصِي وَعَيْنُ اللهِ تَنْظُرُني

يَا زَلَّةً كُتِبَتْ في غَفْلَةٍ ذَهَبَتْ ... يَا حَسْرَةً بَقِيَتْ في القَلْبِ تُحْرِقُني

دَعْني أَنُوحُ عَلى نَفْسي وَأَنْدبُها ... وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ بِالتَّذْكِيرِ وَالحَزَنِ

• أصبحتْ وجوه التائبين مشرقة عندما سمعوا نداء الله تعالى: «ومن لَقيَني بقُرابِ الأرضِ خطيئةً لا يشركُ بي شيئاً، لقِيتُهُ بمثلِها مغفرةً»[2]..

• وإياك أن تجاهر بمعصيتك فتقول: فعلتُ الليلة الماضية كذا وكذا.. أو شاهدت كذا وكذا.. فقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك أشد تحذير فقال: «كلُّ أمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرينَ، وإنَّ منَ المُجاهرةِ أن يعمَلَ الرَّجلُ باللَّيلِ عملاً، ثُمَّ يصبِحَ وقد سترَه اللّهُ، فيقولَ: يا فلانُ، عمِلتُ البارحةَ كذا وَكذا، وقد باتَ يسترُه ربُّهُ، ويصبحُ يَكشِفُ سترَ اللهِ عنهُ»[3].

* * *

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.



ساقني الله إليك سوقاً

الليلة ٤١٣

قصة حصلت في باكستان.. فقد خرج الطبيب الجراح الشهير «د. إيشان» على عجل إلى المطار.. للمشاركة في المؤتمر العلمي الدولي الذي سيلْقى فيه تكريماً على إنجازاته الكبيرة في عالم الطب..

وفجأة وبعد ساعة من الطيران أُعلن أن الطائرة أصابها عطل كبير بسبب صاعقة.. وستهبط اضطراريّاً في أقرب مطار..

توجَّه الى استعلامات المطار قائلاً: أنا طبيب مشغول جدّاً.. وكل دقيقة عندي تساوي الكثير..

وأنتم تريدونني أن أنتظر (١٦) ساعة كي تقلّنا طائرة أخرى؟.

فأجابه الموظف: إذا كنت في عجلة من أمرك فبإمكانك استئجار سيارة.. فرحلتك لا تستغرق أكثر من ثلاث ساعات بالسيارة.

رضي «د. إيشان» على مضض وأخذ السيارة.. وفجأة بدأ المطر يهطل بشدة، وأصبح من العسير أن يرى أي شيء أمامه.. وظل يسير إلى أن أيقن أنه قد ضل الطريق..

رأى أمامهُ بيتاً صغيراً فتوقف عنده وطرق الباب، فسمع صوت امرأة كبيرة تقول: تفضل بالدخول فالباب مفتوح..

دخل وطلب من العجوز أن يستعمل الهاتف..

ضحكت العجوز وقالت: أي هاتف يا ولدي؟ ألا ترى أين أنت؟!..

فليس هاهنا كهرباء ولا هواتف..

ولكن تفضَّل واسترح وخذ لنفسك فنجاناً من الشاي الساخن..

وهناك بعض الطعام فخذ منه كي تسترد نشاطك.

شكرَ الدكتور المرأةَ وأخذ يأكل.. بينما كانت العجوز تصلي وتدعو..

انتبه فجأة الى طفل صغير نائم بلا حراك على سرير قرب العجوز.. وهي تهزه بين كل صلاة وصلاة..

استمرت العجوز بالصلاة والدعـاء طويـلاً، فتوجه لها قائلاً: والله لقد أخجلني كرمك ونبل أخلاقك يا أماه.. عسى الله أن يستجيب لك دعواتك..

فقالت العجوز: يا ولدي!.. أما أنت.. فابن سبيلٍ أوصى الله بك..

وأما دعواتي فقد أجابها الله تعالى كلها إلا واحدة..

سألها «د. إيشان»: وما هي تلك الدعوة؟.

قالت: هذا الطفل الذي تراه حفيدي يتيم الأبوين.. أصابهُ مرضٌ عضال عجز عنه كل الأطباء عندنا.. وقالـوا: إن جرَّاحاً كبيراً قادر على علاجه يقال له: «د. إيشان».. ولكنه يعيش بعيداً من هنا.. ولا طاقة لي بأخذ هذا الطفل إليه.. وأخشى أن يشقى هذا المسكين فدعوتُ الله أن يسهّل أمري..

بكى «د.إيشان» وقال: «والله **إن دعاءك قد عطّل الطائرات.. وضرب الصواعق.. وأمطر السماء.. كي يسوقني إليك سوقاً!.. والله ما أيقنت إلا للتوّ.. أن الله ﷻ يسوق الأسباب لعباده المؤمنين بالدعاء**»..

فحين تنقطع الأسباب.. لا يبقى إلا اللجوء إلى خالق الأرض والسماء..

* * *



الليلة ٤١٤

ليس بالمظهر يُحتَرَم الإنسان

توقَّف القطار في إحدى المحطات في مدينة بوسطن الأمريكية.. وخرج منه زوجان يرتديان ملابس قطنية بسيطة متواضعة..

وبخطوات خجلة ووئيـــدة.. توجَّه الزوجان مباشـــرة إلى مكتب رئيس «جامعة هارفارد»..

ولم يكونا قد حصلا على موعد مسبق !..

قالت مديرة مكتب رئيس الجامعـــة للزوجين القرويين: الرئيس مشغول جدّاً.. ولن يستطيع مقابلتكما قريباً..

ولكن سرعان ما جاءها رد السيدة الريفية حيث قالت بثقة: «سوف ننتظره»!.

ظـــل الزوجان ينتظران لساعـــات طويلة.. أهملتهمـــا خلالها السكرتيرة تماماً عسى أن يفقدا الأمل والحماس البادي على وجهيهما وينصرفا.

ولكن هيهات، فقد حضر الزوجـــان ـ فيما يبدو ـ لأمر هام جدّاً. ولكن مع انقضاء الوقت، وإصرار الزوجين، بـــدأ غضب السكرتيرة يتصاعد، فقررت مقاطعة رئيسها، ورجتْه أن يقابلهما لبضع دقائق لعلهما يرحلان.

هزَّ الرئيس رأسه غاضباً وبدت عليه علامات الاستياء.. فمَن في مركزه لا يجد وقتاً لمقابلـــة إلا علية القوم.. لكنه وافق علـــى رؤيتهما لبضع دقائق لكي يضطرا للرحيل.

وعندما دخل الزوجان مكتب الرئيس.. قالت لـــه السيدة: إنه كان لهما ولد درس في «هارفارد» لمدة عام، لكنه تُوفِّي في حادث.. وبما أنه كان

سعيداً خلال الفترة التي قضاهــا في هذه الجامعــة العريقة.. فقد قررا تقديم تبرع للجامعة لتخليد اسم ابنهما!.

رد الرئيس بخشونة: «سيدتي، لا يمكننا أن نقيم مبنى ونخلد ذكرى كل من درس في «هارفارد» ثم توفــي.. وإلا تحولت الجامعة إلى غابة من المباني والنصب التذكارية»!.

وهنا ردت السيدة: نحن لا نرغب في وضع تمثــال.. بل نريد أن نهب مبنى يحمل اسمه لجامعة «هارفارد».

لكن هذا الكلام لم يلقَ أي صدى لدى الســيــد الرئيس.. فرمق بعينين غاضبتين ذلك الثــوب القطني والبذلة المتهالكــة.. وردَّ بسخرية: «هل تعلمان كم يكلف بناء مثل هذا المبنـــى؟! لقد كلفتْنا مباني الجامعة ما يربو على سبعة ونصف مليون دولار!».

ساد الصمت لبرهة، ظن خلالها الرئيس أن بإمكانه الآن أن يتخلص من الزوجين..

وهنا استدارت السيدة وقالت لزوجها: «ســيــد ستانفورد: ما دامت هذه هي تكلفة إنشاء جامعة كاملة؛ فلماذا لا ننشئ جامعة جديدة تحمل اسم ابننا؟» فهز الزوج رأسه موافقاً..

غادر الزوجان «ليلنــد ستانفورد وجين ستانفــورد» وسط ذهول وخيبة الرئيس.. وسافرا إلــى كاليفورنيا حيث أسسا جامعة «ستانفورد» العريقة والتي ما زالت تحمل اسم عائلتهما، **وتخلد ذكرى ابنهما الذي لم يكن يساوي شيئاً لرئيس جامعة «هارفارد».**

حدث هذا عام (١٨٨٤م) وما زالت أسماء عائلة «ستانفورد» منقوشة في ساحات ومباني الجامعة..

لا تحكموا على الناس من مظاهرهم ولا ملابسهم.. أو طريقة كلامهم..



الليلة ٤١٥

أما فيكم من بكى؟

• كان بالبصرة عابد حضرته الوفاة.. فجلس أهله يبكون حوله..

فأقبل عليهم وقال لأبيه: يا أبت ما الذي أبكاك؟.

قال: يا بنيّ ذكرت فقدك وانفرادي بعدك..

فالتفت إلى أمه، وقال: يا أماه ما الذي أبكاك؟.

قالت: لتجرّعي مرارة ثكلك..

فالتفت إلى زوجته وقال: ما الذي أبكاك؟.

قالت: لفقد برّك وحاجتي لغيرك!.

فالتفت إلى أولاده، وقال: ما الذي أبكاكم؟.

قالوا: لذلّ اليتم والهوان من بعدك..

عند ذلك نظر إليهم وبكى.. فقالوا له: ما يبكيك أنت؟.

قال: أبكي لأني رأيت كلًّا منكم يبكي لنفسه لا لي!.

أما فيكم من بكى لطول سفري وقلة زادي؟!..

أما فيكم من بكى لمضجعي في التراب؟!..

أما فيكم من بكى لما ألقاه من سوء الحساب؟!..

أما فيكم من بكى لموقفي بين يدي رب الأرباب؟!..

ثم سقط على وجهه فحرّكوه، فإذا هو ميت!..

• وكان لأعرابي غلام أسود لا ينام الليل..

فقال له: لِمَ لا تنام يا غلام؟.

فقال: إني إذا ذكرتُ الجنّة اشتد شوقي.. وإذا ذكرتُ النار اشتد خوفي.. وإذا ذكرتُ الموت طار النعاس عني يا مولاي..

فمن كانت هذه حالته، كيف يهنيه العيش في الدنيا ؟!..

فبكى الرجل وقال: يا غلام ! حقيق على من كانت هذه المعرفة له ألا يُستعبَد.. اذهب فأنت حرّ لوجه الله تعالى.

فبكى الغلام.. فقال الرجل: ما يبكيك؟.

قال: يا مولاي.. **هذا العتق الأصغر.. فمن لي بالعتق الأكبر؟!..**

يعني من يعتقه من عذاب النار يوم القيامة؟!..

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: **«لن يوافي عبدٌ يوم القيامة يقول: لا إلٰه إلا الله، يبتغي بها وجه الله، إلا حرَّم الله عليه النار»**(١).

* * *

(١) رواه البخاري.



الليلة ٤١٦

لا ترقص على جرح غيرك

• في الحياة تعلّم أن لا ترقص على جرح غيرك.. وتقتله بجهلك..

فحذار من الحديث عن مالك.. أمام فقير !..

وعن أولادك.. أمام عقيم !..

وعن والديك.. أمام يتيم !..

وعن صحتك.. أمام سقيم !..

لا تجعل كلماتك أشواكاً.. تُدمي من يسمعك..

بل اجعلها رياحين فوّاحة.. تنعش كل من يمرّ بها..

فالله تعالى يقول: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

• فكلمة «أنت رائع».. قد تجعل شابّاً عادياً.. يسير إلى المجد والنجاح..

و«أنتَ غبي».. كلمة قد تكسر همّة طفل نبيهٍ.. وتُحطّم عقله..

و«أنتَ سَاذَج».. كلمة قد تحوّل إنساناً طيب القلب.. إلى إنسان شَرِس..

كلمةٌ أو بضع كلمات.. قد تقلب شخصية إنسان..

قد تكون داءً أو دواء.. وخاصة إذا كانت مِن أقرب الناس إليه..

فلنتعلم بمَ نكلّم الآخرين !.

فالكلمة المسمومة... كلمة قادرة على إيقاف قلب الإنسان..

قادرة على إحداث جلطة في القلب.. أو اضطراب في ضرباته !..

قادرة على إذابة جدار المعدة وإصابتها بالقرحة..

وقادرة على إصابة الإنسان بالشلل..

الكلمة المسمومة قد تكون أشد فتكاً بالإنسان من كثير من الجروح..

وقد يُرجى لجــرحِ السيف بُرءٌ   ولا بُــرء لمــا جــرحَ اللســانُ

• يروى أن ملكاً من الملوك حلم ذات يوم (أن كل أسنانه تكسّرت)!..

طلب مفسراً للأحلام.. فقال المفسّر: إن جميع أقاربك يموتون قبلك !..

فغضب الملك مــن كلامه وقتله.. ثــم أحضروا له مفســراً آخر، فقتله كذلك..

ثم أحضروا له ثالثاً فقال: «إن تفسير رؤياك يا جلالة الملك أنك أطول أقاربك عمراً إن شاء الله» فأحسن إليه وأمر له بجائزة..

ورغم أن مضمون الآراء الثلاثة واحد.. إلا أن الفرق هو في فن الكلام..

فانظروا إلى تأثير كلامكم قبل أن تتكلموا !..

• يقول **لقمان الحكيم**:

«إن من الكلام ما هو أشدّ من الحجر.. وأنفذ من وخز الإبر..

وأمرّ من الصبر.. وأحرّ من الجمر..

وإن من القلوب مزارع.. فازرع فيها الكلمة الطيبة..

فإن لم تنبتْ كلها ينبت بعضها..».

***



الليلة ٤١٧

رسائل مهجورة

• سافر أب إلى بلد بعيد تاركاً زوجته وأولاده الثلاثة..

سافر سعياً وراء الرزق، وكان أبناؤه يحبونه حبّــاً جمّاً، ويكنون له كل الاحترام..

أرسل الأب رسالته الأولى إلا أنهم لم يفتحوها ليقرؤوا ما فيها..

بل أخذ كــل واحد منهــم يُقبّل الرسالــة ويقول: إنها مــن عند أغلى الأحباب..

أخذوا يتأملون الظرف من الخارج جيــداً.. ثم وضعوا الرسالة في علبة قطيفة..

وكانوا يخرجونها من حين لآخر لينظفوها من التراب ويعيدونها ثانية..

وهكذا فعلوا مع كل رسالة أرسلها أبوهم..

ومضت السنون..

وعاد الأب ليجد أسرته لم يبق منهــم إلا ابن واحد فقط، فسأله الأب: أين أمك؟.

قال الابن: لقد أصابهــا مرض شديد.. ولم يكن معنــا مال لننفق على علاجها فماتت..

قال الأب: لماذا ؟ ألم تفتحوا الرسالــة الأولى؟! لقد أرسلت لكم فيها مبلغاً كبيراً من المال..

قال الابن: لا.. فسأله أبوه: وأين أخوك؟.

قال الابن: لقد تعرف على بعض رفاق السوء..

وبعد موت أمي لم يجد من ينصحه ويُقوّمه فذهب معهم..

تعجب الأب وقال: لماذا ؟ ألـــم يقرأ الرسالة التي طلبـــت منه فيها أن يبتعد عن رفقاء السوء.. وأن يأتي إليّ؟!..

رد الابن قائلا: لا..

قال الرجل: لا حول ولا قوة إلا بالله.. وأين أختك؟.

قال الابن: لقد تزوجتْ ذلك الشاب الذي أرسلتْ تستشيرك في زواجها منه.. وهي تعيسة معه أشد تعاسة..

فقال الأب ثائراً: ألم تقرأ هي الأخـــرى الرسالة التي أخبرها فيها بسوء سمعة ذلك الشاب ورفضي لهذا الزواج؟!..

قال الابن: لا.. لقـــد احتفظنا بتلـــك الرسائل في علبـــة القطيفة هذه.. نجمّلها ونقبّلها.. ولكننا لم نقرأها..

• تفكرتُ في شأن تلك الأسرة.. وكيف تشتت شملها وتعست حياتها.. لأنها لم تقرأ رسائل الأب إليها ولم تنتفـــع بها.. بل واكتفت بتقديسها والمحافظة عليها دون العمل بما فيها..

ثم نظرتُ إلى «المصحف» الموضوع داخل علبة قطيفة على المكتب..

يا ويحنا ألسنا نعامل رسائـــل الله تعالى لنا.. كما عامـــل هؤلاء الأبناء رسائل أبيهم؟!..

فكثير منا من يضع المصحف في علبة فخمة في زاوية من زوايا الغرفة.. لا يقرؤه ولا ينتفع بما فيه..

فاستغفرت ربي وأخرجت «المصحف» من علبته..

وعزمت على أن لا أهجره بعد اليوم أبداً..



الليلة ٤١٨

ما لي والناس؟!

• الأرملة.. تخشى كلام الناس !..

والمطلقة.. تخشى كلام الناس !..

والتي فاتها قطار الزواج.. تخشى كلام الناس !..

والفقير.. يخشى كلام الناس !..

والناس.. يخشون من بعضهم..

أيُعقل.. أن يخسرَ إنسانٌ حلمَهُ وطموحه.. ويتخلى عن تحقيق أهدافهِ ورغباتهِ.. من أجل إرضاء الناس ! فإرضاءُ الناسِ غايةٌ لا تُدرك..

يقول عباس محمود العقاد رَحِمَهُ اللهُ :

«أنا لا يهمني كم من الناس أرضيتُ.. ولكن يهمني **أيّ نوع من الناس أقنعت**».

• وحياتك لك أنت.. أنت من سيعيش.. وأنت من سيموت..

فاستمتع بكل لحظات حياتك.. دون أن تسير حياتك على إرضاء الناس..

فإرضاء الله عَزَّ وَجَلَّ أهمّ وأجلّ..

سألوا **الحسن البصري** يوماً: لم لا تأبه لكلام الناس؟!.

فقال لهم:

«أنا حين ولدتُ، وُلدتُ وحدي..

وحين أموت، أموت وحدي..

وحين أوضع في القبر، أوضع وحدي..

وحين أحاسب بين يديه تعالى، أحاسب وحدي..

فإن دخلتُ النار دخلتُ وحدي..

وإن دخلت الجنة دخلت وحدي..

فما لي والناس؟!..

إرضاء الناس غاية لا تلزمني..

ويكفيني رضا ربي»..

• يقول أحدهم:

ضحكتُ فقالوا ألا تحتشمْ.. ... بكيتُ فقالوا ألا تبتسمْ

بسمتُ فقالوا يرائي بها ... عبستُ فقالوا بدا ما كتمْ

صمتُّ فقالوا كليل اللسانِ ... نطقتُ فقالوا كثير الكَلِمْ

حلمتُ فقالوا صنيع الجبان ... ولو كان مقتدراً لانتقمْ

بسلتُ فقالوا لطيشٍ به ... وما كان مجترئاً لو حكمْ

يقولون: شذَّ إذا قلتُ لا ... وإمعة حين وافقتهمْ

فأيقنت أنيَ مهما أُرِدْ ... رضا الناس لا بدَّ من أن أُذمْ

* * *



كفُّوا عن عيوب الناس

الليلة ٤١٩

• يُحكى أنه كان هناك ملك أعرج، ويرى بعين واحدة..

وذات يـــوم.. دعا الملك عدداً من الفنانيـــن ليرسموا له صورة شخصية شريطة أن «لاتظهر عيوبه» في هذه الصورة !..

رفض كل الفنانين رسم هذه الصورة ! فكيـــف يرسمون الملك بعينين وهو لايملك ســـوى عين واحدة؟! وكيف يصورونـــه بقدمين سليمتين وهو أعرج؟!..

ولكن... وسط هذا الرفض الجماعي.. قَبِل أحد الفنانين رسم الصورة !..

وبالفعل رسم صورة جميلة وفي غاية الروعة..

رسم الملك واقفاً وممسكاً ببندقية الصيد (وبالطبع كان يغمض إحدى عينيه) ويحني قدمه العرجاء..

وهكذا استطاع رسم صورة الملك بلا عيوب وبكل بساطة !..

• فيا ليتنا نحاول رسم صورة جيدة عـــن الآخرين مهما كانت عيوبهم واضحة..

وعندما ننقل هذه الصورة للناس.. نستر فيها الأخطاء والعيوب..

ومَن نظَر إلى عيوب نفســـه شغلتْه عن عيوب الناس.. يقول ﷺ: «**يُبْصِرُ أحدُكم القذَى في عينِ أخيهِ ويَنْسَى الْجِذْعَ في عينِهِ**»[١].

---

(١) صحيح الجامع: ٨٠١٣.

والقذى: هو ما يقع في العين أو في الماء والشراب من تراب ووسخ.. والمقصود به الأشياء الهينة الصغيرة التي تكاد لا تدرك.. يبصرها الإنسان ويفتح عينيه لها ما دامت في عين أخيه في الإسلام.. وفي الوقت نفسه ينسى الجِذع في عينه، **والجذع**: هو جذع الشجرة.. وهذه من المبالغة.. وكأن جذع شجرة موجود في عينه من العيوب.. ثم هو يتجاهله ولا يشتغل بإصلاحه، في حين أنه يدقق مع الآخرين بحيث يدرك عيوبهم مع خفائها..

ويقول الشاعر:

أرى كلَّ إنسانٍ يرى عيبَ غيرِه ... ويعمى عن العيبِ الذي هو فيه

وما خيرُ من تخفَى عليه عيوبه ... ويبدو له العيبُ الذي لأخيه

يقول ﷺ: «**يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتَّبعوا عوراتهم؛ فإنه مَن يتبع عثرات أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومَن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**»[1].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «سِتِّير» يحب الستر والصون على عباده..

وأسوأ الطعنِ الطعنُ بالعلماء.. فالطعنُ فيهم طعنٌ في الإسلام.. والعيبُ عليهم عيبٌ في أهل الإسلام.. وقد قال ﷺ: «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود**»[2].

وذوو الهيئات: هم أهل المروءة والصلاح الذين لا يعرفون بالشر. **وعثراتهم**: زلَّاتهم.

* * *

(١) أخرجه الترمذي: ٤/ ٣٧٨، رقم (٢٠٣٢) وقال: حسن غريب.

(٢) صحيح الجامع: ١١٨٥.



الليلة ٤٢٠

أنت تصنع قيمتك..

• في درس من دروس علم النفس.. رفـع الدكتور لطلابه ورقة من فئة (١٠٠) دولار..

وسأل: من يريدها ؟.

فرفع الجميعُ أيديهم..

ثم «كرْمشها» بقوةٍ بيديه..

وعاد يسأل: من يريدها الآن؟.

فرفع الجميعُ أيديهم !.

ثم رماها على الأرض وأخذ يسحقها بحذائه حتى اتسخت تماماً !.

وسأل: من يريدها الآن؟.

فرفع الجميع أيديهم !.

فقال لهُم: هذا هو درسكم اليوم..

فمهما حاولت تغيير هيئة هذه الورقة فقيمتها لم تتأثر..

ومهما تعرّضْـتَ للتهميش أو الإهمَـال.. فينبغي أن تؤمـن أن قيمَتك الحقيقية لم تُمَسّ !.

فالكل يتعامل معك على أساس شخصيتك..

ولا تلـمِ الآخرين إن لم يهتمـوا بك ويقدّروك.. إنْ أنـت رسَّخْتَ في عقولهم نسخة سلبية عنك..

• اهتـمّ بعقلك.. وطـوّر تفكيـرك.. فقيمتك الحقيقية هـي في جمال شخصيتك..

لا تصبّ اهتمامك على شكلك وملابسك.. ومكياجك وزينتك..

فمهما كانت روعة شكلك.. فحقيقتك ستظهر مِن أوّل كلمة تنطقُها..

يقول عباس محمـود العقاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الـذي يكِلُ إلى النـاس تقديرَ قيمته.. يجعلونه سلعة يتراوح سعرهـا بتراوحهم.. بين الحاجة إليها أو الاستغناء عنها»..

• عزيزي الرجل! أن تولد ذكراً فهذا قدرك..

أما أن تكون رجلاً فهذا صنع يديك..

وليس مهمّاً أن تُعجَب بك كل النساء..

فيكفيك أن تحبك زوجتك..

وأن ترضى عنك والدتك..

وأن تثق فيك أختك..

وأن تفتخر بك ابنتك..

وبتعاملنا الراقي نصل لقلوب الآخرين..

وبابتسامة مشرقة وبكلمات طيبة.. نظهر حبنا للآخرين..

بأخلاقنا ورقي تعاملنا.. نثبت شخصيتنا..

ونفرض على الآخرين احترامنا..

فتزيَّنْ بمكارم الأخلاق..

واجعل لنفسك مبادئ ترتكز عليها.. ولا تحيد عنها.

* * *



الليلة ٤٢١

لا تقلقوا من تدابير البشر

• يقولون: «مسكين» ما له إلا الله.. بل همُ المساكين !.

فمن كان اللهُ له.. كان له كل شيء..

فقد أراد إخوة **يوسف** أن يقتلوه.. فلم يمتْ !.

وأرادوا أن يُمحى أثرهُ.. فارتفع شأنه !.

وبِيعَ ليكون مملوكاً.. فأصبح ملكاً !.

وتمنَّوْا أن يمحوا محبته من قلب أبيه.. فازدادت..

فلا تقلقوا من تدابير البشر.. فلا رادّ لمشيئة الله..

ادعوه مخلصين.. وسلّموا الأمر لرب العالمين !.

• فعندما كان **يُوسف** عليه السلام في السجن..

كان «يوسف» الأحسن بشهادتهم ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]..

لكن الله أخرجَهم قبله ! وظلّ بعدهم في السجن بضعَ سنين ! (الأول خرج ليُصبح خادماً)، (والثاني خرج ليُقتل)!..

وانتظر يوسف كثيراً ! لكنه خرج لا ليصبح «عزيز مصر» فحسب..

بل ليلقى والديه.. ويفرح بلمّ الشمل.. وزوال الكرب..

• ألم يقل حبيبنا ﷺ: «**إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا**

بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجفَّت الصحف».

فَثق بمَا دبّره الله تعالى.. وتقرّب إليه تكن حبيباً لله..

فلا تيئسوا ولا تبتئسوا.. فإن البشرى من الله تعالى متحققة لا ريب فيها:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ ـ ٦].

• وقد أوحى الله تعالى إلى **داود** عليه السلام:

«يا داود ما من عبد يعتصم بـي دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلتُ له مخرجاً».

• «حُكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سَوَّل لك الخطايا؟ قال التلميذ: أجاهده.

قال الشيخ: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال الشيخ: فإن عاد؟ قال: أجاهده. فقال الشيخ: هذا يطول يا بني!.. ولكن إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور.. فماذا تصنع؟ قال: أجاهده.

قال: يا بني هذا أمر يطول.. **استعن برب الغنم يكْفِكَ كلابَه**».

إذا كان الله معك فمن عليك؟! وإذا كان عليك فمن معك؟!..

ماذا وجدَ يا رب مَنْ فقدك؟! وماذا فقدَ مَنْ وجدك؟!..

استعن بالله والجأ إليه..

فهو الحصن الحصين والملاذ المكين.. سبحانه..

* * *



الليلة ٤٢٢

ثق بالله أولاً.. ثم بنفسك..

• كان هناك إمبراطور في اليابـــان يقوم بإلقاء قطعة نقود قبل كل حرب يخوضها..

فإن جاءت «صورة» يقول للجنود: «سننتصر».

وإن جاءت «كتابة» يقول لهم: «سنتعرض للهزيمة».

لكن الملفت في الأمر أن هذا الرجل لم يكن حظه يوماً «كتابة»..

بل كانت القطعة تأتي دوماً على «الصورة»..

وكان الجنود يقاتلون بحماس حتى ينتصروا..

مرت السنوات وهو يحقق الانتصار تلو الآخر..

تقدم به العمر فجاءت لحظاته الأخيرة وهو يحتضر..

فدخل عليه ابنه الذي سيكون إمبراطوراً من بعده وقال له:

يا أبي! أريد منك تلك القطعة النقدية لأواصل تحقيق الانتصارات.

فأخرج الإمبراطور القطعة من جيبه.. وأعطاه إياها..

نظر الابن إلى الوجه الأول فكان «صورة»..

وعندما قلبه إلى الوجه الآخر صُدم صدمـــة كبيرة.. فقد كان هذا الوجه «صورة» أيضاً!.

فقال لوالده: لقد خدعتَ الناس طوال تلـــك السنوات.. فماذا أقول لهم الآن.. أبي البطل كان مخادعاً؟!.

فرد الإمبراطور قائلاً: لم أخدع أحداً.. فهذه هي الحياة..

عندما تخوض معركة يكون أمامك خياران:

الخيار الأول: الانتصار.. والخيار الثاني: الانتصار أيضاً.

والهزيمة تتحقق إذا فكرتَ بها.. والنصر يتحقق إذا وثقتَ به..

ونحن لا نتغلب على هموم الحياة بالحظ.. ولكن بالثقة بالله ثم إرادة النفس..

• **والثقة بالنفس**: هي حسن اعتماد المرء على نفسه وقدراته حسب الظرف الذي هو فيه.. دون إفراط (عُجب أو كِبر أو عناد)، ودون تفريط (من ذلة أو خضوع غير محمود).

وهي أمر مهم لكل شخص مهما كان.. ولا يكاد إنسان يستغني عن الحاجة إلى مقدار من الثقة بالنفس في أمر من الأمور..

ولا تعارض بين الثقة بالنفس والاعتماد على الله ﷻ.. والتوجه إليه في طلب الحاجات ودفع المكروهات.

بل إن من الثقة بالنفس إحسان الظن بالله والاعتماد عليه دون تواكل..

والواثق بنفسه ينسب الفضل لأهله والنعم لربه تعالى.

أما الذي يتعارض مع الثقة بالله.. فهو الإفراط في الاعتداد بالنفس وتفضيلها على الغير.

كما قال الله على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [صٓ: ٧٦].

أو كما قال الله على لسان فرعون: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢].

أو كما قال الله على لسان قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: ٧٨].

* * *



الليلة ٤٢٣

خبرته في الحياة

طلب ولد من أبيه أن يلخِّص له خبرته في الحياة والحكمة التي أخذها منها..

فقال له: هل تقدر على الاستماع؟ فقال: نعم. فقال:

- يا بني! إيّاك أن تتكلم في الناس والأشياء.. إلا بعد أن تتأكد من صحة المصدر..
- وإذا جاءك أحد بنبأ فتبين قبل أن تتهور!..
- وإيّاك والشائعة.. لا تُصدّق كل ما يقال ولا نصْف ما تبصر..
- وإذا ابتلاك الله بعدو.. قاومه بالإحسان إليه.. ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦] فستنقلب العداوة حبّاً!..
- وإذا أردت أن تكتشف صديقاً فسافــر معه! ففي السفر ينكشف الإنسان.. يذوب المظهر وينكشف المخبر.. ولماذا سمي السفر سفراً؛ إلا لأنه عن الأخلاق والطبائع يُسفر؟!.
- وإذا هاجمك الناس وأنت على حق فافرح! لأنهم يقولون لك: أنت ناجح ومؤثّر.. فلا يُرمى إلا الشجر المثمر!.
- بنيّ! عندما تنتقد أحداً.. فبعين النحل تعوّد أن تبصر.. ولا تنظر للناس بعين ذباب فتقع على ما هو مستقذر!.
- نم باكراً يا بنيّ فالبركة في الرزق صباحاً.. وأخاف أن يفوتك رزق الرحمن لأنك تسهر..

- وحينما يثق بك أحد.. فإياك ثم إياك أن تغدر !.
- سأذهب بك إلى عــرين الأسد، وسأعلمك أن الأسد لم يصبح ملكاً للغابة لأنه يزأر ! ولكن لأنه عزيز النفس، لا يقع على فريسة غيره مهما كان جائعاً يتضور، فلا تسرق جهد غيرك فتتجوّر !.
- سأذهب بك إلى الحربــاء.. حتى تشاهد بنفسك حيلتها ! فهي تلوّن جلدها بلون المكان، لتعلم أن في البشر مثلها نسخ تتكرر.
- تعوَّدْ يا بني أن تشكر.. اشكر الله فيكفي أنك مسلم.. ويكفي أنك تمشي وتسمع وتبصر..
- اشكر الله واشكر الناس.. فالله يزيد الشاكرين.. والناس تحب الشخص الذي عندما تبذل له يقدّر..
- وأعظم فضيلة في الحياة هي الصدق.. واعلم أن الكذب وإن أنجاك.. هو أرذل رذيلة.
- بنيّ ! وفّر لنفسك بديلاً لأي شيء.. استعد لأي أمر.. حتى لا تتوسل لنذلٍ يذلّك ويحتقر..
- واستفد من كل الفرص.. لأن الفرص التي تأتي الآن قد لا تتكرر.
- لا تَشْــكُ ولا تتذمر ! أريدك متفائلاً مقبــلاً على الحياة.. اهرب من اليائسين والمتشائمين.. وإياك أن تجلس مع رجل يتطير !.
- لا تشمتْ ولا تفرح بمصيبة غيرك.. وإياك أن تسخر من شكل أحد.. فالمرء لم يَخلق نفسه ! ففي سخريتك أنت في الحقيقة تسخر من صنع الذي أبدع وخلق وصوّر..

فقال ابنه وهو يتذكر وصية أبيه: اللهم ابنِ لأبي بيتاً في الجنة، واجعل ملتقانا هناك..



الليلة ٤٢٤

إن كان فيها عتقك

• مرّ **مالك بن دينار** يوماً فى السوق فرأى بائع تين.. فاشتاقت نفسه للتين ولم يكن يملك ثمنه، فطلب من البائع أن يؤخّره (يدفع في وقت آخر)..

رفض البائـع ذلك.. فعرض مالـكُ على البائع أن يرهـن عنده حذاءَه مقابل هذا التين.. فرفض ثانية..

انصرف مالك وأقبل الناس على البائع وأخبروه عن هوية المشتري..

فلما علم البائع أنه مالك بن دينار.. أرسل البائع مع غلامه بعربة التين كلها لمالك بن دينار..

وقال البائع لغلامه: إن قبِلَها منك فأنت حرّ لوجه الله..

ذهب الغلام إلى «مالك».. ووضع فـي باله أن يبذل قصارى جهده من أجل إقناع مالك أن يأخذ عربة التين كلها.. حتى ينال حريته..

فإذا بمالك يقول لـه: اذهب إلى سيـدك وقل له: إن مالـك بن دينار **لا يأكل التين بالدين..** وإن مالك بن دينـار حرّم على نفسه أكل التين إلى يوم الدين !..

قال الغلام: يا سيدي خذْها فإن فيها عتقي..

قال مالك: **إن كان فيها عتقك.. فإن فيها رقّي** (عبوديتي)!..

• يقول **الحسن البصري**:

«والله لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون..

ولا تدركون ما تأملون.. إلا بالصبر على ما تكرهون..

فما عند الله لا ينال إلا بطاعته»..

• ولكن حذار من «الورع الكاذب»!.

فقد رأى **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه رجــلاً في السوق يحمل «تمرة» وينادي عليها صارخاً: «لقد وجدتُ تمرة فمنْ صاحبها؟»..

ولما رأى عمر أنه يفعل ذلــك تظاهراً بالورع.. علاه بالــدرّة وقال له: دعْك من هذا الورع الكاذب !.

وجاء رجل من أهل العراق إلى **ابن عمر** وقت الحج يسأله عن بعوضة قتلها.. هل عليه دم أم لا ؟!.

فقال ابــن عمر: سبحان الله.. يا أهل العراق تقتلــون ابن رسول الله (أي الحسين بن علي) وتسألون عن دم البعوض !.

وجاء رجل زنــى بامرأة إلى الإمام **أحمد بن حنبــل** يسأله عن ابنه من الزنى..

فقال له الإمام: لماذا لم تعزل؟.

فقال الرجل: بلغني أن العزل مكروه..

فقال الإمام: أو لم يبلغْك أن الزنى حرام؟!.

* * *



الليلة ٤٢٥

عابد أم عالم..

• قال الإمام **علي** كرم الله وجهه:

«العلم خير من المال..

العلم يحرسك وأنت تحرس المال..

العلم حاكم.. والمال محكوم عليه..

المال تُنقصه النفقة.. والعلم يزكو بالإنفاق..

هلك خُزّان الأموال.. وبقي خُزّان العلم..

أعيانهم مفقودة.. وأشخاصهم في القلوب موجودة»..

• ولله در الإمام **مالك**.. عاب عليه «العمريُّ» الزاهد اشتغالَه بنشر العلم.. واجتماعه بالناس..

وحث العمريُّ مالكاً على العزلة.. فلم يستجب له..

ردّ عليه مالك قائلاً:

«إنَّ الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق..

فرُبّ رجل فُتح له في الصلاة.. ولم يُفتَح له في الصوم..

وآخر فُتح له في الصدقة.. ولم يفتح له في الصوم..

وآخر فُتح له في الجهاد..

فنشْرُ العلم من أفضل أعمال البر.. وقد رضيتُ بما فُتح لي فيه..

وأرجو أن يكون كلانا على خير وبرّ».

• قال رسول الله ﷺ: «**فضلُ العلمِ خيرٌ مــن فضلِ العبادةِ، وخيرُ دينِكم الورَعُ**»[١].

• وقال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: «تعلّموا العلم وعلّموه الناس، وتعلّموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علّمتموه».

• روي عــن **ابن عبــاس** رضي الله عنهما: أنه قــال: «إن الشياطين قالــوا لإبليس: يا سيدنــا ما لنا نــراك تفرح بمــوت العالِم ولا تفرح بمــوت العابد.. والعالِمُ لا نُصيبُ منه.. والعابد نصيب منه؟!.

قال: انطلقوا.. فانطلقوا إلى عابد فأتوه فقالوا: نريد أن نسألك..

فقال إبليس: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟.

فقال هذا الجاهل: لا أدري!.. فقال إبليس: أترونه كَفَر في ساعة؟.

ثم جاوزوه إلى عالِمٍ في حلقته يُضحك أصحابه ويحدّثهم..

فقالوا: نريد أن نسألك، فقال: سلوا..

فقالوا: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟.

فقال: نعم! قالوا: كيف؟ فقال: يقول: كن.. فيكون!.

فقال إبليس: أترون هــذا أمِ العابد؟! العابدُ لا يعــدو نفسه.. أما العالِم فيفسد علينا عوالمَ كثيرة.. أي بتعليمه للناس».

• وقــال الإمام **علي** رضي الله عنه: ليــس الخير أن يكثر مالــك وولدك.. ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح الترغيب: ٦٨.



الليلة ٤٢٦

لا تنظر.. بل انظر..

• لا تنظر إلى عِظمِ طاعتك.. بل انظر كم فيها لله أخلصت!.

ولا تنظر إلى مقدار علْمك.. بل انظر كم به عَمِلت!.

ولا تنظر إلى كم من المواعظ تلقّيت.. بل انظر كم منها وَعَيت!.

ولا تنظر إلى حجم أموالك.. بل انظر كم منها تصدّقت!.

ولا تنظر إلى كثرة ذكْرك.. بل انظر كم بلسانك لَغَوتَ!.

ولا تنظر إلى كم من الأموال خسرت.. بل انظر كم اللهَ عَصَيت!.

ولا تنظر إلى كثرة أبنائك.. بل انظر مدى حسْن ما رَبّيت!.

ولا تنظر إلى الثناء على صلاحك.. بل انظر كم من الناس أصلحت!.

ولا تنظر إلى كثرة أصحابك.. بل انظر مَن انتقيت!.

ولا تنظر إلى شرف نسبك.. بل انظر كم لله تواضعت!.

ولا تنظر إلى جمال عافيتك.. بل انظر كم لمن منحها شكرت!.

ولا تنظر إلى شراسة أعدائك.. ولكن انظر كم بالله اعتصمت!.

• وإذا فتح الله عليك باباً اسمه «قيام الليل»..

فلا تنظر للنائمين نظرة ازدراء !..

وإذا فتح الله عليك باب الصيام..

فلا تنظر للمفطرين نظرة ازدراء!..

وإذا فتح الله عليك في باب الجهاد..

فلا تنظر للقاعدين نظرة ازدراء.

فربّ نائم ومفطر وقاعد.. أقرب إلى الله منك..

يقول بشــر بن الحارث: «العجْــب أن تستكثر عملــك.. وتستقلّ عمل غيرك».

وسُئل **عبد الله بن المبارك** عن مفهوم العُجْب؟.

فقال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك!.

يقول ﷺ: «**ثــلاثٌ مُهلِكاتٌ، وثلاثٌ مُنْجِياتٌ**» فقــال: «**ثلاثٌ مُهلِكاتٌ: شُحٌّ مُطاعٌ، وهوًى مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسِه. وثلاثٌ مُنجِياتٌ: خشيةُ اللهِ في الســرِّ والعلانيةِ، والقصدُ في الفقرِ والغِنــى، والعدلُ في الغضبِ والرِّضا**»[١].

ويقول أحد العارفين: «لئن تبيت نائماً وتصبح نادماً.. خيرٌ من أن تبيت قائماً وتُصبح معْجباً.. فإنَّ المُعجَب لا يصعد له عمل».

• روى **العباس بــن عبد المطلب** رضي الله عنه قال: «بينما أنــا مع النبيِّ ﷺ في هذا الموضع إذ أقبلَ رجلٌ يتبختَرُ في بردينِ وينظرُ إلى عطفيْهِ، فأعجبتْهُ نفسُهُ، إذ خسفَ اللهُ به الأرضَ في هذا الموطنِ، فهو يتجلجلُ فيها إلى يومِ القيامةِ»[٢].

* * *

(١) السلسلة الصحيحة: ١٨٠٢.

(٢) الهيتمي المكي: الزواجر: ٧١/١ وقال: إسناده حسن.



الليلة ٤٢٧

هكذا أخلاق العلماء

يروي أحدهم قصة حقيقية حدثت معه فيقول:

كنت قبل عشر سنوات أعمل حارساً في أحد مصانع البلد..

جاءتني رسالة مـن باكستان بأن والدتي في حالـة خطرة وتحتاج إلى إجراء عملية جراحية تكلف سبعة آلاف ريال..

لم يكن لدي وقتها سوى ألف ريال.. طلبتُ من المصنع سلفة.. فرفضوا..

كنت أبكي طوال اليوم.. فهذه أمي التي ربتْني وسهرت علي..

وأمام هـذا الظرف القاسي قـررت القفز لأحد المنـازل المجاورة في الساعة الثانية ليلاً..

وبعد قفزي لسور المنزل بدقائـق وجدت رجال الشرطة يمسكون بي.. ويرمونني فـي سيارتهم.. أظلمت الدنيا في عينـي.. وقلت: لقد جنيت على نفسك.. ونهايتك في السجن..

وفجأة وقبل صلاة الفجر.. إذا برجال الشرطـة يعيدونني لنفس المنزل الذي كنت أنوي سرقته..

أدخلوني إلى المجلس.. وانصرف رجال الشرطـة.. فإذا بأحد الشباب يقدم لي طعامـاً ويقول: كلْ بسم الله.. فلم أصدقْ مـا أنا فيه!.. وعندما أذّن الفجر قالوا لي: توضأ للصلاة..

كنت في المجلـس خائفاً أترقب.. فـإذا برجل كبير السـن يقوده أحد الشباب يدخل علي..

أمسك بيدي وسلّم علي قائلاً: هل أكلت؟.

قلت له: نعم.. أخذني معه للمسجد وصلينا الفجر..

وبعد الصــلاة رأيــت الرجل المسن يجلــس على كرسي فــي مقدمة المسجد.. ويلتف حوله المصلون وكثير من طلاب العلم..

أخذ الشيخ يتكلم.. **فعرفت أنه الشيخ ابن باز..**

وضعت يدي علــى رأسي من الخجــل والخوف !يا الله مــاذا فعلت؟ سرقت منزل الشيخ ابن باز؟.

أمسك الشيخ بيدي وتناولنا الإفطار بحضــور كثير من الشباب.. وقال لي: ما اسمك؟ قلت له: مرتضى.

قال لي: لِمَ سرقت؟.

فأخبرته بالقصة.. فقال: حسناً سنعطيك تسعة آلاف ريال..

قلت لــه: المطلوب سبعــة آلاف !قــال: الباقي مصروف لــك.. ولكن لا تعاود السرقة مرة أخرى يا ولدي.

أخذتُ المــال ودعوتُ له.. وسافــرت إلى باكستــان، وأجرت والدتي العملية وتماثلت للشفاء.

عدت بعد خمسة أشهر للسعودية وذهبتُ إلى الشيخ في منزله.. عرّفته بنفسي فعرفني..

قلت: أريد أن أعمل عندك خادماً..

فقال: حسناً.. وبالفعل أصبحت أعمل بمنزل الشيخ حتى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

***



الليلة ٤٢٨

درس عملي!

• قدِمَ شابٌّ إلى شيخ وسأله: أنا شاب لا أستطيع منع نفسي من النظر إلى الفتيات في السوق.. فماذا أفعل؟.

أعطاه الشيخُ كوباً من الحليب ممتلئاً حتى حافته.. وأمَرَهُ أن يوصله إلى جهة معينة يمرّ من خلالها بالسوق.. على أن لا ينسكب من الكوب أي شيء!..

وأوصى الشيخُ أحدَ طلابه بأن يرافق الشاب في الطريق.. ويضربه أمام الناس إذا انسكب منه الحليب!.

وبالفعل.. أوصلَ الشابُّ الحليبَ للوجهة المطلوبة دون أن ينسكب منه شيء!.

ولما عاد سأله الشيخ: كم فتاةً رأيتَ في الطريق؟.

فأجاب الشاب: شيخي! لم أرَ أي شيء حولي.. **لقد كنتُ خائفاً من الضرب والخزي أمام الناس إذا انسكب مني الحليب!.**

فقال الشيخ: إذا كنتَ امتنعت عن النظر إلى النساء خشية الضرب أمام الناس.. فكيف تعصيه ولا تخاف أن تُفضَح أمام الأشهاد.. ثم تذوق من بعدها العذاب الشديد؟!.

• ومن عجائب الله في خلقه أن جعل مع الفضيلة ثوابها: صحةً في البدن ونشاطاً..

وجعل مع الرذيلة عقابها: وهناً في الجسم وأمراضاً.

وكـم نشاهد شبابـاً لم يجـاوزوا العشرين يبـدون ـ من أثـر الرذيلة والموبقات ـ وكأنهم في الستينات..

ونرى رجلاً في الثمانين يبدو من العفاف والتقى كرجل في الأربعينات!.

• كيف تنمّي خلق العفة؟:

أشغل النفس بالطاعات والعمل المفيد..

صاحب الأخيـار.. فالرفقة الصالحـة مدعاة للخير وعـون للمرء على نفسه.. والرسول ﷺ يقول: «**المرء علـى دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»..

احفظ بصرك.. فذلك وقاية للعين من النظرة الخائنة.. قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ...﴾ [النور: ٣٠ـ٣١].

لا تشغل خواطـرك بالتفكير في الخيالات المهيجـة.. **وإياك أن تحفظ لديك في جوالك أو حاسوبك أي صور أو أفلام مثيرة..**

استعن بالصلاة والصيام والدعاء.

يقول الإمام الشافعي:

تعصي الإلٰـهَ وأنـتَ تُظهر حُبَّه ... هذا محالٌ فـي القيـاس بديعُ
لو كان حبُّـكَ صادقـاً لأطَعْتَهُ ... إنَّ المُحِـبَّ لمن يحـبُّ مطيعُ
في كـلِّ يـومٍ يبتديـكَ بنعمةٍ ... منـه وأنـتَ لشكـرِ ذاك مضيعُ

* * *



الليلة ٤٢٩

بينك وبين ربك

• قيل **للإمام أحمد**: كم بيننا وبين عرش الرحمن؟.

قال: «دعوة صادقة من قلب صادق».

• ويقولون: «الزرع زرعان.. زرع الشجر.. وزرع الأثر..

فإن زرعتَ الشجر، ربحتَ الظل والثمر..

وإن زرعتَ طيب الأثر، حصدتَ محبة الله ثم البشر».

فضعْ أثراً طيباً في كل مكان.. يكن الله لك ومعك حيثما كنت..

• ويقول الشيخ **الشعراوي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يكفيك عِزّاً وكرامة أنك إذا أردتَ مقابلة سيّدك أن يكون الأمر بيدك !..

فما عليك إلا أن تتوضأ.. وتنوي المقابلة قائلاً: الله أكبر..

فتكون في معية الله عَزَّ وَجَلَّ في لقاء تحدد أنت مكانه وموعده ومدته..

وتختار أنت موضوع المقابلة.. وتظلّ في حضرة ربك إلى أن تنهي المقابلة متى أردتَ..

فما بالك لو حاولت لقاء عظيم من عظماء الدنيا ؟..

كم أنت ملاقٍ من المشقة والعنت؟ وكم دونه من الحُجّاب والحراس؟.

ثم بعد ذلك ليس لك أن تختار لا الزمان ولا المكان ولا الموضوع ولا غيره !»..

• ألا ينظر الناس إلى صورنا..

وينظر الله إلى قُلوبنا..

فكم من الوقت نقضي في تزيين صورنا للناس؟..

وكم نبذل في تزيين قلوبنا لله؟..

• يقول الدكتور **السباعي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«موطنان انسَ فيهما نفسك:

وقوفك بين يدي الله.. ونجدتك لمن يستغيث بك.

وموطنان أكثِرْ من الاعتبار فيهما:

قوي ظالم قصمه الله.. وعالم فاجر فضحه الله».

• يقول أحد العارفين:

«كن على يقين بهذه الثلاث:

لا أحد أرحم بك من ربك..

ولا أحد أعلم بهمّك أكثر من ربك..

ولا أحد يقدر على رفع الضرّ عنك إلا ربك»

فاستعن بالله والجأ إليه.. يكن لك فوق ما تريد.

* * *



الليلة ٤٣٠

هلّا فعلنا مثلهم؟!

• «جاؤوا إلى أمير المؤمنين **عمر بن عبـــد العزيز** بأموال الزكاة، فقال: أنفقوها على الفقراء..

فقالوا: ما عاد في أمة الإسلام فقراء. قال: فجهزوا بها الجيوش..

قالوا: جيوش الإسلام تجوب الدنيا. قال: فزوجوا الشباب..

فقالوا: من كان يريد الزواج زُوج، وبقـــي مال. فقال: اقضوا الديون عن المدينين..

فقضوها وبقي مال، فقال: انظروا (المسيحييـــن واليهود) من كان عليه دين فسددوا عنه. ففعلوا وبقي مال، فقال: أعطوا أهل العلم..

فأعطوهم وبقي مـــال، فقال: اشتروا بهـــا قمحاً وانثـــروه على رؤوس الجبال لكي لا يقال: جاع طير في بلاد المسلمين»..

• يقول **الحسن** رضي الله عنه :

«ما ضربتُ ببصري.. ولا نطقتُ بلساني..

ولا بطشتُ بيدي.. ولا نهضتُ على قدمي..

حتى أنظر أعلى طاعة.. أم على معصية؟.

فإن كانت طاعةً تقدمتُ..

وإن كانت معصيةً تأخرتُ..».

• قال **عبد الله بن الإمام أحمد** لأبيه يوماً: أوصني يا أبتِ..

فقال: «يا بنيّ انوِ الخيرَ.. **فإنك لا تزالُ بخيرٍ.. ما نويتَ الخير !**».

فاللهم أصلح نيّاتنا.. واجعلها دوماً على خير.

• يقول أحد الصالحين:

«**عبادات أهل الغفلة عادات.. وعادات أهل اليقظة عبادات**».

فاسأل الله أن يجعل عاداتنا عبادات.. وعباداتنا مقبولات..

• وإذا أردت أن يبقى ذكرك بعد موتك فافعل واحداً من اثنين:

اكتب شيئاً يستحق أن يُقرأ..

أو افعل شيئاً يستحق أن يكتب.

ليكن لك أثر إيجابي في أسرتك.. أبنائك أو إخوتك.. أصدقائك وأقاربك..

أرسل لهم رسالة مفيدة بشكل دوري.. أرسل لهم ما يفيد من رسائل الـ (Whats up)..

و «**أَحَبُّ الأعمالِ إلى الله تعالَى أدومُها وإن قلَّ**»[1].

وعندما تدخل الإنترنت لساعات.. اترك أثراً نافعاً عليه ولو كان قليلاً..

وإياك أن تكتب في الفيس بوك وغيره ما يسوءُك أن تراه أمام رب العالمين..

وإذا سافرت إلى بلد ما فاترك أثراً طيباً في ذاك البلد سلوكاً ومعاملة حسنة..

وليكن لكَ في الحياة أثر..

كي لا يُقال: كانَ هنا فلان واندثر..

* * *

(١) رواه مسلم.



رحم الله امرأة

الليلة ٤٣١

• خرج شاب من المنزل بعد خلافه مع والدته غاضباً..

فقال: شعرت بالنـدم الشديد.. فكتبت رسالة علـى الجوال أداعب بها قلب والدتي الحنون:

«عَلمتُ الآن يـا أماه أن باطن القـدم أكثر ليونة و نعومة من ظاهرها.. فهل تأذنيـن لي أن أتأكد من صحة هذه المقولة فأفحـص قدميـك بشفتيَّ».

ولما عدتُ إلى البيت.. وجدت أمي تنتظرني في الصالة وهي بين دمع وفرح..

فقالـت: «لا لن أسمح لك بذلك.. فقد تأكدتُ من صحة هذه المقولة.. عندما كنت أقبّل قدميك ظاهراً وباطناً.. يوم أن كنتَ صغيراً !».

تساقطـت دموعي.. فأقبلـتُ عليها ألثمهـا وألثمها.. مـن رأسها حتى قدميها..

تذكّروا أنهم سيرحلون يوماً ما.. فَتقرّبوا منهم قبل أن تفقدوهم !..

وإن كانوا قد رحلوا.. فترحّموا عليهم وادعوا لهم.. وَقُـل ربِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً..

تذكر أن النصف الأول مِن حَياتك تقضيه مَع وَالديك..

وَالنصف الآخر مَع أولادك..

فَزِدْ من بر الأول تَنل خير الآخر وَزيادة.

• ورحم الله امرأة ألقت رأسها مثقلة من دوار الوحام وما برحتْ..

رحم الله امرأة تتألم من حراك الجنين فقامت من نومها وقد فزعت..

رحم الله امرأة باتت تئن وتصرخ من آلام مخاضها..

رحم الله امرأة سهرت الليالي الطوال ترقب رضيعاً لم ينم..

رحم الله امرأة اعتصرت حياتها في كأس.. لتسقي وليدها من رحيقه..

رحم الله امرأة سبقت دمعتُها دمعةَ ابنها.. إذا جاءها يوماً يئن شاكياً..

رحم الله امرأة ألقت بسوار راحتيها.. لتعــود أدراج السنين تربي حفيداً لها..

رحم الله امرأة كلما أيقظتها همومها وخوفهــا على أولادها بكت لربها ودعت لهم..

رحم الله امرأة عاشت وماتت.. وما ملّت من العطاء..

لم تطالب بجزاء ولا شكتْ قلة الوفاء..

ولا ضعفت في حبها يوماً ولا وهنت..

ومن يجازي الأم سوى رب كريم عليم بما فعلت!..

* * *



الليلة ٤٣٢

هيئ لنا قميصاً

• عندما يرى المؤمن واقعَ المسلمين يقول بحرقة وألم ما قاله **يعقوب** عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]..

فيا رب هيئ لنا قميصاً كقميص يوسف كي يرتد كل مؤمن بصيراً !..

• يقول الشيخ **محمد الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد تأملتُ في أحوال أناس يعملون في الحقل الإسلامي..

ويتحمسون لنصرة دينهم..

ولكنهم يحملون في دمائهم جراثيم الفوضى القديمة.. والجهالة المدمرة..

فأدركتُ أن هؤلاء يتحركون في مواضعهم..

وأنهم يوم يستطيعون نقل أقدامهم..

فسيتجهون إلى الوراء لا إلى الأمام..

وسيضيفون إلى هزائمنا الشائنة.. هزائم قد تكون أنكى وأخزى».

رحمك الله يا إمام فكأنك اليوم بين ظهرانينا !..

• ورحم الله الشيخ **الشعراوي** حين قال:

«أتمنّى أن يصل الدّين إلى أهل السياسة، ولا يصل أهل الدّين إلى السياسة».

فلو وصل الدين إلى أهل السياسة لأصلحهم..

أما أهل الدين.. فيُخشى أن ينالهم وسخ السياسة..

إلّا إذا كانوا بها واعين ولخبثها مدركين..

• يقول أحد الصالحين:

«ما عجبت لشيء عجبي من يقظة أهل الباطل واجتماعهم عليه..

وغفلة أهل الحق وتشتت أهوائهم فيه»..

ومن عجيب أمر الإنسان أن الكذب والإفـك وطمس معالم الحق.. لا يقتصر على المتكالبين على الشهوات الدنيوية..

بل تجاوزهم إلى بعض من يدعي أنه من رجال الدين !..

وهم أجدر بالصدق والتزام الحق..

وأعجب أمر هؤلاء أن فيهم أناساً يتعمَّدون الكذب..

واستباحة ما حرّمه الدين..

لا يبتغون بذلك مالاً ولا جاهاً..

بل التقرب إلى آلهتهم وكبرائهم !.

* * *



الليلة ٤٣٣

لعل له عذراً وأنت تلوم

• دخل الطبيب الجــراح إلى المستشفى بعد أن تــم استدعاؤه لإجراء عملية فورية لأحد المرضى..

وقبل أن يدخل غرفة العمليات.. واجهه والد المريض وصرخ في وجهه: لم التأخر؟! إن حياة ابني في خطر.. أليس لديك إحساس؟!..

ابتسم الطبيب ابتسامة فاترة وقــال: أرجو أن تهدأ ودعني أقوم بعملي.. وكن على ثقة أن ابنك في رعاية الله.

ردّ الأب: ما أبردك يا أخي! لو كانت حياة ابنك على المحك هل كنت ستهدأ؟! ما أسهل أن تعظ الآخرين!.

تركه الطبيب ودخل غرفة العمليات..

وبعد ساعتين خرج على عجل وقال لوالد المريض: لقد نجحت العملية والحمد لله.. وابنك بخير.. واعذرني فأنا على موعد آخر!.

ثم غادر دون أن يحاول سماع أي سؤال من والد المريض.

ولما خرجت الممرضة سألها الأب: ما بال هذا الطبيب المغرور؟!..

فقالت: «**لقــد توفي ولــده في حــادث سيــارة**.. ومع ذلــك فقد لبى الاستدعاء.. عندما علم بالحالة الحرجة لولدك!.

وبعد أن أنقذ حياة ولدك.. كان عليه أن يسرع ليحضر دفن ولده»!.

• هناك قلوبٌ تتألم ولا تتكلم.. فلا تحكم على شيء قبل أن تعلم.

وعندما يفهمك الآخرون بطريقة خاطئة..

فلا تتعب نفسك بالتبرير..

فقط أدر وجهك.. فمن يعرفك جيداً لن يخطئ فهمك..

الحياة قصيرة.. فلا تضيعها مع أشخاص تبرر لهم أفعالك وأقوالك طيلة الوقت..

من يحبك سيرى فيك الخير ولن يظن بك السوء..

ومن يريد البعد عنك لن تستطيع إرضاءه مهما فعلت..

يقول أحدهم:

عِشْ عَفويتك.. تارِكاً للنّاسِ إثم الظنون

.. فَلَكَ أجْرهُمْ، وَلَهُمْ ذَنْب ما يَعْتَقِدون

• أحَسّ رَجُلٌ بأن عاملاً فقيراً يمشي خلفه.. ويُلَاحِقه..

فقال الرجل في نفسه: هؤلاء الشَّحَّاذين دائماً يلاحقوننا.. ليطلبوا مزيداً من المال.. إنهم لا يشبعون..

عندها رفع الفقير صوته منادياً ذلك الرجل: عفــواً يا سيدي مِحْفَظَتُك سَقَطَت منك !..

فَهَلّا بَادرنا الآخَرين بِحُسْن الظّن !..

* * *



الليلة ٤٣٤

خير الأصحاب

• **خير الأصحاب** مَنْ أحبك في الله.. وذكّرك بالله..

وخوّفك من غضب الله.. ورغّبك في لقاء الله..

ومن إذا رأى منك خيراً نشره..

وإذا عرف عنك عيباً ستره..

وإذا ضحكتْ لك الدنيا لم يحسدك..

وإذا عبستْ لك لم يتركك وحدك..

والصديق الحقيقي كالمظلة في يوم ماطر..

فكلما اشتد المطر.. شعرت بأهميتها أكثر فأكثر..

• أما الصديق المزيف فهو كالظل..

يمشي خلفك عندما تكون في الشمس.. فلا يغادرك أبداً !.

وإذا حلّ الظلام اختفى وتلاشى!.

وأكثر الناس حقارة هو ذاك الذي يعطيك ظهره.. وأنت في أمسِّ الحاجة إلى أن يشدّ على يدك...

فلا تتمنَّ «صداقة» شخص يضعك في أسفل قائمة أولوياته !.

ولا تفعل «المُستحيل».. لمن لا يفعل لك «المُمكن»..

• يقول أحد العلماء:

إذا تذكرت شخصاً وأنت وحدك.. فتبسمت.. فاعلم أن بينكما (محبة صادقة).

فالأخوَّة الحقّة مثل الطبيعة:

جبالها ثقة متبادلة.. وأنهارها محبة صادقة..

أشجارها شمــوخ في الأخــلاق.. ونسيمها عطر المشاركــة في السراء والضراء..

ولن تجد الصداقة الحقيقية بسهولة أبداً..

فقد تجرب كل النماذج التي تحبها.. وتعيش معها أجمَل الأوقَات..

لكن لن يبقى معك غَير شَخص أدركَ قيمتك وأخلص في صحبتك !.

وكثير من الناس يظن أن المؤلم في الحياة أن نخسر من نحب..

والحقيقة أن الأشد إيلاماً أن نخسر أنفسنا في قلوب من نحب..

فالصداقة أشبه بالكتاب..

تحتاج لثوانٍ معدودة لحرقه..

لكنك تحتاج سنين لكتابته !..

• أليست غريبة هي الدنيـا...

تجمعنا بأناسٍ يتركون بصمة قاتمة في حياتنا..

فنقول عندها: يا ليتنا ما عرفناهم أبداً..

وقد تجمعنا بأناسٍ ينثرون الريحان على دروبنا الوعرة..

فنتمنى لو أننا ما عشنا عمرنا من دونهم..

هي أقدار لا نملك أمامها إلا أن نقول بكل يقين:

قدّر الله و ما شاء فعل..

* * *



الليلة ٤٣٥

سخّره ليعمل لغيره

• جاء شخص إلى شيخ جليل.. فقال له: فلان شتمك في أحد المجالس !.

فقال الشيخ: إن كان الرجل رماني بسهــم.. فلم يُصبني.. فلماذا حملتَ أنت السهم وغرسْته في قلبي ؟!.

فحذار حذار من نقل خبر أو كــلام ورد على الفيس بوك أو الإنترنت.. ما لم تتحقق منه.. وما لم يكن في صالح إخوانك المسلمين..

فكم من كلمة أحدثتْ فتنة!..

وكم من أخبار نُقلت على أنها حقائق.. ثم تبين أن لا أصل لها!..

فلنتقِ الله فيما نكتب وما نقول..

واللسان ليس له عظام.. لكنه قد يورد صاحبه إلى التهلكة..

ومشكلتنــا أننا حين نرى سلبية في أحدهم.. نُخبر كل من حوله ولا نخبر صاحبها بها !.

نحن نجيد التحدث عن بعضنا.. لا إلى بعضنا !..

أعجبتني عبارة مكتوبة في أحد الفنادق: «إن أرضيناك فتحدَّث عنا.. وإن لم نرْضِك فتحدث إلينا».. فلنطبقها فــي حياتنا حتى نتخلَّص من الغيبة..

• سئل أحد المشايخ عن رجل يفعل الطاعات ولكنه يغتاب كثيراً..

فقال.. «لعل الله سخّره ليعمل لغيره»!..

فكم بهذه الألسنة عُبد غير الله تعالى وأشرك!..

وكم بهذه الألسنة حُكم بغير حكمه ﷻ!..

كم بهذه الألسنة أرحام تقطعت.. وقلوب تفرقت!..

كم بهذه الألسنة قُتل أبرياء.. وعُذّب مظلومون!..

كم بها طُلّقت نساء.. وقُذفت محصنات طاهرات!..

كم بها من أموال أُكلت.. وأعراض انتُهِكت!..

• لما أقبل **أبو موسى الأشعري** إلى رسول الله ﷺ مستنصحاً قال: يا رسول الله أي المسلمين خير؟.

ما قال عليه الصلاة والسلام: خير المسلمين قوّام الليل.. ولا قال: خير المسلمين صوّام النهار، ولا قال: خير المسلمين الحجاج والمعتمرون أو المجاهدون في سبيله..

ترك كل هذه الفضائل مع عظم قدرها وقال: «**خيرُ المسلمين من سَلِمَ المسلمون من لسانِه ويدِه**»[١].

• وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أصبحَ ابنُ آدمَ فإنَّ الأعضاءَ كلَّها تُكفِّرُ اللِّسانَ فتقولُ: اتَّقِ اللّهَ فينا، فإنَّما نحنُ بِك؛ فإن استقمتَ استقمنا، وإن اعوججتَ اعوججنا**»[٢].

* * *

(١) صحيح الجامع: ٣٢٨٦.

(٢) صحيح الترمذي: ٢٤٠٧.



الليلة ٤٣٦

الصبر الجميل

ثلاثة وصفهم الله بالجمال: صبرٌ جميل.. وهجرٌ جميل.. وصفح جميل..

• فقد ورد ذكر **الصبر** في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة..

وعندما نقرأ آيات الصبر يدهشنا ذلك الأمر الإلٰهي المشفق على نبيه **محمد** ﷺ بقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]..

ويدهشنا أيضاً كيف يتأسّى **يعقوب** عليه السلام بالصبر على فقدان ابنه **يوسف** عليه السلام فيقول: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [يوسف: ٨٣]..

سئل شيخ الاسلام **ابن تيمية** عن الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل..

فأجاب: إن الله أمر نبيه بالهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل..

فالهجر الجميل: هجر بلا أذى..

والصفح الجميل: صفح بلا عتاب..

والصبر الجميل: صبر بلا شكوى..

قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] مع قوله: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].. فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل..

فما سرّ هذا التوجيه الرباني؟..

تنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ في زمن عزّ فيه الناصر.. يوم كان في مكة يكابد ألم التكذيب والإعراض.. فيأتيه هذا الأمر الذي يمتلئ رحمة ورأفة فيحول الألم أملاً:

﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾ [المعارج: ٥].. ويذكّره سبحانه ويسلّيه بصبر يعقوب عليه السلام الذي صبر صبراً جميلاً فكانت له العاقبة الحسنى..

• وحتى يكون الصبر جميلاً لا بد أن يتصف بصفات:

- فالصبر يكون جميلاً حين يتبدّى عند **الصدمة الأولى**.. فلا سخط ولا جزع عند وقوع المصيبة.. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»(١).

- ويكون الصبر جميلاً عندما **يزيد من ثبات المؤمن** ! فلا يأس ولا فتور.. بل ثبات على المبدأ.. وصمود في الدعوة إلى الحق..

- ويكون جميلاً **إذا كان صبر اختيار** لا اضطرار!.. صبر في عزة.. لا ذلة ومهانة..

فالداعية ـ وهو يبلّغ دعوته ـ يمكن أن يؤذى ويُهان فلا يغضب لذاته.. أما إذا انتهكت محارم الله فلا بد من المواجهة..

وهذا ما تمثّل جليّاً في موقف النبي ﷺ يوم الفتح حين تمكّن ممن طرده وآذاه.. فقال كلمة المؤمن الواثق الصابر: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»!..

* * *

(١) رواه البخاري.



الليلة ٤٣٧

الصفح الجميل

• قال الله تعالــى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

آية من الآيات المكية نزلت على رسول الله ﷺ قبل أن يؤمر بالقتال..

ولكن في الأمر لطائف أوسع من أن يكون أمراً بالصفح إلى أمد!..

وهناك فرق بين العفو والصفح..

فالعفو أن تتجاوز هذا الذنب فلا تعاقب عليه..

لكن الصفح أن تنساه كليّاً.. أن تعفو عن صاحبــه.. ولا تعاتبه إطلاقاً.. فربنا عَزَّ وَجَلَّ أمر النبي عليه الصلاة والسلام قائلاً له: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾.

ويقول البعض: الصفح ترك التثريب (أي: اللوم).. وترك اللوم أبلغ من العفو..

فقد يعْفو المرء ولا يصفح.. كأن يقول أحدهم: «أساء إلي فلان فعفوتُ عنه وما عاقبته».. ولكنه في حقيقة الأمر لم يصفح عنه!.

فالصفح الجميــل هو أن تعفو عمَّن أساء إليــك.. ولا تلومه أو تعاتبه.. وتطوي صفحة ذنبه.. وكأن شيئاً لم يكن.. وتفتح له صفحة جديدة في التعامل معك..

فإذا أَحببتَ الله تعالى فطبق هذه الآية في حياتك وتعاملاتك مع الناس.. فالله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين..

فإذا مـا أساء إليـك إنسان ثم عفوتَ عنـه.. فهذا أمـر جميل.. ولكن الأجمل والأسمى أن تنسى هذا الذنب كليّـاً.. ثم تطوي صفحة ذنبه.. وتفتح له صفحة جديـدة.. وكأنه ما فعل معك شيئـاً، فهذا هو الصفح الجميل[1] ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾.

• وكم قرأنا من قصـص الأعراب الذين يدخلـون على رسول الله ﷺ فيسيئون إليـه برفع الصوت أو بجبـذ ردائه أو بعـدم الأدب معه في المخاطبة والطلب!.

ومع ذلك لا يعـدو ﷺ أن يتبسَّم تبسُّـم المشفق الحريـص.. ويُعطي السائل سؤله.

اقرأ مثلاً قصة الأعرابي الذي قال: يـا محمد أعطني من مال الله لا من مالك ولا من مال أبيك!..

أو قصة آخر يجبذ رداءه ﷺ حتى يؤثر الرداء على كتفه ﷺ!..

وثالث يدخل وهو يصرخ: إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطْل! وهكذا..

فنرى تطبيقاً عمليّاً لهذا الأمـر الرباني ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾.. صفحٌ يبيـن للمخطئ خطأه وتقصيـره.. لكن من غير أذى بقـول أو فعل أو توبيخ.

* * *

---

(١) تفسير الدكتور محمد راتب النابلسي (بتصرف).



الهجر الجميل

الليلة ٤٣٨

• نزل هذا الأمر في وقت كانت فيه الدعوة بأشد الحاجة إلى الانتشار..

تُرى كم لاقى نبــي الهدى ﷺ من النكــران والأذى حتى تنزلت عليه هذه الآية !.

وحين تنزّلت.. هل ترك دعوتهم ونصحهم؟!.

هل أمره الله تعالى أن يوقف دعوته.. وينفــرد بخاصة نفسه ومن معه.. ويهجر الكافرين فلا يدعوهم في هذه الحال؟!.

• يقول العلماء: الهجر الجميل هو هجرٌ حين تقتضي المصلحة.. هجر بلا أذية.. بل إعراض فقط عن أقوالهم التي تؤذيه..

فهو هجر جميل لا يمنع الداعية من العمل في أمل !.

وللأسف.. تجد من يهجر أخاه أو مجتمعه.. هجر أحقاد وأضغان..

هجراً على درهمٍ أو منصب أو شهرة !.

حتى إذا قيل له: ما بالك تهجر فلاناً وفلاناً؟!.

قال: ذاك رجل فيه كيت وكيت!...

تأمَّل في موقفه ﷺ من **كعب بن مالك** وصحبــه يوم تخلّفوا عن غزوة تبوك.. موقفه مــع نفر من صحابتــه الذين فدوه بأموالهــم وأنفسهم.. أصحابه الذين هم خير خلق الله بعد الأنبياء..

لقد كان هجــر رسول الله ﷺ والصحابــة الكرام للذيــن تخلّفوا هجراً جميلاً.. لا أذية فيه ولا تشفّــي.. إنما هجر عتاب يزيد المحبة ويحرص على بقائها..

وتأمَّل فرحة الصحابة الكرام.. واستبشار رسول الله ﷺ قبل ذلك بنزول التوبة عليهم !..

يقول ﷺ : «المؤمنُ الَّذي يخالــطُ النَّاسَ ويصبرُ على أذاهم، أعظمُ أجراً منَ المؤمنِ الَّذي لَا يخالطُ النَّاسَ ولَا يصبرُ على أذاهم»[1].

• وهذا **ابن مسعود** رضي الله عنه يصف لنا هذا الهجــر الجميل فيقول: «خالطوا النــاس وزايلوهم وصافحوهــم.. ودينكم لا تكْلِمــوه». **لا تكلموه:** أي لا تجرحوه.

• فالهجر الجميــل في زمن المحن والفتــن أن يهجر المسلم الخوض فيما يفسد ولا يصلــح.. ويفرّق ولا يجمع.. ويسعــى أقصى جهده في إصلاح أمره وأمر من حوله..

وفي زمن الفتن لا يسوغ للمؤمن أن يهجــر الناس ويتركهم يموجون.. بل يهجر فِعالهم أن تمسّه أو تصيبه.. ويعمل على إشاعة الحق جنباً إلى جنب الهجر الجميل !.

وواجب الدعاة في زمن الفتنة أن تجتمع كلمتهم.. ولو اختلفت آراؤهم فيما يسوغ فيه تعدد الرأي..

* * *

(١) صحيح ابن ماجه: ٣٢٧٣.



المبادئ فوق الذات

الليلة ٤٣٩

• انظر إلى موقف رسول الله ﷺ يوم أحد.. حين حلّت الهزيمة بالمسلمين.. واختلط عليهم الأمر.. وكثر الهرج والمرج..

عندها تنحّى رسول الله ﷺ جانباً هو وبعض أصحابه..

وعندما صاح أبو سفيان بأعلى صوته شامتاً: أفيكم محمد؟ أفيكم أبو بكر؟ أفيكم عمر؟..

ورسول الله ﷺ لا يجيب.. ولا يأمر أحداً من صحابته أن يجيب !.

ثم لمّا قال: أُعلُ هبل !.. كان لا بد للموقف أن يتغير.. لأنه لم يعدْ موقفاً شخصيّاً.. بل أصبح موقف مبدأ وعقيدة..

صار لا بد من الصدع.. حتى ولو كان الوقت وقت فتنة ومحنة !.

فقال ﷺ: «ألا تجيبوه؟!».

قالوا: وبم نجيبه يا رسول الله؟.

قال: قولوا: «الله أعلى وأجلّ !».

فقال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر !.

فقال: قولوا: «لا سواء.. قتلانا في الجنة.. وقتلاكم في النار !».

فعندما تُمسّ المبادئ بسوء.. فلا سكوت ولا مداراة.. بل صدعٌ وبيان..

أمّا حين يكون التعرّض للأشخاص والذوات.. فالإعراض والتغاضي أوْلى.. تحقيقاً لمصلحةٍ أعظم من مصلحة الذات والشخصيات !.

فما أحوجنا إلى دعاة واعين يعرفون كيف تُــزان الأمور بميزان الشرع لا بالموازين الأخرى!.

• ومن تأمّل هــذه التوجيهات الربانية: «صبــر جميل» و«صفح جميل» و«هجر جميل»..

لوجد أنها عقد فريد من الأدب الرفيع والخلق الحسن..

الصبر الجميل.. صبر ثبات لا جزع فيه ولا تسخّط..

صبر يشع بروح الإيمان بوعد الله والثقة به.

صبر يبعث الأمل مع العمل..

ثم بعد الصبر **صفحٌ جميل** لا أذية فيه ولا تشمّت..

صفح يجمع القلوب ويوحّد النفوس..

صفحٌ يرشّد الخطأ.. ويعزز الصواب.

وبعد الصفح هجرٌ..

هجرٌ جميل.. لا يعرف الحقد ولا الضغائن!.

هجرٌ.. يعمل من أجل لمّ الشمل..

هجر يزيد الحب حبّاً.. والوصلَ وصلاً!.

* * *



الليلة ٤٤٠

أن تفقد أمك يعني..

• عندما علم شاب بوفاة أمٍّ قريب له سمع آخر يقول: سبحان الله، أُغلق على أولادها اليوم باب للجنة !..

يقول هذا الشاب: اخترقت هــذه الكلمات كل حواجز الغفلة واستقرت في قلبي..

وجدت لها رغم بساطتها مكاناً خالياً فاستوطنت فيه !.

قبل لحظات أُغلق باب للجنة كان مفتوحاً ينادي العابرين !.

تُرى هل استمعتُ لنداء هذا الباب.. الذي ظل يناديني عشرات السنين؟.

هل أنا من الذين برّوا أمهاتهم؟.

هل أغضبتُها في يوم من الأيام؟.

هل نامت ليلةً وهي ساخطة عليّ؟.

هل أنا بار... أم أنا عاق؟.

• فأن تفقد أمك يعني أنك فقدتَ الإنسانــة الوحيدة التي تعرفك أكثر من نفسك..

أن تفقد أمك يعني أنك فقدتَ أحد سهام الليل التي لا تخيب..

سهام محمّلة بـ «يا رب»... وسُخّرتْ لها ملائكة السماء..

أن تفقد أمك يعني أنك فقدتَ تلك الكلمات التي لا يقولها إنسان آخر: «قلبي يحدّثني أن فيك شيئاً غير طبيعي يا بنيّ؟».

أن تفقد أمك يعني أنــك ستبدأ بالتحدث بلغــة لا يفهمها إلا من فقد أمه !..

أن تفقد أمك يعني أنك فقدت أنْس قلبك..

فاستمتعوا بجمال الحياة مع أمهاتكم وآبائكم قبل فوات الأوان..

• يقول أحدهم بعد أن فقد أمه:

لم يبق لي إلا ذكريات أمي وهي تنصحني في غياب أبي..

ذكريات وجه يبتسم لي.. فأشعر أنه ما زال في هذا العالم أمل..

ذكريات قبلتها وهمساتها يوم أن كنتُ مريضاً..

فمن الــذي يربت على كتفي.. لأتقدم للأمــام.. ويمنعني أن أرجع إلى الوراء؟!.

من الذي يفرح حين يرى شهادتي؟!.

من.. ومن.. أسئلة كثيرة لن تعيدها للحياة..

لكنها ستفتتح عهدي بألم الذكريات..

يقول المتنبي:

أَحِنُّ إِلَى الكَأْسِ التِي شَرِبَتْ بِهَا وأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا

فهنيئاً لمن ما زالت أمه على قيد الحياة..

فما زال أمامه باب من أبواب الجنة مفتوحاً..

* * *



بعثة إلى القرآن الكريم

الليلة ٤٤١

بعد محاضرة طويلة ألقاها.. لمْلم بروفيسور أمريكي أغراضه.. ثم اتجه إلى ركن القاعة حيث يجلس عدد من الطلاب المسلمين..

رفع نظارته.. ووضعها على رأسه الذي كساه البياض..

جلس بجانب الطـــلاب.. وبنبرته الهادئة قال: «قبل أن أبدأ حديثي.. أود أن أبين لكم أني لا أقصد عتابكم فيما سأقول..

فقط أسئلة تدور في رأسي.. أريد أن أجد لها جواباً..

فيما مضى.. وقبل عشريـــن سنة أو يزيد.. كان لدينـــا عدد من الطلاب المسلمين..

اعتدتُ أثناء إلقائي محاضراتي على أن يرفع أحدهم يده ليؤشر لي أنه يودّ الصلاة..

فيقوم جميع الطلاب ويصلّون معاً في آخر القاعة..

يفعلون ذلك في جميع المحاضرات.. دون أن يتجرأ أحدٌ على منعهم..

فما الذي تغير الآن؟..

لماذا لم أعد أرى تلك الفئة من الناس؟..

أبدأ محاضرتي وأنهيها.. دون أن يرفع أحد منكم يده!..

قالوا لي فيما مضى: إنهم مسلمون.. ألستم أنتم مسلمين كذلك؟..

أهم مختلفون عنكم؟ أم ماذا ؟..

ثم أيضاً.. كثيراً ما يلفت انتباهي حجاب نسائكم..
فبالأمــس رأيت إحداهــن تعدّل مــن حجابها.. فظهر اســم ماركة من الماركات العالمية معلّق على حجابها!..
هل أصبحت نساؤكم يتباهين بحجابات من الماركات العالمية؟..
فالسابقون منكم.. كانوا يخبروننا أن النساء يرتدينه للستر والاحتشام..
ولكن يبدو أنه أصبح مدعاة للتفاخر بينكم!..
أهم كان يخفون عنا الحقيقة.. أم أنكم أنتم مختلفون؟..
أنا لا أقصد من حديثي شيئاً.. أريد فقط أن أفهم ما يدور!..
أنا في حيرة من أمري!».
أُسدلتِ النظرات إلى الأرض..
فمن سيرفع رأسه..
غادر القاعة.. وكلماته تعصف بالأذهان!..
نحنُ نحتاج إلى بعثات إلى الغرب كي ننهل من علمهم..
ولكننا أيضاً نحتاج إلى أن نحافظ على ديننا ونفخر به..
نحتاج أن يظهر ديننا في سلوكنا قبل عبادتنا..
نحتاج إلى بعثة إلى القرآن الكريم.. نهتدي بهديه.. ونسير على خطاه..
بعثة ترافق بعثتنا أنّى اتجهنا..

* * *



الليلة ٤٤٢

رَؤُوفٌ رَحِيمٌ

• عندما قال فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]..

قال تعالى لموسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

قال أحد الصالحين وهو يسمع هذه الآية:

سبحانك يا رب! إذا كان هذا هو عطفك بفرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾..

فكيف يكون عطفك بعبدٍ قال: «**سُبحان ربي الأعلى**»؟!..

وإذا كان هذا عطفك بفرعون الذي قال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨].

فكيف يكون عطفك بعبدٍ قال: «**لا إلٰه إلا الله**»؟!..

• **والرأفة**: هي الحنان والعطف الذي لا مثيل له، وهي أخص من الرحمة وأرق..

ومن صفات الله ﷻ: الرؤوف.. وهو الرحيم بعباده.. العطوف عليهم بألطافه..

وقد ورد اسم الله **الرؤوف** في القرآن الكريم (١٠) مرات:

فمن مظاهر رأفته ﷻ.. أنّ من ترك الشّيء لله سبحانه فالله سيعوّضه خيراً منه..

لأنّه تعالى يقــول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

والله تعالى لا يضيع طاعة عباده.. لأنه يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ويحذّر عباده من عذابه.. ليسألوه من فضله ورحمته.. ويستعيذوا من عذابه، فالله تعالى يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وذُكرتِ الرأفــة في مقام الإنعــام بإرسال الرّسل.. ليحــثّ العباد على شكــره.. قــال تعالــى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩].

ووردت وهو يذكر تفضّله على العباد بالأنعام: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النّحل: ٧].

وذُكرتْ في مقام دعوة النّــاس إلى التّوبة إليه.. فقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التّوبة: ١١٧].

• رأى أحد العارفيــن باباً قد فُتح وخرج منه صبــي يستغيث ويبكي.. وأمه خلفه تطرده.. حتى خرج.. ثم دخلتْ وأغلقتْ الباب خلفها..

ذهب الصبي غير بعيد.. ثم وقف مفكراً.. فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أُخرج منه.. ولا مَنْ يؤويه غيــر أمه.. رجع مكسور القلب حزيناً.. فوجد الباب مرتجاً.. وضع خده على عتبة الباب ونام..

خرجت أمه.. فلما رأتْه على تلك الحال.. لم تملك إلا أن رمت نفسها عليه..

وأخذت تقبله وتبكي وتقول: يا ولدي، أين تذهب عني؟! ومَنْ يؤويك سواي؟! ألم أقــل لك: لا تخالفني.. ولا تحملنــي بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلتُ عليه من الرحمة بك؟!..



الليلة ٤٤٣

كم تمنّيتُ وتمنيت؟

• تقول إحداهن: «كنت طفلــة.. وتمنيت أن أدخل المدرسة وأتعلم مثل بقية الأطفال..

وفعلاً دخلت المدرسة.. وعشت طفولتي ومراهقتي..

ثم ما لبثتُ إلا أن سئمت منها..

وتمنيــتُ أن أدخل الجامعة.. وفعلاً دخلت.. لكــن ما أن وصلت حتى مللت منها..

وتمنيت أن أتخرج لأرتاح.. وفعلاً تخرجت.. لكن قتلتني الوحدة..

وتمنيــت أن أتزوج.. وفعــلاً تزوجــت.. ولكن منزلي موحــش يقتله الصمت..

فتمنيت أن أُرزق بالأطفال.. وفعلاً رُزقت..

لكنني ما لبثت أن سئمت حياة المنزل..

فتمنيت أن أتوظف.. وفعلاً توظفت.. وأصبح هاجسي أن أمتلك منزلاً..

وفعلاً وبعد عناء امتلكت.. ولكن أولادي كبروا..

فتمنيتُ أن أزوجهم.. وفعلاً تزوجوا..

لكنني سئمت من العمل ومشاقه.. فقد أصبح العمل مرهقاً لي..

فتمنيت أن أتقاعد لأرتاح.. وفعلاً تقاعدت.. وأصبحت وحيدة كما كنت بعد تخرجي تماماً..

لكن بعد تخرجي كنت مقبلة على الحياة.. أما الآن فأنا عنها مدبرة..

ولكن لا زالت لدي أمنيات..

فتمنيتُ أن أحفظ القرآن.. لكن ذاكرتي خانتني..

فتمنيت أن أصوم لله.. لكن صحتي لم تسعفني..

فتمنيت أن أقوم الليل.. لكن قدماي لم تعد تقوى على حملي».

• فاغتنم صحتك قبل هرمك..

ولا يشغلنك التفكير برزقك عن التفكير بآخرتك..

فإن الله ضمن لك الرزق فلا تقلق..

ولم يضمن لك الجنة فلا تفتر..

وما الحياة إلا قصة قصيرة!..

«خُلق من تراب..

فعاش على تراب..

وعاد إلى تراب..

ثم انتهى إلى حساب..

فإما ثواب.. وإما عقاب!»..

* * *



الليلة ٤٤٤

اقرأ القرآن على...

• يروى أن الإمام **أحمد بن حنبل**.. بلغَهُ أن أحد تلامذته يقوم الليل كل ليلة حتى الفجر ويختم القرآن الكريم خلالها كاملاً...

فأراد الإمام أن يعلّمه كيـف يتدبر القرآن.. فأتى إليه وقال: بلغني عنك أنك تفعل كذا وكذا. فقال: نعم يا إمام..

قال له: إذن اذهب اليوم وقم الليل كما كنت تفعل.. ولكن اقرأ القرآن وكأنك تقرأه عليَّ.. أي كأنني أراقب قراءتك.. ثم أبلغني غداً..

أتى إليه التلميذ في الغد فسأله الإمام: كيف فعلت؟..

فأجاب: لم أقرأ سوى عشرة أجزاء !..

فقال له الإمام: إذن اذهب اليوم واقرأ القرآن وكأنك تقرؤه على رسول الله ﷺ..

جاء إلى الإمام فى اليوم التالي وقال: يا إمام.. لم أكمل حتى جزء عم !..

فقال له الإمام: إذن اذهب اليوم.. واقـرأ القـرآن وكأنك تقرؤه على الله عز وجل..

فدهش التلميذ!...

وفي اليوم التالي.. جاء التلميذ دامعاً.. عليه آثار السهاد الشديد !.

فسأله الإمام: كيف فعلت يا ولدي؟.

أجاب التلميذ باكياً: يا إمام !.. والله لم أكمل الفاتحة طوال الليل!..

• فتذكَّر أن القرآن الكريـــم كلام الله لنا.. فاقرأ كلام الله بقلبك.. وليس بلسانك فقط..

تدبر القرآن عند تلاوته.. استحضر فـــي قلبك عظمة المتكلم.. فقد كان **عكرمة بن أبي جهل** رضي الله عنه إذا نُشــر المصحف غُشي عليه، ويقول: كلام ربي.. كلام ربي..

وقام **النبي** صلى الله عليه وسلم ليلة بآيةٍ واحدة: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨].

وقام **تميم الداري** رضي الله عنه ليلةً بقوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقام **سعيـــد بن جبيـــر** رحمه الله ليلةً يـــردد هذه الآيـــة: ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩].

ولما قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعـــود: «**اقرأ علي؟**» قـــال: فافتتحتُ سورة النساء، فلما بلغتُ: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ٤١] رأيت عينيه تذرفان بالدمع، فقال لي: «**حسبك الآن**».

• والبكـــاء عند قراءة القـــرآن دليل الخشوع إذا كان بكـــاءً صادقاً، فالله تعالى يقول: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وعمر بـــن الخطاب رضي الله عنه سُمع نشيجه من وراء الصفـــوف، لما قرأ قوله تعالى في ســـورة يوســـف: ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] حتى سالت دموعه على ترقوته..

وعائشة رضي الله عنها مرَّ عليها القاســـم وهي تقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧] ترددها وتبكي وتدعو.



الليلة ٤٤٥

استمتع بحياتك

استمتع بكل لحظة في حياتك..

• **ولا تضيع عمرك وأنت في حسرة** على الأيام والساعات التي مضت..

• **تفاعل** مع الأشياء البسيطة المحيطة بك.. ولا تتعوَّد أن تطلب ما ليس عاديّاً لمتعتك..

• **لا تتوقع المتاعب**.. فمن الناس من يتوقع المتاعب قبل وقوعها..

فيظن أن هناك خطأ وقع منه.. أو مرضاً أو نائبة ستحل به !.

فإياك أن تفكر بالمرض أو تخاف من المتاعب.

• **أحبب عملك**.. فمن يمقت عملـه يظل ضجراً متأففاً وهو يؤدي ذلك العمل..

وقد ينتقل من عمل إلى آخر ويعاني الأمر نفسه..

• **لتكن لك هواية** تزيد مـن تمتعك بالحياة؛ فالهوايـة تخلق تجارب جديدة.. ومن لا هواية له تمر به أوقات طويلة مملة.. يضطر خلالها إلى التفكير في متاعبه..

• **كن قنوعاً**؛ فمن الناس من لا يرضى عن أي شيء حوله.. فهو ساخط على الجو.. ساخط على كل ما يحيط به.. كأنما هو يحيا في جحيم..

وخير للإنسان أن يقنع بمـا يستطيع الحصول عليه.. ويترك التطلع إلى ما يتعذر الحصول عليه..

وليس معنى هذا أن لا يكون الإنسان طموحاً إلى الرقي المعقول.

• **أحبب من حولك**، فما معنى أن يشعر الإنسان بالكراهية لمن حوله؟!..

فمن كان كذلك.. نفر من الناس ولم يتقبل صداقة أحد.. حتى إذا وجد نفسه في عزلة عن الناس.. رثى لحالته وخُيِّل إليه أنه مضطهد!.

• **كن مرحاً** فما أجمل أن يستيقظ الإنسان من نومه ويحيّي زوجه تحية الصباح بكلمات رقيقة.. وما أحلى أن تفتح الزوجة عينيها وتحيّي زوجها بأحسن من تحيته.

وسعيد من تكون ظروفه مناسبة لمزاجه.. لكن الأسعد.. من يستطيع أن يجعل مزاجه مناسباً لأي ظرف..

• **أسعِدِ الآخرين**.. فالتفكير في إسعادهم يجعل السعادة تأتيك..

فما بالك حين تزرعها في قلوبهم زرعاً..

وإذا كانت السعادة واحة.. أشجارها النفس البشرية..

فإن الإيمان بالله هو ماؤها.. والتوكل عليه غذاؤها..

والرضا بقضائه شمسها وضياؤها..

• يقول أحد الحكماء: **المحظوظون ثلاثة:**

من ترك الدنيا قبل أن تتركه..

ومن برّ والديه قبل أن يفارقوه..

ومن أرضى الله قبل أن يلقاه!..

* * *



الليلة ٤٤٦

تعال معي إلى القصر

خرج الأمير **علي ابن الخليفة العباسـي المأمون** إلى شرفة القصر ذات يوم... وراح ينظر إلى سوق بغداد يتابع الناس في السوق.

فلفت نظر الأمير حمّال يحمل للناس بالأجرة.. وكان يظهر عليه أمارات الصلاح...

أخذ الأمير يتابع حركاته في السوق.. وعندما انتصف الضحى.. ترك الحمال السوق وخرج إلى ضفاف نهر دجلة.. فتوضأ وصلى ركعتين.. ثم رفع يديه وأخذ يدعو.. ثم عاد إلى السوق فعمل إلى قبيل الظهر.. ثم اشترى خبزاً فأخذه إلى النهر فبلّه بالماء وأكل.. ولما انتهى توضأ للظهر وصلى.. ثم نام ساعة وبعدها نزل للسوق للعمل..

وفي اليوم التالي.. عاد الأمير لمراقبته.. وإذا به يعمل البرنامج السابق نفسه.. وهكذا في اليوم الثالث والرابع..

أرسل الأمير جنديّاً من جنوده إلى ذلك الحمَّال يستدعيه إلى القصر..

دخل الحمال الفقير على الأمير وسلم عليه.. فقال الأمير: ألا تعرفني؟.

فقال: ما رأيتك حتى أعرفك.

قال: أنا ابن الخليفة.. وقد رأيتك أياماً.. ورأيت المشقة التي تصيبك كل يوم.. فأردت أن أخفف عنك المشقة.. فتعال واسكن معي وأهلك بالقصر.. آكلاً شارباً بلا همّ ولا غم.

فقال الفقير: يا ابن الخليفة.. لا همّ على من لم يذنب.. ولا غمّ على من لم يعصِ.. ولا حزن على من لم يُسِئْ.. أما من أصبح وأمسى في غضب الله.. فهو صاحب الغم والهم.

سأله عن أهله.. فأجاب: أمي عجوز كبيرة.. وأختي عمياء حسيرة.. وهما تصومان كل يوم وآتي لهما بالإفطار.. فنفطر معاً ثم ننام.

فقال الأمير: ومتى تستيقظ؟.

فقال: إذا نزل الحي القيوم إلى السماء الدنيا ـ يقصد أنه يقوم الليل.

فقال: هل عليك من دَيْن؟.

فقال: ذنوب سلفت بيني وبين ربي.

فقال: ألا تريد معيشتنا ؟.

فقال: لا والله.. لا أريدها.

فقال: ولِمَ؟.

فقال: أخاف أن يقسو قلبي وأن يضيع ديني.

فقال الأمير: هل تُفَضِّل أن تكون حمّالاً على أن تكون معي في القصر؟.

فقال: نعم والله..

ثم تركه وذهب.

* * *



الليلة ٤٤٧

عجباً لك يا ابن آدم!

• عندما تُولَد.. يُؤذّن فيك من غير صلاة!..

وعندما تموت.. يُصلّى عليك من دون أذان!..

ـ عندما تولد.. لا تعلم مَن أخرجك من بطن أمك..

وعندما تموت.. لا تعلم مَن حملك على الأكتاف..

ـ عندما تولد.. تُغسّل وتنظّف.. وتُغطى بالقماش لكي يستروك..

وعندما تموت.. يفعلون بك مثل ذلك!..

ـ عندما تولد.. يفرح بك أهلك وذووك..

وعندما تموت.. يحزن عليك أهلك وذووك..

ـ عندما تكبر.. يسألك الناس عن شهاداتك وخبراتك..

وعندما تموت.. لا تُسأل إلا عن عملك الذي قدّمت..

• فهكذا يا ابن آدم خُلقت من التراب..

وتعود بعد الموت إلى التراب..

فاجلس مع نفسك واسألها: ماذا أعددت لذاك التراب؟.

اسأل نفسك: كيف تكون نهايتك؟.

أتموت وقد عققت أمك؟!.. أتموت وقد دعا عليك أبوك؟!..

أتموت وأنت تزني؟!.. أتموت وأنت تشرب الخمر؟!..

أتموت وقد ظلمتَ جارك؟!.. أتموت وقد أكلتَ ميراث أختك؟!..

أتموت وأنت تتعامل بالربا ؟!.. أتموت وأنت ترتشي؟!..

فالموت قادم قادم لا محالة فتب إلى الله الآن..

فما زال باب التوبة مفتوحاً على مصراعيه.

• يقول الصالحون: «اذكروا الموت لتستعينوا بذكره على قسوة قلوبكم».

ألسنا نرى الموت يوميّاً أمامنا.. يخطف الناس في ريعان شبابهم؟!..

أليس عجيباً أن تظل قلوب كثير من المسلمين قاسية كالحجر؟!..

• وقد سُئل حكيم: ما أكثر شيء مدهش في البشر؟ فقال:

«البشر يملّون من الطفولة.. يسارعون ليكبروا.. ثم يتوقون أن يعودوا أطفالاً من جديد!..

يضيّعون صحتهم ليجمعوا المال.. ثم يصرفون المال ليستعيدوا الصحة !..

يقلقون من المستقبل.. وينسَون الحاضر.. فلا الحاضر يعيشون ولا المستقبل يأمنون!..

يعيشون كما لو أنهم لن يموتوا أبداً.. ويموتون كما لو أنهم لم يعيشوا أبداً !..

يوسّعون بيوتهم بزيادة الأرض.. ولا يوسعون قبورهم بزيادة العمل الصالح!»..

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

* * *



لن تحصوها

الليلة ٤٤٨

• روى موظف في أحد المشافي أنه كان فـــي استقبال شخصية اقتصادية تتعامل بعشرات الملايين.. ليكمل إجراءات دخوله إلى المستشفى.. فقال:

انتظرْته عند بوابة المستشفى.. ومن هناك راقبتُ سيارتي البالية..

حضر بسيارة... أعجز حتى في الأحلام أن أمتلك مثلها !..

دخلتُ في دوامة التفكير في الفارق بين حالي وحاله.. ومستواي ومستواه !..

وقلْتُها بكل حرقة: هذه عيشة؟!..

كان يقوده سائقه على كرسي متحرك..

رأيتُ رجله اليمنى مبتورة من الفخذ.. فاهتزتْ مشاعري وسألْتُه: عندك مشكلة في الرجل المبتورة؟..

قال: لا..

قلت: فلماذا حضرتَ يا سيدي؟..

قال: عندي موعد تنويم..

قلت: ولماذا ؟..

نظر إليّ وقد كُتم صوته من البكاء وأخفى دمعة حارة في عينيه..

وقال: ذبحتْني الغرغرينا... وموعدي هو من أجل (بتر) الرِّجل الثانية !..

تحسستُ قدميَّ ورجليَّ... فوجدتُها أغلى من ثروات العالم أجمع !..

عندها.. أخفيتُ وجهي.. وبكيت بكاء حارّاً.. ليس على وضعه فحسب..

بل لكفر النعمة الذي يصيب الإنسان عند أدنى نقص في حاله..

• فنحن ننسى نِعَم المولى كلها في لحظــة.. ونستشيط غضباً عند أقل مصيبة !..

والله تعالى يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

يقول بعضُ العُلماء: لو أنك أمضيتَ الحياة كُلها تُحصي نعم الله عليك لما وسعتك.. نعمة البصر، نعمة السمع، نعمة النُّطق، نعمة الشم..

انظر إلى نعمة المثانة.. تجعلُـكَ تجلس ساعات طويلة.. تُسافر.. تدخل إلى مسجد وأنتَ لســتَ بحاجة إلى إفراغ المثانــة.. فلولا هذه النعمة لكان عليك أن تُفرغَ البولَ كلَّ دقيقة !..

يقول رســول الله ﷺ: «مَن رأى صاحِــبَ بلاءٍ فقال: الحمــدُ للهِ الَّذي عافاني مِمَّا ابتلاكَ بهِ، وفضَّلني على كَثيرٍ مِمَّن خلقَ تَفضيلًا؛ لَم يُصِبْهُ ذلكَ البَلاءُ»[1].

قال **الجنيد**: دخلتُ على **السري السقطي**، فقال لي: ما الشكر يا غلام؟..

فقلت: ألَّا نستعين بنعم الله على معاصيه.

وقيل: لا زوال للنعمة إذا شُكرتْ.. ولا دوام لها إذا كُفرتْ.

ومن أضاع الشكر ففد خاطر بالنعمة..

فإذا كُنتَ في نِعمةٍ.. وحَرِصتَ على أن تستمر ولا تزول.. فحصِّنْها بالشُّكر..

وإذا أردتَ أن تزيــد.. فَزِدها بالشُّكر.. فالله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٧].

* * *

(١) صحيح الترغيب: ٣٣٩٢.



ابنة هولاكو.. وعالِم

الليلة ٤٤٩

• «يُــروى أن **ابنة** «**هولاكو**» زعيم التتار كانت تطوف في بغداد.. فرأتْ جمعاً من الناس يلتفّون على رجل منهم، فسألت عنه..

فإذا هو عالم من علماء المسلمين، فأمرتْ بإحضاره.. وسألتْه: ألستم المؤمنين بالله؟..

قال: بلى..

قالت: ألا تزعمون أن الله يؤيد بنصره من يشاء؟.

قال: بلى..

قالت: ألم ينصرنا الله عليكم؟.

قال: بلى..

قالت: ألا يعني ذلك أننا أحبّ إلى الله منكم؟..

قال: لا..

قالت: لِمَ؟..

قال: ألا تعرفين راعي الغنم؟..

قالت: بلى..

قال: ألا يكون مع قطيعه بعض الكلاب؟..

قالت: بلى..

قال: ما يفعل الراعي إذا شردتْ بعض أغنامه، و خرجتْ عن سلطانه؟..

قالت: يرسل عليها كلابه لتعيدها إلى سلطانه..

قال: كم تستمر في مطاردة الخراف؟..

قالت: ما دامت شاردة !..

قال: فأنتم أيها التتار «كلاب الله في أرضه»!..

وطالما بقينا شاردين عن منهج الله و طاعته.. فستبقون وراءنا حتى نعود إليه !».

• ولهذا كان النصر مشروطاً بنصرة الله في أعمالنا وحياتنا كلها..

فقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بأن ينصرهم على أعدائهم، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

فالوعد في الآية بالنصر والتمكين للمؤمنين متحقق لا محالة.

ووعد آخر بالعلو على الكافرين وهزيمتهم، قال تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]..

ولكن النصر مشروط بنصرة العباد لله تعالى.. ونصرة الله تعني الامتثال التام لما أمر الله به.. والاجتناب التام لما نهى عنه..

فمن فرّط في نصرة الله تعالى لن ينال من الله عَزَّوَجَلَّ النصر والتأييد..

وكثيراً ما نتساءل: متى نصر الله؟.

أما آن لليل أن ينجلي؟ أما آن للفجر أن ينبلج؟..

ولكن البعض منا يطيل أمد الليل.. بما يطوّق به نفسه بالمعاصي وسوء المعاملة..

فمن يصرّ على المعاصي وسَيِّئ الأخلاق فهو خصم لأمته..

ومن يُعرِض عن الطاعات فهو يطيل على الأمة ما فيها من كربات..

فليسأل كل واحد منا نفسه:

هل هو سبب في إطالة ليلها بما اقترفت يداه؟..

وهل هو خصم للأمة أم هو ناصرٌ لها ؟..



الليلة ٤٥٠

خَفْ من ذنبك

• إذا أتيــتَ بمعصيــة فقل: رب ما أتيــت الذنوب جــرأة مني عليك، ولا تطاولاً على أمرك..

وإنما ضعفاً وقصوراً.. غلبتْني طينتي.. وخدعتْني نفسي الأمارة بالسوء..

ربِّ لا أشكو أحداً ولكني أرجو رحمتــك.. رحمتك التي وسعت كل شيء..

أرجوك أنت يا من وسع كرسيُّه السموات والأرض..

• فلا يخافن العبد إلَّا ذنبه.. ولا يرجونّ إلَّا ربه.

فلا تخف من القوي فهو بيد الله..

ولا تخف من طاغية فهو بيد الله..

ولا تخف من عقوق الولد فإنه بيد الله..

خف من ذنبك.. ذنبك الذي ينغِّص عليك حياتك..

خف من الله وحده.. فإذا خفتَ من الله لم يُخفْك من أحد غيره..

• قال **أبو القاسم الحكيم**: الخوف على ضربين: رهبة وخشية.

فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف..

وصاحب الخشية يلتجئ إلى الله وحده..

وليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه..

إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذَّب عليه..

• وقيل **للفضيل**: ما لنا لا نرى خائفاً؟!..

فقال: لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين !..

فإن الخائف لا يراه إلَّا الخائفون !..

• وقال **يحيى بن معاذ**: مسكين ابن آدم؛لــو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة.

• وسئل **ذو النون المصري** رَحِمَهُ اللهُ: متى يتيسر على العبد سبيل الخوف؟.

فقال: إذا أنزل نفسه منزلــة السقيم.. يحتمي من كل شيء.. مخافة طول السقام..

فعلى خطاياك يجب أن تبكي.. وليس على هجر أو فراق.. أو مرض أو موتٍ..

فهذا حال الذين قَدَروا الله حقَّ قدره..

• نسألك يا ربنا أن تنقذنا من أعيننا.. فلا نرى الأشياء إلَّا بعينك أنت..

وتنقذنا من أيدينا.. فلا ترتفع إلى شيء إلَّا فيه رضاك..

وتنقذنا من أرجلنا.. فلا تمشي إلا في طاعتك..

جاء في الحديث القدسي: «**إنَّ اللهَ تعالى قال: مَنْ عــادَى لي وليّاً فقد آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدي بِشيءٍ أحبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عليهِ، وما زالَ عَبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بــهِ، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بِها، ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بِها، وإِنْ سأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن قَبْضِ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أَكْرَهُ مَساءَتَهُ**»[1].

(١) السلسلة الصحيحة: ١٦٤٠.



أحسِنوا الظنَّ باللّه

الليلة ٤٥١

• لماذا صبر **يعقوب** عليه السلام على فراق **يوسف** عليه السلام؟..

لماذا نزل **موسى** عليه السلام ومَن معه في البحر؟..

لماذا ترك **إبراهيم** عليه السلام **هاجر وإسماعيل** في وادٍ غير ذي زرع؟..

لماذا خرجت **مريم** إلى قومها بطفلها؟..

لماذا ألقت **أم موسى** برضيعها في اليمّ؟..

لماذا لم يَخَفْ **رسول الله** ﷺ في حياته قط؟..

لأنهم أحسنوا الظن بالله..

ولأن ثقتهم بالله كانت أكبر وأشد من الخوف والحزن والألم..

• فإذا كنتَ واثقاً بالله متوكلاً عليه.. فلا تخشَ أحداً إلا الله..

فكن مع الله ولا تُبالِ..

فهذه نارٌ لا ُتحْرق ! (إبراهيم).

وبحرٌ لا يُغرِق ! (موسَى).

وطفلٌ ترمِيه أمّه في النّهر.. فيصلُ إلى بيت الملك!..

وآخر يرميه أخوتُه في البئر (يوسف).. فينجو منه وَ يُسجن.. ثمّ يكون وزيْراً !..

ألم يقل حبيبنا ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلّا**

بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»؟!..

فَثق بمَا دبّره الله تعالى.. وتقرّب إليه تكن حبيباً لله..

• يقول **ابن القيم**: «أساس كل خير: أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

فعندما تجد إنساناً وقف بِجانبك يوماً ما!..

تذكَّر أن الله هو الذي سخّره ليقف بِجانبك فيُخفف عنك..

وعندما تجد نفسك وحيداً لا أحد بِجانبك!..

تذكَّر أن الله يريدك أن تلجأ إليه هو فقط.. لِيخفف عنك ما أنت فيه..

• يُحكى أن أحد الصالحين كان إذا أُصيب بشيء أو ابتُليَ به يقول: «خيراً»..

وذات ليلة جاء ذئب فأكل ديكاً له، فأخبر به فقال: «خيراً إن شاء الله»..

ثم ضُربَ في تلك الليلة كلبه المُكلف بالحراسة فمات.. فقيل له.. فقال: «خيراً إن شاء الله»..

ثم نهق حماره نهقة فمات.. فقال: «خيراً إن شاء الله».

فضاق أهله بكلامه ذرعاً..

وفي تلك الليلة أغار عليهم قومٌ فقتلوا كُلَّ من بالمنطقة، ولم ينجُ إلا هو وأهل بيته !..

استدلّ الذين أغاروا على الذين قتلوهم بصياح الديكة ونباح الكلاب ونهيق الحمير..

وقد أنجاه الله وأهله.. بعد أن أمات له الثلاث.. فكان هلاك تلك الأشياء خيراً له..



الليلة ٤٥٢

علَّمَهُ سرّ تفوُّقِه!

أراد أحد المتفوِّقين أكاديميّاً من الشباب أن يتقدَّم لمنصب إداري في شركة كبرى.. وقد نجح في أول مقابلة شخصية له..

وجد مدير الشركة من خلال الاطلاع على السيرة الذاتية للشاب أنه متفوق أكاديميّاً حتى التخرج من الجامعة.. ولم يخفق أبداً!..

سأل المدير هذا الشاب المتفوق: هل حصلت على أية منحة دراسية أثناء تعليمك؟.

أجاب الشاب: أبداً!.

فسأله المدير: هل كان أبوك هو الذي يدفع كل رسوم دراستك؟.

فأجاب الشاب: أبي توفي عندما كنت في السَّنَة الأولى من عمري.. إنها أمي التي تكفّلت بكل مصاريف دراستي..

فسأله المدير: وأين عملتْ أمك؟.

فأجاب الشاب: أمي كانت تغسل الثياب للناس!..

عندها طلب منه المدير أن يريه كفَّيْه.. فإذا هما كفّان ناعمتان رقيقتان!.

فسأله المدير: هل ساعدتَ والدتك في غسيل الملابس قط؟.

أجاب الشاب: أبداً.. كانت أمي تريدني دائماً أن أذاكر وأقرأ المزيد من الكتب.. وهي أسرع مني في الغسيل على أية حال!.

فقال له المدير: لي عندك طلب صغير.. وهو أن تغسل يدي والدتك حالما تذهب إليها..

ثم عد للقائي غداً في الصباح..

حينها شعر الشاب أن فرصته لنيل الوظيفة أصبحت وشيكة..

ذهب إلى منزله فطلب من والدته أن تدعه يغسل يديها.. وأظهر لها تفاؤله بنيل الوظيفة..

شعرت الأم بالسعادة لهذا الخبر.. لكنها استغربت هذا الطلب.. ومع ذلك سلَّمَتْه يديها.

بدأ الشاب بغسل يدي والدته ببطء.. ودموعه تنهمر من عينيه..

كانت المرة الأولى التي يرى فيها كم كانت يداها مجعدتين !..

كانت ملأى بالكدمات التي كانت تجعل الأم تنتفض حين يلمسها الماء !.

كانت هي المرة الأولى التي يدرك فيها الشاب أن **هاتين الكفين هما اللتان كانتا تغسلان الثياب كل يوم ليتمكن هو من دفع رسوم دراسته !..**

وأن الكدمات في يديها هي الثمن الذي دفعتْه من أجل مستقبله..

وبعد انتهائه من غسل يدي والدته.. قام الشاب بهدوء بغسل كل ما تبقَّى من ملابس عنها..

قضى الشاب تلك الليلة مع أمه وهما يتناجيان.. بين دمع وأشجان..

وفي الصباح توجَّه إلى مكتب مدير الشركة والدموع تملأ عينيه..

فسأله المدير: هل لك أن تخبرني ماذا فعلت؟.

فأجاب: لقد غسلتُ يدي والدتي.. وقمتُ أيضاً بغسيل كل الثياب المتبقية عنها..

والآن أدركت معنى العرفان بالجميل..

ولولا الله ثم أمي وتضحياتها.. لما وصلت إلى ما أنا فيه من التفوُّق !..



الليلة ٤٥٣

لا تَصْلح إلا لي !

• يحكى أن فتى قال لأبيه: أريد الزواج من فتـــاة رأيتُها.. وقد أعجبني جمالها وسحر عَيْنيها..

رد عليه أبوه وهو فرح ومسرور: أين هذه الفتاة حتى أخطبها لك يا بني؟

فلما ذهبا ورأى الأب هذه الفتـــاة أُعجب بها، وقال لابنه: اسمع يا بني هذه الفتاة ليست من مستواك وأنت لا تصلح لها..

هذه يستحقها رجل له خبرة في الحياة مثلي وتستطيع الاعتماد عليه..

دهش الولد من كلام أبيه، وقال له: كلا بل أنا سأتزوجها يا أبي وليس أنت !.

تخاصما وذهبا إلى مركز الشرطة ليحلوا لهم المشكلة..

وعندما قصَّا للضابـــط قصتهما.. قال: أحضروا الفتـــاة كي نسألها من تريد الولد أم الأب؟.. فلما رآهـــا الضابط انبهر من حسنها وجمالها.. وقال لهم: هذه لا تصلح لكما بل تصلـــح لشخص مرموق في البلد مثلي..

تخاصـــم الثلاثة وذهبـــوا إلى الوزيـــر.. وعندما رآها الوزيـــر قال: هذه لا يتزوجها إلا الوزراء مثلي..

تخاصموا عليها حتى وصل الأمر إلى أمير البلد..

وعندما حضروا قال: أنا سأحل لكم المشكلة.. أحضِروا الفتاة..

فلمَّا رآها الأمير قال: بل هذه لا يتزوجها إلا أمير مثلي..

تجادلوا جميعاً واختلفوا، فقالت الفتاة: أنـــا لدي الحل.. سوف أركض وأنتـــم تركضـــون خلفـــي.. والـــذي يمسكنـــي أولاً أكون مـــن نصيبه ويتزوجني..

وفعلاً ركضتْ وركض الخمسة خلفها.. الشاب والأب والضابط والوزير والأمير..

وفجأة.. وهم يركضون خلفها سقط الخمسة في حفرة عميقة..

ثم نظرت إليهم الفتاة من أعلى وقالت: هل عرفتم من أنا ؟.

أنا الدنيا !..

• يقول **الإمام الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه.. فقد أعظم على الله الفرية».

ويقول **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يا ابن آدم صاحِبِ الدنيا ببدنك.. وفارقها بقلبك وهمك.. فإنك موقوف على عملك.. فخـــذ مما في يديك.. لما بين يديك عند الموت.. يأتيك الخير كله»..

ولابن القيم قول جميل.. يقول:

لو رُزق العبد الدنيا وما فيها ثم قال: الحمد لله..

لكان إلهام الله له بالحمد.. أعظم نعمة من إعطائه له الدنيا..

لأن نعيم الدنيا يزول.. وثواب الحمد يبقى.

* * *



الليلة ٤٥٤

لحم!

• يقول أحدهم: كنت مدعوّاً إلى وليمة لأحد الأصحاب.. تجاذبنا أطراف الأحاديث حتى حان موعد العشاء.. فتناولنا طعام الوليمة.. وكلكم يعلم ما يحدث في الولائم من الإسراف والمباهاة بأنواع الأطعمة.

قال محدِّثي: وبعد العشاء بقي صنف من الطعام بأكمله لم يمسه أحد.. فاحتاروا أين يذهبون به! فقلت: أنا آخذه.

فلما انتهينا ودّعتُ صاحب الوليمة وذهبت إلى أحد الأحياء الفقيرة..

وفي وسط هذا الحي استوقفت أحد المارة قائلاً له: لو سمحت، أين أجد أهل بيت محتاجين؟!.

قال: كل من حولك بأمَسِّ الحاجة..

فطرقت أحد تلك البيوت، ففتحت لي امرأة محتشمة بحجابها ومن خلفها ابنتها الصغيرة.. فناولتها الصحن فشكرتني ودعت لي.

وقبل أن أنصرف سمعت صوت البنت الصغيرة من خلف الباب تصيح بأعلى صوتها وكأنها رأت شيئاً عظيماً: «لحم».

يقول محدثي: فهزّت فيّ مشاعر كانت باردة من قبل.. فسقطت دمعة من عيني مسحتها.. ورحت أجرُّ أذيالي وأنا أتقطع من الألم.. داعياً أن يرحمهم الله.. وأن لا يؤاخذنا الله بتقصيرنا تجاههم.

• فيا من تنامون على السرر والنمارق الوثيرة.. وتأكلون ألذ الأطعمة وتركبون المراكب الفارهة.. هناك إخوان لكم لا يجدون ذَرَّة مما وجدتم، فماذا قدمنا لهم؟.

تقول الدراسات التي أجريت في بعض الدول العربية: إن ما يُلقى ويتلف من مواد غذائية.. ويوضع في صناديق القمامة.. تصل نسبته إلى (٤٥٪) من حجم القمامة !..

وقد أصبح الطعام عند كثير من الناس هدفاً لا وسيلة.. فتراهم يبحثون في الأسواق عن أنواع الطعام.. ويُسرفون في قضاء أوقاتهم في الأسواق.. يشترون ما استجدت صناعته.. واختلفت أنواعه وألوانه.

يُروى عن أمير المؤمنين **عمر** رضي الله عنه حينما رأى الإقبال على الشراء في الأسواق من مختلف النعم وتكديسها في البيوت بكثرة.. فقال كلمته المشهورة: (أكلما اشتهيتم اشتريتم؟)..

فماذا يقول عمر لو رأى ما يحدث الآن؟!..

• ولم يمنع الإسلام الاستمتاع بالطيبات وزينة الله.. وإنما منع الإسراف.. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]..

لا تحاول أن تُنفق أكثر مما تستطيع.. لا يكن مصروفك كبيراً.. فتضطر للاستدانة..

والدَّيْن همٌّ بالليل.. مذلَّة بالنهار.. وقد لا تستطيع أن تسدِّد دينك.. فتضطر أن تُحدِّث فتكذب.. وتعِد فتُخلف..

وفرقٌ بين الإسراف والتبذير.. فالإسراف: تجاوز في الحلال. والتبذير: إنفاق في الحرام.

فلو أن رجلاً عنده مال قارون وأنفق درهماً واحداً في معصية.. كان ذلك تبذيراً.. وهو محرَّم ومنهيٌّ عنه.. قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ ـ ٢٧].

* * *



الليلة ٤٥٥

لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا

• والإسراف كما يكون من الغني فإنه يكون من الفقير..

ولهذا قال **ابن عباس** رضي الله عنهما: «من أنفق درهماً في غير حقه فهو سرف».

وقد نهى الله عز وجل عباده عنه، فقال: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى ممتدحاً أهل الوسطية في النفقة.. الذين لا يبخلون ولا يسرفون: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال ﷺ: «**كُلوا واشرَبوا وتَصدَّقوا والْبَسوا ما لم يخالِطْهُ إسرافٌ أو مَخيلةٌ**»[١].

• **وللإسراف والتبذير أسباب، منها:**

ـ جهل المسرف بتعاليم الدين الذي ينهى عن الإسراف بشتى صوره.. فعاقبة المسرف في الدنيا الحسرة والندامة.. وفي الآخرة العقاب الأليم.

ولهذا تجده يسرف في تناول المباحات.. فينتهي بالبدانة ومرض السكر وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب وتنكس مفاصل الركبتين وغيرها..

يقول **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: «إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها

(١) صحيح ابن ماجه: ٢٩٢٠.

مفسدة للجسد، مورثــة للسقم، مكسلة عن الصــلاة، وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف».

ـ وقد ينشأ المسرف في أسرة حالها الإســراف والبذخ.. فما يكون منه سوى الاقتداء والتأسي.. ومن الناس من لا يدرك أن طبيعة الحياة الدنيا عدم الاستقرار على حــال.. فكم افتقر أناس بعد غنًى.. ولهذا ينبغي أن نضع النعمة في موضعها.. وندَّخِر ما يفيض عن حاجاتنا اليوم من مال ومتاع إلى الغد.. فما أحد يعلم ما تخبئ له الأيام!.

ـ ومن الناس من يعيش في ضيــق.. فيصبر ويحتسب.. ثم إذا أشرق له الزمان وأصبح من الأغنياء.. صعُب عليــه التوسط والاعتدال.. فانقلب إلى صنف المسرفين أو المبذرين !.

ـ ولا شــك أن لصحبة المترفين أثراً كبيراً علــى المسرف في سلوكه.. يقول ﷺ : «الرجلُ على دينِ خليلِه، فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ»[١].

ـ وقد يكون سببه حب الشهرة والتباهي أمــام الناس رياء وسمعة.. أو التعالي على الآخرين.. فيظهر لهم أنه سخي وجواد.. ولا يهمه لو أضاع المال من أجل الثناء أو كسب المديح.

ـ وقد يكون السبب تقليد الآخرين.. خوفاً من أن يوصف بالبخل..

• **ومن صور الإســراف والتبذيــر**: متابعة الموضــة والانشغال بجنون الأزياء.. والاستجابة لضغوط الحملات الإعلامية الصاخبة.. التي تحمل كثيراً من الناس على شراء ما لا يحتاجون.

فالعالــم الآن مصاب بسعــار الدعايات والشــراء والتكديس.. فتغريك الدعاية بشراء سلعة جديدة وتُكَرِّهك في التي عندك..

---

(١) صحيح أبي داود: ٤٨٣٣.



الليلة ٤٥٦

وصية أم

• كتبت أم لابنها وصية جاء فيها:

«ولدي العزيز..

ـ ستراني يا بنيّ فى يوم من الأيام عجوزاً..

وقد أبدو غير منطقية في تصرفاتي !..

عندها أعطني بعض الوقت وبعض الصبر.. لتفهمني..

ـ وعندما ترتعش يداي.. فيسقط طعامي على صدري..

أو لا أقوى على لبس ثيابي.. فتحلَّ بالصبر معي..

وتذكر سنوات مرّت.. عندما كنتُ أعلّمك ما لا أستطيع فعله اليوم !..

ـ وإن لم أعد أنيقة جميلة الرائحة.. فلا تلمْني..

واذكر كيف كنتُ أزيل عنك الأوساخ.. كي تبقى رائحتك جميلة على الدوام..

ـ إذا رأيتَ جهلي وعدم فهمي لأمور جيلكم.. فلا تضحك عليّ..

وتذكر أنني أنا الذي علّمتُك كيف تخطو في هذه الحياة..

ـ إذا حدّثْتَني.. فلا تتضايق من ضعف ذاكرتي وبطء كلماتي..

فسعادتي الآن في حديثي معك.. هي أن أكون بجانبك..

ـ عندما تخذلني قدماي في حملي إلى المكان الذي أريد..

فكن عطوفاً عليّ.. وتذكر كم أخذتُ بيدك كي تستطيع المشي..

فلا تستحْيِ أبداً أن تأخذ بيدي اليوم..

فغداً ستبحث عمَّن يأخذ بيدك..

ـ عندما تتذكر شيئاً من أخطائي..

فاعلم أني لم أكن أريد سوى مصلحتك..

ـ ما زالت ضحكتك وابتسامتك يا بنيّ تفرحني مثلما كنتَ صغيراً..

فلا تحرمني صحبتك !..

ـ أرجوك فقط أن تساعدني في قضاء ما أحتاج إليه..

فسيُهيِّئ الله لك يوماً ما مَن يساعدك !.

ـ أنا أعلم في هذا السن أني لست مُقبلة على الحياة مثلك..

وأنني ببساطة أنتظر الموت !..

فكن معي.. ولا تكن عليّ»..

أمك المحبة مهما فعلتَ !

• قال أحد الحاضرين بمجلس أحد العلماء: «رأيتك البارحة يا شيخي بالمنام ولحيتك تتقطّر ياقوتاً ولؤلؤاً»!..

فقال له الشيخ: صدقتَ والله..

فقال تلامذته: يقول لك: رآك بالمنام وتقول: صدقت؟.

فقال الشيخ: «**لقد مسحتُ قدم أمي بلحيتي قبل أن تنام**»!..

* * *



الليلة ٤٥٧

الولد الكسول

• «كان لرجل حكيم ولد كسول لا يحب العمل.. وكان هذا الأمر يزعج الأب ويحزنه.

وذات يوم طلب الأب من ابنه الخروج إلى العمل وكسب الرزق، فحزن الابن الكسول..

ولما رأى إصـرار والده على ذلـك خطرت بذهنه فكـرة أعادت إليه سعادته.. وهي الخروج كالعـادة إلى النزهة وتمضيـة النهار باللعب.. والرجوع إلى البيت مساءً وكأنه أمضى النهار في العمل.. وإذا سأله أبوه عن المال الذي كسبه أخرج له ديناراً كان قد ادّخره..

أعجبته الفكـرة فنفّذها بدقة.. لكن الأب الحكيم كـان ذكيّاً فلم تنجح معه هذه الحيلة..

أراد أن يعرف مدى اهتمام ابنه بما كسبه من النقود.. فألقى الدينار في نارٍ تشتعل بالقرب منه فاحترق الدينار.. ولم يهتم الابن لذلك!..

وفي اليوم التالي تكرر الأمر.. وعندما وجد الابن أن نقوده قد نفدت.. قرر أن يخرج للعمل فوراً.. وإلا فماذا سيقدم لأبيه؟..

وفي صباح اليوم التالي خرج مبكراً.. فتوكل على الله.. وبدأ يبحث عن عمل هنا وهناك حتى وجده..

أخذ يعمل بجد ونشاط حتى المساء.. فعاد إلى البيت متعباً منهكاً..

قدّم الدينار لأبيه.. فلما أراد الأب أن يلقيه في النار كما فعل في اليومين السابقين صرخ الابن:

«ماذا تفعل يا أبي؟ لقد حصلت على هذا الدينار بعد جهدٍ شاق!».

ضحـك الأب.. وقد عرف أن هذا الدينار قد تعـب ابنه من أجل كسبه تعباً شديداً.. وأنه ثمرة عمله وجهده.. فأخذه وضمّه إلى صدره».

• فعلّموا أولادكم أن الطائر لا يأتيه رزقه في العش..

والنملة لا تُعطَى طعامها في مسكنها..

والنحلة لا تجلس تنتظر الأزهار تأتي إليها..

ولكن.. كلهم يطلبون ويبحثون!..

علّموهم أن يطلبوا لقمة العيش كما هؤلاء طلبوا.. يجدون ما وجدوا!.

علّموهم كيف يستثمـرون أوقات يومهم ولحظاتـه.. فما ينقضي ذلك اليوم.. إلا وفيه شيء يميزه عن سابقه..

علّموهم كيف يخططون لغدهم ومستقبلهم.. فلا يعيشون من دون هدف ولا غاية..

أرشدوهم إلى حيث يستثمرون حياتهم الدنيا بالخير والفلاح..

علّموهم كيف يجعلون من فرص الحيـاة.. سعادة في الدنيا ونعيماً في الآخرة..

* * *



الليلة ٤٥٨

قصة الشيوخ الثلاثة

خرجت امــرأة من منزلها.. فــرأت ثلاثة شيوخ بلحًى بيضــاء طويلة.. يجلسون أمام المنزل..

قالت: لا أظنني أعرفكم.. ولكن لا بد أنكــم جوعى! أرجوكم تفضلوا بالدخول لتأكلوا.

سألوها: هل رب البيت موجود؟.

فأجابت: لا، إنه بالخارج..

فردّوا: إذن لا يمكننا الدخول..

وعندما عاد زوجها في المساء أخبرتْه بما حصل..

فقال لها: اذهبي إليهم واطلبي منهم أن يدخلوا..

فخرجت المرأة وطلبت إليهم أن يدخلوا..

فردوا: نحن لا ندخل المنزل مجتمعين !.

سألتْهم: ولماذا ؟.

فقال أحدهم: اسألي زوجك من يريد منا أن يدخل.. فهذا صاحبي اسمه (**الثروة**).. والثاني اسمه (**النجاح**) ـ وهو يومئ نحو الآخر ـ.. وأنا اسمي (**المحبة**)..

دخلت المرأة وأخبرت زوجهــا بما قيل.. فغمرت السعــادةُ زوجها وقال: يا له من شيء جميل.. فلندعُ (الثروة) يدخل أولاً فيملأ البيت ثراءً ومالاً !..

عندها خالفتْه الزوجــة وهي تقول: عزيزي، لِـمَ لا ندعو (النجاح) أن يدخل.. فننجح فـي حياتنـا وينجح أبناؤنـا.. فلا يشغـل بالنا على مستقبلهم؟!..

كل ذلك كان على مسمع من زوجة ابنهم وهي تجلس في إحدى زوايا المنزل.. فأسرعت باقتراحها قائلة: أليس من الأجدر أن ندعو (المحبة)؟ فمنزلنا حينها سيمتلئ بالحب والحنان..

فقال الزوج: دعونا نأخذ بنصيحة زوجة ابننا !.. اخرجي وادعي (المحبة) ليحلّ ضيفاً علينا !.

خرجت المرأة وسألت الشيوخ الثلاثة: أيكم (المحبة)؟ أرجو أن يتفضل بالدخول ليكون ضيفنا..

نهض(المحبة) وأخـذ يمشي نحو المنـزل.. فنهض الاثنـان الآخران وتبعاه ! وهي مندهشة..

سألت المرأة كلًّا مـن (الثروة) و(النجاح) قائلة: لقـد دعوتُ (المحبة) فقط.. فلماذا تدخلان معه؟.

فردّ الشيخان: لو كنتِ دعوتِ (الثروة) أو (النجاح) لظلّ الاثنان الآخران خارجاً..

ولكنك دعوتِ (المحبة).. فأينما ذهب نذهب معه!..

وأينما وجدت المحبة والوئام.. حلّ الثراء والنجاح..

فمن كان محبّاً لله.. محبّاً للخير.. نشر المحبة حيثما حلّ..

وعندها تظلُّه محبة الله والناس أجمعين..

وتواكبه البركة في الرزق مهما كان قليلاً..

فهذا هو الثراء.. هذا هو الثراء: **رزق حلالٌ طيب مبارك فيه..**

وسيكون النجاح حليف كل من سعى في أي طريقٍ للخير شاء..



الليلة ٤٥٩

الخادم القنوع

• كان هناك فقيرٌ يرعى أمَّهُ وزوجتَهُ وأولادَه..

كان يعملُ خادمــاً لدى أحد الوجهاء.. وكان مُخلصــاً في عمله.. يُؤديه على أكملِ وجهٍ..

تغيب ذات يوم عن العمل !فقال سيــدُهُ في نفسه: لا بُد أن أُعطيه ديناراً زيادةً على أجره حتى لا يتغيب عــن العمل مُجدداً.. فربما ما تغيّب إلا طمعاً في زيادةِ راتبه.. وهو يعلمُ حاجتي الماسة إليه..

وحين حضر في اليومِ التالي.. أعطاهُ راتبَهُ وزاد عليه ديناراً..

لم ينبس العاملُ ببنت شفة.. ولم يسأل سيده عن سبب الزيادة!..

وبعد فترة غاب العاملُ مرةً أُخرى!..

فغضب سيدُهُ غضباً شديداً وقال: «سأُنقص الدينار الذي زدتُه».

فأنقصه من راتبِ العاملِ.. فلمْ يتكلمْ ولمْ يسألْهُ عنْ سبب نُقصانِ راتبه !..

فاستغرب الرجلُ مِنْ ردة فعلِ الخادمِ، وسألهُ:

زدتُك ديناراً فلمْ تسألْ: لِمَ زدتَ؟! وأنقصتُك إياه فلمْ تسألْ؟!.

فقــال العاملُ: «عندمــا غبتُ عنِ العمــلِ في المرة الأولــى رزقني اللهُ مولُوداً.. وحين كافأتني بالزيادة.. قُلتُ: هذا رزقُ مولُودي قد جاء معهُ.. فرضيتُ بعطاءِ الله..

وحين غبتُ في المرة الثانية ماتت أُمي.. وعندما نقُص راتبي.. رضيتُ بقضاء الله.. وقلتُ: هذا رزقُها قد ذهب بذهابها»!..

• فمـــا أجملَ تلك الأرواحَ التـــي تقنعُ وترضى بقضـــاء الله.. وتنسبُ الفضل لله..

وما أجملَ الأرواحَ التي تُقدمُ العُذر لمنْ أساء..

فعندما تمتلك روحاً جميلة.. فإنك ترى كلَّ ما في الوجود جميلاً..

وعندما تمتلك نفساً راضية.. سترضى ولَو بالقليل..

هكذا هي القناعة..

فلا أحد يملك الحياة المثلى..

ولا أحد يحظى بقلب خالٍ من الهموم..

أو رأسٍ خالٍ من المشاكل والأعباء..

فالقناعة سر من أسرار الحياة الهانئة السعيدة..

وقناعتك بما لديك والرضا بما حزت.. وعدم النظر لما عند غيرك؛ هو سر سعادتك..

فكلما نظرت لغيرك اسودّت الدنيا في عينيك.. وطلبت ما ليس لك به حق..

فما لديك هو نصيبك من هذه الدنيا.. وما لدى غيرك هو نصيبه منها..

فارضَ بنصيبك تسعد وتهنأ..

قال حكيم لابنه: يـــا بني ! إذا طلبت الغنى فاطلبـــه بالقناعة، فإنها مالٌ لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر..

وقال آخر: ثلاث من كن فيه كمل عقله: من عرف نفسه، وحفظ لسانه، وقنع بما رزقه الله ﷻ..

هي القناعةُ فالزمْهَـــا تَعِشْ ملكاً   لو لم يَكُـــنْ فيها إلا راحةُ البدنِ

* * *



الليلة ٤٦٠

إذا كنتَ..

• إذا كنت فقيراً فحاول أن تكتم فقرك.. حتى يظن الناس من عفتك أنك غني..

وإذا غضبتَ فاكتم غضبك.. حتى يظن الناس أنك راضٍ..

وإذا كنتَ في شدة فلا تُظهر شدتك.. حتى يظن الناس أنك بخير..

• ولا تُدِرْ ظهرَك لمن جمعتْكَ بهم عشرة الدهر..

فالعلاقات لا تُقاس بطول العشرة..

إنما بجميل الأثر وروعة البصمات..

فكم من معرفة قصيرة المدى لكنها بهدوئها وجمالها أعمق وأنقى من أطول معرفة..

• ولا تهمل من يعطيك اهتمامه ووقته.. فهو يستحق منك الاحترام والتقدير..

والاحترام لا يدل على الحب..

إنما يدل على حسنِ التربية..

فاحترم حتى لو لم تحب...

واحترامك للغير يعني احترامك لنفسك..

فحين تبتسم لشخص ما وتسأله عن أحواله.. وتمد يدك لمصافحته بعد أن أساء إليك..

فهذا لا يعني أنك لا تستطيع العيش دونه..

بل يعني شيئاً واحداً.. أنك تربيت على يد امرأه عظيمة ورجل عظيم!.

• وليس كل من اعتذر مخطئ أو ضعيف..

فالاعتذار صفة نادرة لا تجدها إلا في الأوفياء!.

فإذا أخطأتَ فاعتذر.. فهنالك لحظات وداع ليس لها وقت مُحدد.. ولن يسعفك الوقت للتبرير أو الاعتذار..

• كن لطيفاً مع الكل، وإذا اشتقتَ فتكلم.. ولا تكن صامتاً..

واجعل من يراك يتمنى أن يكون مثلك..

ومن يعرفك يدعو لك بظهر الغيب بالخير..

ومن يسمع عنك يتمنى لقاءك..

يقول ﷺ: «**خُلُقانِ يحبُّهما اللهُ، وخُلُقانِ يُبْغضُهما اللهُ، فأمَّا اللذانِ يحبُّهما اللهُ: فالسخاءُ والسماحةُ، وأمَّا اللذانِ يُبْغضُهما اللهُ: فسوءُ الخلقِ والبخلِ، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً استعمَلَهُ على قضاءِ حوائجِ الناسِ**».

فمن تعطّر بأخلاقه.. فلن يجفّ عطره.. حتى ولو كان تحت التراب..

* * *



الدعوة الصامتة

• كان أحد الدعاة في زيارة لإحدى الدول الأوروبية.. جلس مرة في محطة للقطار.. فإذا به يرى امرأة عجوزاً تمسك تفاحة بيدها.. وتحاول أكلها بما بقي لديها من أسنان..

جلس الرجل بجانبها وأخذ التفاحة وقطّعها قطعاً صغيرة.. ثم أعطاها للعجوز ليسهل عليها أكلها.. فإذا بالعجوز تنفجر باكية..

فسألها: لماذا تبكين؟.

قالت: بكيت لأنه ما كلّمني أحد من أولادي أو زارني منذ أكثر من عشر سنوات.. فلماذا فعلتَ معي ما فعلت؟.

قال: إنه الدِّين الذي أتّبعه.. يأمرني بذلك ويأمرني بطاعة وبر الوالدين..

ثم أردف قائلاً: في بلدي تعيش أمي معي في منزلي وهي بمثل عمرك.. وتعيش كالملكة !..

فلا نخرج إلا بإذنها.. ولا نأكل قبل أن تأكل.. ونعمل على خدمتها..

وهذا ما أمرنا به ديننا..

فسألته: وما دينك؟.

قال: الإسلام..

وأخذ يشرح لها عن بر الوالدين في الإسلام.. وكيف أن الله ربط رضاه

برضا الوالدين.. فالرسـول ﷺ يقول: «**رضا الرَّبِّ في رضـا الوالِدَيْنِ، وسَخَطُه في سَخَطِهِما**»[1].

وكان هذا سبباً في إسلام تلك العجوز!..

• يقول عليـه الصلاة والسلام: «**فواللهِ لَأَنْ يَهْـدِيَ اللهُ بكَ رجلاً واحداً، خيرٌ لَكَ مِنْ أنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[2].

ادعُ إلى الله على بصيرة.. وليس شرطاً أن تعتلي المنابر..

فما أكثر طرق الدعوة.. وما أشد تنوعها !..

فالنصيحة دعوة.. والهدية دعوة.. والمعاملة الحسنة دعوة.. والابتسامة دعوة..

وإصلاح ذات البين دعوة.. وزيارة الأقارب والأحبة في الله دعوة..

والصدقة دعوة.. وبناء المساجد ودور الرعاية دعوة..

وإذا لم تستطع أن تقوم بشيء من هذا.. فيكفيـك أن يَسْلَم المسلمون من لسانك ويدك !.

وعماد الأمر في الأسوة الحسنة.. ندعو الناس بأفعالنا قبل أقوالنا..

فهذا الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللهُ كان يحضر مجلسه زهاء خمسة آلاف أو يزيدون..

كان أقل مـن خمسمئة يكتبـون.. **والباقي يتعلَّمون منـه حسن الأدب وجميل السمت !.**

يقول **عبـد الواحد بن زياد**: «مـا بلغ **الحسن البصري** إلـى ما بلغ إلا لكونه **إذا أمر الناس بشيء يكون أسبقهم إليـه**.. وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدهم عنه».

(١) صحيح الجامع: ٣٥٠٧.

(٢) رواه البخاري.



الليلة ٤٦٢

اجعل عملك للّه

• روي عن **الحسن البصري**: أنه قال: «كانت شجرة تُعبد من دون الله..

فجاء إليها رجل فقال:

لأقطعن هذه الشجرة..

جاء ليقطعها غضباً لله.. فلقيه إبليس في صورة إنسان فقال: ما تريد؟.

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تُعبد من دون الله.

قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك مَنْ عَبَدها ؟.

قال: لأقطعنها.. فتشاجرا وتماسكا وتصارعا.. فغلبه الرجل وصرعه..

فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك؟..

لا تقطعها ولك ديناران كل يوم تجدهما عند وسادتك كل صباح..

قال: فمن لي بذلك؟.

قال: أنا لك.. قال: فرجع فأصبح.. فوجد دينارين عند وسادته..

وفي صباح اليوم التالي لم يجد شيئاً..

فقام غاضباً ليقطعها.. فتمثّل له الشيطان في صورته.. وقال: ما تريد؟.

قال: أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى..

قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل !..

فذهب ليقطعها فتنازعا..

فغلبه إبليس وصرعه بالأرض.. وخنقه حتى كاد يقتله، ثم قال له:

أتدري من أنا ؟.. أنا الشيطان.. جئتَ أول مــرة غضباً لله.. فلم يكن لي عليك سبيل.. فخدعتُك بالدينارين فتركتها..

فلمَّا جئت غضباً لدينارين غلبْتك»!..

فالغلبة والنصر لا يكونان إلا في إخلاص العمل لله.

ومتى فسدت النية لعب الشيطان دوره وتسلَّط على العبد.. وكان الباب واسعاً للمفاسد والهزائم..

• كان الإمــام **علي بن أبي طالب** كرم الله وجهــه يقاتل مشركاً شرساً.. فطال بينهما القتال..

وفــي النهايــة.. تمكَّن من خصمــه.. وسقــط المشرك جريحــاً تحت عليّ رضي الله عنه..

ولما هَمَّ عليّ بقتله.. وأوشك السيف أن يهوي عليه.. بَصَقَ المُشرِك في وجه عليّ..

فما كان من علي إلا أن تركه وانصرف عنه.. ولم يقتله..

فلما سُئِل، قال: لقد كنــت أقاتله لله.. فلما بَصَــقَ في وجهي أحسستُ بأني أريد الانتقام لنفسي فتركْتُه..

* * *



الليلة ٤٦٣

لَعلَّ اللّه يُحدِثُ بَعدَ ذلِك أَمْراً

كان أحد القراء يقرأ قول الله تعالى: ﴿ لَا تَدۡرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ﴾ [الطلاق: ١].

فراح خيالي يحلّق في أجواء تلك الآية الكريمة:

• تُرى كم هي الأقدار التي تألَّمْنا لها حين حدوثها.. وجرت لها مدامعنا.. ورفعنا أيدينا طلباً لزوالها.. ولكن هل تذكرنا وقتها هذه الآية: ﴿ لَا تَدۡرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ﴾.

فحينما نحزن لفقد قريب أو مرض حبيب.. أو فوات نعمة أو نزول نقمة.. كثيراً ما ننسى أن وراء تلك الأزمة «منحة ربانية وعطية إلٰهية»..

• فمصاب الملايين من المسلمين كبير.. فمنهم من فقد أبويه.. ومنهم من فقد أبناءه.. ومنهم من تهدم بيته وفقد أملاكه.. ومنهم من أقعدته الجروح والكسور والعاهات.. ومنهم من تشرد ونزح هائماً على وجهه..

والقلوب تتفطر لحالهم.. وليس لهم إلا الواحد الجبار.. فإلى كل هؤلاء نقول: ﴿ لَا تَدۡرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ﴾..

• وهناك خلف القضبان يرقد أبرياء وأتقياء..

والقلب يحزن والعين تدمع لحالهم، ولكن نقول لهم: ﴿لَا تَدۡرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ﴾..

فلعل الله أن يمنحهم حلاوة الأنس به، ولذة صبر لا يصل إليه إلا الأتقياء..

• وفي المستشفيات مرضى طال بهم المقام.. وأحاطت بهم وبأهليهم الأحزان.. فلكل واحد منهم نقول: ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾..

فلعل الصبر رفعٌ للدرجات في أعلى الجنان.. ولعل رضاك بقضاء الله تعالى قد أوجبَ لك محبة الرحمن.. ولعل شفاءك قد قرب وقته وحان..

• ومن الناس من يعاني من تكالب الأزمات ومصائب الديون، فلهؤلاء نقول: ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾..

فعليك بالصبر والدعاء.. فلعل الفرج قريب.. وما يدريك ماذا تحمل الأيام القادمة من أرزاق من الرزاق جلّ في علاه..

• وإلى تلك الأم التي فقدت بر أبنائها، وتألَّمَتْ لعقوقهم، نقول لها: ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾..

فلعل الله أن يهديهم قريباً ويشرح صدورهم.. ويأتي بهم طائعين بارّين.. فافتحي باب الأمل وحُسن الظن برب رحيم رؤوف.

• وإلى تلك الأخت التي نزلت بها مصيبة الطلاق.. وأصابها الخوف من المستقبل.. وما فيه من آلام، نقول لها: ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾.

فلعل بعد الفراق سعادة وهناء.. ولعل بعد هذا الزوج زوجاً أصلح منه وأحسن..

ولعل الأيام القادمة تحمل في طياتها أفراحاً وآمالاً..

* * *



الليلة ٤٦٤

مثلما تَدين تُدان

من عادة العرب الرُّحَّل التنقُّل من مكان إلى آخر طلباً للكلأ والماء..

وكان من بين هؤلاء الرحّل رجل له أم عجوز وهو وحيدها..

كانت تلك العجــوز تفقد ذاكرتها من حين لآخــر.. فتهذي بولدها فلا تريده أن يفارقها..

وكان خرفها يضايق ولدها.. ويقلل من قدره عند قومه !.

وذات يوم أراد قومه الرحيل لمكان آخر..

فقال لزوجته: إذا ذهبنا غداً.. اتركي أمي في مكانها..

اتركي عندها زاداً وماءً حتى يأتي من يأخذها ويخلّصنا منها أو تموت !.

فقالت زوجته: أبشر ! فسوف أنفِّذ أوامرك !.

شدّ القوم أمتعتهم في الصباح وفيهم هذا الرجل..

وتركت الزوجة أم زوجها في مكانها كما أراد زوجها..

لكنها تركت طفلها الوحيد معها مع الزاد والماء..

سار ركب القوم.. وفي منتصف النهار نزلوا لأخذ قسط من الراحة..

طلب هذا الرجل ابنه كالعادة ليتسلى معه..

فقالت زوجته: تركته مع أمك.. فنحن لا نريده!..

قال: ماذا ؟!.. وهو يصيح بها !..

قالت: لأنه سوف يرميك بالصحراء كما رميت أمك !.

نزلت هذه الكلمة عليه كالصاعقة.. فلم يردّ على زوجته بكلمة واحدة..

فقد أدرك مدى الجرم الذي ارتكبه بأمه !..

أسرج فرسه وعـاد للمكـان مسرعاً عساه يـدرك ولده وأمـه قبل أن تفترسهما السباع..

وصل الرجل إلى المكان وإذا بأمه تضم ولـده إلى صدرها.. والذئاب من حولها تدور وتدور.. والأم ترميها بالحجارة..

ارتمى الرجل على أمه وطفله.. أخـذ يقبّل رأسها وهو يبكي ندماً على فعلته..

عاد بها إلى قومه.. وصار من بعدها بارّاً بأمه لا تفارق عينه عينيها.

وصار إذا شدت العرب لمكان آخر.. يكون أول ما يحمل على الجمل أمّه.. ويسير خلفها على فرسه..

وكذلك زاد غلاء زوجته عنده لفعلتها الذَّكيَّة الَّتي علّمتْه درساً لن ينساه إلى الأبد..

أليس هذا من الزوجة عطاء؟!..

* * *



الليلة ٤٦٥

هكذا يكون الورع

• يُحكى أن **ابنة عمر بن عبد العزيز** دخلت عليه في يوم العيد وهي تبكي.. وكانت طفلة صغيرة آنذاك..

فسألها: ماذا يُبْكيكِ؟..

قالت: رأيتُ يا أبتاه كل الأطفال وهم يرتدون في العيد ثياباً جديدة.. وأنا ابنة أمير المؤمنين أرتدي ثوباً قديماً؟!..

تأثر عمر لبكائها فذهب إلى خازن بيت المال وقال له: أتأذن لي أن أصرف راتبي عن الشهر القادم؟..

فقال له الخازن: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟.

فحكى له عمر..

فقال له الخازن: لامانع عندي يا أمير المؤمنين، ولكن بشرط..

فقال عمر: وما هو الشرط؟.

فقال الخازن: **أن تضمن لي أن تبقى حيّاً حتى الشهر القادم**.. لتعمل بالأجر الذي تريد صرفه مسبقاً!..

فتركه عمر وعاد إلى بيته..

فسأله أبناؤه: ماذا فعلت يا أبانا؟.

قال: **أتصبرون وندخل جميعاً الجنة.. أم لا تصبرون ويدخل أبوكم النار؟**.

قالوا: نصبر يا أبانا..

فحقّاً إذا صلح الراعي صلحت الرعية !..

• **قيل للحسن البصري:**

لماذا لا تتكلم في اليوم أكثر من سبع أو ثماني كلمات؟.

قــال: قبل أن أقــول الكلمــة أسأل نفسي: هــل توضع لي فــي ميزان الحسنات؟..

أم توضع لي في ميزان السيئات؟..

فإن وجدتُها توضع في ميزان الحسنات قلْتُها..

وإن وجدتها توضع في ميزان السيئات امتنعتُ عنها..

فرأيــت أن أكثر كلماتــي سوف توضع فــي ميزان السيئــات.. فلذلك سكتّ..

يقول تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [قَ: ١٨].

فما أكثر حصائد ألسنتنا من سيئات؟.

وليتنا نصمت قليلاً...

* * *



أكثِروا من الاستغفار

الليلة ٤٦٦

• يقول **العتبيّ**: «كنتُ جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وقد جئتُ مستغفراً الله لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي..

ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دُفنت بالقاعِ أعظُمُه ... فطابَ من طيبهنَّ القاعُ والأكُمُ
أنت النبيُّ الَّذي تُرجى شفاعَتُهُ ... عند الصِّراطِ إذا ما زَلَّتِ القَدَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنت سَاكِنُهُ ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكَرَمُ

ثم استغفر الله وانصرف..

فغلبتني عيناي فرأيتُ النبي ﷺ في المنام..

فقال: يا عتبيّ الحقْ بالأعرابي فبشره أن الله قد غفر له..».

• فمن يحمل مفتاح الاستغفار فهو أسعد الناس قلباً.. وأشرح الناس صدراً.. يقول الله لرسوله الكريم: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

فالله يُعطيك الأمان..

و«من لزِم الاستغفــارَ جعل اللهُ له من كلِّ ضيقٍ مخرجــاً، ومن كلِّ همٍّ فرَجاً، ورزقه من حيث لا يحتسِبُ»[١].

وأطول صيغة هي (سيد الاستغفار): فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أن تقولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَــى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَــا اسْتَطَعْتُ، أعوذُ بكَ مِنْ شــرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَــكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

من قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِــهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُــوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٢].

وأقصرها قولك: (أستغفر الله) وكلها لك خير..

فمن دعاء النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي ذنبي كله؛ دقّه وجلّه، أوله وآخرَه، علانيته وسرّه».

فالله يريدك أن تستغفر بأدق التفاصيل..

يقــول الله تعالــى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

عاهِد نفسك أن تستغفر الله في فراشك وفي مشيك وفي المجالس وفي كل حال!..

ومع الأيام سيشعر قلبك بالعطش إذا لم تستغفر..

* * *

(١) الترغيب والترهيب: ٥٧/٣.

(٢) أخرجه البخاري.



الليلة ٤٦٧

عبارات احذروها

تجري على ألسنة كثير من الناس عبارات قد تخالف شرع الله، ومنها:

• **رزق الهبل على المجانين!..**

عبارة لا يجوز قولها فالرزق هو لله وحده.. ولا أحد يملك لنفسه ولا لغيره رزقاً ولا نفعاً..

قال الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

فالرزق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقسمه لحكمة لا يعلمها إلا هو..

• **لا بيرحم ولا يخلّي رحمة ربنا تنزل!..**

كلمة لا ينبغي لنا أن نقولها على الإطلاق..

فالله تعالى لا ينازعه في سلطانه منازع..

قال الله جل وعلا: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

فمن هذا المخلوق الذي يستطيع أن يمنع رحمة الله؟!.. فهذا القول لا يجوز..

• **لا حول الله!..**

وهنا يريد اختصار «لا حول ولا قوة إلا بالله».. ولكن المعنى عند الاختصار نفى أن يكون لله حول أو قوة..

• شاء القدر!..

فقول القائل: شاءت الأقدار.. وأشباه ذلــك غلط.. لأن الأقدار ليس لها مشيئة.. إنما المشيئة لله ﷻ..

• فلان شكله غلط!..

وهو من أعظم الأغلاط الجارية على ألسنة الناس..

لأن فيه تسخّط على خلْق الله.. وسخرية منه.. فالله تعالى يقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

• الله يعطي جوزاً لمن ليس له أضراس!..

وهذا اعتراض على الله في قدرته على توزيع الأرزاق على الناس..

فالرزق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقسمه لحكمة لا يعلمها إلا هو..

• يا مستعجل عطّلك الله !..

والغلط واضح.. فالله ﷻ لا يعطّل أحداً.

ولكن العجلة (الاستعجال) خطأ.. لأن النبي ﷺ يقول:

«التَّأَنِّي من اللهِ، والعَجَلةُ من الشيطانِ»[1].

* * *

(١) صحيح الجامع: ٣٠١١.



الليلة ٤٦٨

لوحة السلام

• عرض أحد الملوك جائزة كبيرة للفنان الذي يستطيع أن يرسم أفضل **لوحة للسلام..**

حاول العديد من الرسّامين وقدموا أعمالهم للملك..

نظر إليها كلها واختار لوحتين فقط أحبهما فعلاً..

كانت **اللوحة الأولى** عبارة عن بحيرة هادئة تحيط بها جبال توحي بالسلام.. وسماء زرقاء مع غيوم بيضاء.. وقليل من طيور ملونة تطير بسلام..

اعتقد كل من رأى الصورة أنها لوحة رائعة للسلام.

أما الثانية فكانت مختلفة تماماً تصوّر جبالاً وعرة عارية.. وسماءً غاضبة.. ومطراً منهمراً.. وبرقاً يلمع في الآفاق !..

وإلى جانب الجبل شلال يهدر بالماء..

كان كل من نظر إليها يؤكد أن لا علاقة لها بالسلام..

ولكن الملك كان ينظر من منظار أكثر دقة من الآخرين..

لقد رأى خلف الشلال شجيرة صغيرة تخرج من شقٍّ صغير في الصخر..

وعلى الشجرة عصفورة بنتْ عشّاً لها..

ووسط هذا الطقس السيِّئ كانت العصفورة الأم تجلس في عشها بسلام تام..

كان الجميع متأكداً من الصـــورة التي سيختارها الملك.. لكنهم دُهشوا عندما اختار الثانية.

وعندما سألوه: لماذا اختارها؟ ابتسم وقـــال: السلام لا يعني أن تكون في مكان كل ما فيه على ما يرام دون صخبٍ أو تحديات..

السلام هو أن تجد نفسك وسط كل أنواع التحديات وتحافظ على هدوئك..

فتنظر إلى شروق الشمس وأنت تبتسم..

وتجد الجمال في لون زهرة صغيرة.. والمتعة في حركات فراشة طائرة..

• ومن منا لم يمر بمواقف صعبة وتحديات في هذه الحياة؟!..

قد تكون هذه اللحظات الصعبة شعوراً بالإحراج في موقف معين..

أو رسوباً في امتحان.. أو جدالاً مع مدير في العمل أو صديق..

وقد تكـــون أكثر صعوبة.. كمـــرض.. أو فقدان عزيـــز ـ لا سمح الله ـ فتشعر عندها وكأنـــك كنت تسبح في بحر هـــادىء.. وفجأة تغدر بك الأمواج وتتلاطم من كل حدب وصوب..

تحاول التجديف بصعوبة بالغة للوصول إلى الشاطئ..

ترى الشاطئ أمامك.. لكن قِواك تخور وتخونك.. ويداك وقدماك تتعب من كثرة التجديف..

وشيئاً فشيئاً تشعر بأنفاسك تتقطع.. وجسدك يغوص تحت الماء..

فكن على يقين بأن «**ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»[1].

* * *

(١) صحيح ابن ماجه: ٦٢.



الليلة ٤٦٩

نصف.. ونصف..

• يقول **المثل التركي**:

«نصف طبيب يفقدك صحتك.. ونصف إمام يفقدك إيمانك»..

• ولله درُّ **ابن تيميَّة** حين نقل قول بعضهم:

«أكثر ما يفسد الدنيا:

نصف متكلم..

ونصف متفقه..

ونصف متطبب..

ونصف نحوي..

هذا يفسد البلدان..

وهذا يفسد الأديان..

وهذا يفسد الأبدان..

وهذا يفسد اللسان»[١]..

وكم يحزُّ في النفس ويؤلمها أشد الألم.. أن ترى المسلمين في خلافات وصراعات!.. فما أكثر هؤلاء الأنصاف فيما بينهم!..

(١) مجموع الفتاوى: ١١٨/٥.

• ورحم الله **أحمد شـوقي**.. وكأنـه الآن بيننا.. رأى زعمـاءَ الأحزابِ يتناحرون فيمـا بينهم، والمحتلّ الإنجليزيّ لا يـزال جاثماً على صدر الوطن، فصاح بهم قائلاً:

إلامَ الخُلـفُ بَينَكُـمُ إلامـا ... وَهَـذي الضَجَّةُ الكُبـرى عَلاما

وَفيـمَ يَكيـدُ بَعضُكُـمُ لِبَعضٍ ... وَتُبـدونَ العَـداوَةَ وَالخِصامـا

تَرامَيتُـم فَقـالَ النـاسُ قَـومٌ ... إِلـى الخِـذلانِ أَمرُهُـمُ تَرامى

• يقول الشيخ **علي الطنطاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن الأمة الخاملة صف من الأصفار..

لكن إنْ بعث الله لها «واحداً» مؤمناً صادق الإيمان داعياً إلى الله.. صار صف الأصفار مع «الواحد» مئة مليون»..

• ويقول الشيخ **محمد الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إلى البكائين علـى ما فـات.. المتحيّرين وراء تحقيـق المعجزات.. الدائريـن حول محور من أنفسهـم يصارعون المنـى وتصارعهم دون الانتهاء إلى قرار.. إلى هؤلاء نقول: إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم.. فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تحققت أمنياتنا وآمالنا كلها».

* * *



الليلة ٤٧٠

من نافسك في دنياك

• قال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «صيد الخاطر»:

«اعلم أن الزّمان لا يثبت على حال كما قال عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فتارة فقر، وتارة غنى.. وتارة عز، وتارة ذل..

فالسّعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال، وهو تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ..

فإنه إن استغنى زانته..

وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر..

وإن عوفي تمّت النعمة عليه..

وإن ابتُلي حملتْه..

ولا يضرّه إن نزل به الزمان أو صعد»..

• وقال **أحد الصالحين**: «أنا أحب الدنيا لأنها مصنع حسناتي».

نعم كان حبهم للدنيا لا لأجل الدنيا.. ولكنهم أدركوا معالي الأمور فاستبقوا الخيرات واغتنام الأوقات.

وكان **شميط بن عجلان** يقول: «الناس رجلان: متزوّد من الدنيا، أو متنعّم فيها، فانظر أي الرجلين أنت؟».

مرَّ **عبد الله بن عامر بعامر بن عبد قيس** وهو يأكل بقلاً بملح.. فقال له: لقد رضيتَ بالقليل. فقال: أرضى مني بالقليل من رضي بالدنيا!..

وقال **الحسن**: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألْقِها في نحره..

• وكان **أبــو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «لو رأيــت الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد».

فكانوا من أحــرص الناس على أوقاتهم.. وقد أدركــوا قيمتها وثمنها.. فكان الواحد منهــم يعد على نفسه لقيماته.. ويراقــب أنفاسه وكلامه.. متمثلين قوله تعالــى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

• وقد تتغيّر الظروف.. فلا تقلــل من شأن أحد.. فربما تكون قويّاً اليوم ولكن الزمن أقوى مِنْكَ..

فالطيور تأكل النمل.. وعندما تموت فإن النمل يأكلها !..

يقول أحدهم:

رأَيــتُ الدَّهــرَ مُختَلِفــاً يَدورُ ... فَــلا حُــزنٌ يَــدُومُ ولا سُــرُورُ
وقَد بَنَــتِ الملوكُ بِــه قُصوراً ... فَلَمْ تَبــقَ الملــوكُ ولا القُصورُ

* * *



الليلة ٤٧١

لكل باطل نهاية..

• انتهت قصة قارون.. بالخسف !..

وانتهت قصة فرعون.. بالماء !..

وانتهت قصة أبرهة.. بحجارة من سجيل !..

وانتهت قصة النمرود.. ببعوضة !..

وانتهت قصة الأحزاب.. بالرياح !..

وانتهت قصة هتلر.. بالانتحار !..

فالله ينهي قصص الباطل بأبسط الأشياء..

فلا تشغل بالك كيف سينتهي الباطل.. لأنه لا محالة زائل..

ولكن أشغل بالك كيف ينتشر الحق.. لأنه باقٍ رغم أنف الظالمين !..

• قال **الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإخوانه يوماً:

«آيةٌ في القرآن هي سهمٌ في قلب الظالم..

وبلسمٌ على قلب المظلوم»!..

فقالوا: وما هي؟.

فقال: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

• ويقول **الرافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«إن دموع المظلومين هي في أعينهم دموع..

ولكنها في يد الله صواعق يضربُ بها الظالم..».

وإذا كان هذا حال دموع المظلومين؛ فكيف بدمائهم وأرواحهم؟!..

• ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠].. هكذا نزلت في القرآن..

فرعون في اليم يغرق..

وعادٌ تهلك بريح صرصر عاتية..

وثمود تفنى بالصاعقة..

والذين يعيثون في الأرض فساداً وعدواناً..

أولئك عن تلك النهايات ليسوا بمبعدين..

ومن ينسَ سنن الله في كونه..

فإن سنن الله لن تنساه!..

• وفي كتاب رب العالمين خمس بشارات عاجلة للقتلة المجرمين..

ما توعّد الله أحداً في آية واحدة مثلما توعّد «قاتلَ المؤمن»:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ﴾:

١ ـ ﴿جَهَنَّمُ﴾.

٢ ـ ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾.

٣ ـ ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

٤ ـ ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾.

٥ ـ ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]..

ألا يعلم أنه ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

* * *



الليلة ٤٧٢

من أسرار القرآن الكريم

• أنزل الله تعالى (١٠٤) كتب، جمع معانيها في ثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن..

وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن..

وجمع معاني القرآن في الفاتحة..

وجمع معاني الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

• وفي إحدى المحاضرات التي ضمَّتْ عدداً كبيراً من الطلاب.. كان الدكتور يتحدث عن القرآن الكريم.. وما يحمله من فصاحة ودقة عجيبة لدرجة أنه لو استبدلنا كلمة مكان كلمة لتغير المعنى.. وكان يضرب أمثلة لذلك.. فقام أحد الطلاب العلمانيين وقال: أنا لا أؤمن بذلك؛ فهناك كلمات بالقرآن تدل على ركاكته.. مثل هذه الآية: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]!..

فلِمَ قال: «رجل» ولم يقل: «بشر»؟! فجميع البشر لا يملكون إلا قلباً واحداً بجوفهم؛ سواء كانوا رجالاً أم نساء!..

عندها حل بالقاعة صمت رهيب.. اتجهت الأنظار كلها نحو الدكتور منتظرة منه إجابة مقنعة..

أطرق الدكتور برأسه وهو يفكر بهذا السؤال.. وهو يعلم أنه إذا لم يردّ على الطالب فقد يسبب تشكيكاً عند بعض الطلاب..

قال الدكتور للطالب: نعم الرجل هو الوحيد، ومن المستحيل أن يحمل

قلبين في جوفه.. ولكن المرأة قد تحمل قلبين في جوفها.. فإذا حملت يصبح في جوفها قلبها وقلب الطفل الذي بداخلها!..

• وفي كتاب: «عيون المناظرات» لأبي علي السكوني: أن هارون الرشيد كان له علْج طبيب له فطنة وأدب.. فودَّ الرشيد أن لو أسلم، فقال له يوماً: ما يمنعك عن الإسلام؟.

فقال: آية في كتابكم حجة على ما أَنْتَحِلُه!..

قال: وما هي؟.

قال: قوله تعالى عن عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وهو الذي نحن عليه.

فعظم ذلك على الرشيد.. جمع له العلماء فلم يحضرهم جواب ذلك.. حتى ورد قوم من خراسان فيهم **علي بن واقد** من أهل علم القرآن.. أخبره الرشيد بالمسألة فاستعجم عليه الجواب، ثم خلا بنفسه وقال: «ما أجد المطلوب إلا في كتاب الله».

فابتدأ القرآن من أوله وقرأ حتى بلغ سورة الجاثية إلى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

فخرج إلى الرشيد وأحضر العلج فقرأها عليه وقال له: إن كان قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ يوجب أن يكون عيسى بعضاً منه تعالى؛ وجب ذلك في السموات والأرض.

فبُهت النصراني ولم يجد جواباً.. ثم أسلم.. فسُرّ الرشيد بذلك وأجزل صلة ابن واقد.

فلما رجع ابن واقد إلى بلده صنَّفَ كتاب «النظائر في القرآن».

* * *



الليلة ٤٧٣

عندما تحبُّ اللّه

• مَهما حاولْتَ البَحثَ عَنْ مَكانِك في قلوبِ أحبّتك..

فلنْ تَجدَ أحداً يحبّك أكثر من ربّك..

ومنْ تَوَسّعَ قَلْبُه بِحُبِّ الله تَعالى..

تَوسَّعَتْ لهُ قُلوبُ النَّاسِ بالمَحَبة..

وهل يتنافى حب الله مع حب الناس؟.

لا.. بل هو يدعو إلى حب الناس.. ولكن بلا غل ولا قيود..

حب مودة ورحمة..

لا سعار غرام ولا ضرام هيام[1].

• جميل أن تزرع محبة الله في قلبك..

والأجمل.. أن تزرعها أيضاً في قلوب من حولك!.

يقولون: «من أحبَّ الله رأى كل شيء في الوجود جميلاً»..

فهنيئاً لمن رُزِق محبته..

• ولا تسألوا الله أن يحبَّكم.. اسألوه أن يزداد بكم حبّاً!..

يقول الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللهُ:

«إن أحببتَ أن يدوم الله لك على ما تحب.. فدُم له على ما يحب».

فعاهد الله على أن تدوم على ما يحب..

---

(١) د. مصطفى محمود: من كتاب «الروح والجسد» بتصرف.

• وعندما تحب شخصاً ما.. فقد ترعاه وقد يرعاك..

ولكن عندما تحب الله.. فتأكَّد حتماً أنه سيرعاك..

وأشهده على حبك له..

• وليس مستغرباً أننا نحب الله تعالى..

فالفقير يحب الغني.. والذليل يحب العزيز..

والنفس مجبولة على حب من أنعم عليها..

لكن ملك الملوك هنا يحبُّ عباده.. وهم بحاجته.. ويتفضَّل عليهم بسائر النعم..

• قال **الربيع بن أنس**: علامة حب الله كثرة ذكره.. والشوق إلى لقائه..

فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره وأحب لقاءه..

• اشترى **أبو عبد الله النباجي** جارية سوداء للخدمة.. فلما جن الليل توجَّه للنوم..

فقالت له: أما تستحيي من مولاك أنه لا ينام وأنت تنام؟.. ثم أنشدت:

عجباً للمحب كيف ينام ... جوفَ اللَّيلِ وقلبُه مُستهام

إنَّ قلبي وقلب من كان مثلي ... طائران إلى مليك الأنام

فأَرْضِ مولاك إن أردت نجاة ... وتجافَ عن اتباع الحرام

قال النباجي: فقامت ليلتها تصلي.. فقمت من نومي أبحث عنها فإذا هي تناجي ربها ساجدة وتقول: بحبك إياي لا تعذبني..

فلما انتهت قلت لها: كيف عرفت أنه يحبك؟.

قالت: أما أقامني بين يديه وأنامك؟!.

ولولا سابق محبته لي لم أحبه.. أما قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].



الليلة ٤٧٤

دَيْنٌ لا يمكن أداؤه

• طلب الابن من أمه أن تعطيه مبلغاً منَ المـــال خفية عن أبيه بعد أن استهلك مصروفه الأسبوعي !..

لكنها رفضت لعلمها أنه سيصرفها على ألعاب الفيديو وشراء الحلويات..

استبدَّ الغضب بالابن لما رأى من ظلمٍ أصابه !..

وعندما كانت الأم في المطبخ تُعِدُّ العشاء.. وقف الابن أمامها وسلّمها ورقة أعدّها مسبقاً..

أمسكت الأم بالورقة وقرأت:

سعر تنظيف غرفتي لهذا الأسبوع = ١٠٠ ريال.

سعر ذهابي إلى السوق مكانك =٥٠ ريال.

سعر اللعب مع أخي الصغير = ٤٠ ريال.

سعر مساعدتي لكِ في تنظيف البيت = ٦٠ ريال.

سعر حصُولي على علامات ممتازة في المدرسة = ١٠٠ ريال.

والمجموع = ٣٥٠ ريال..

«أعطوا الأجيرَ أجرَهُ قبلَ أن يجفَّ عرقُهُ»[(١)]..

نظرت الأم إلى ابنهــا الواقف بجانبها وابتسمت بحنـــان.. أخذت قلماً وقلبتِ الورقة وكتبت:

(١) صحيح ابن ماجه: ١٩٩٥.

سعر تسعة أشهر حملتك بها في أحشائي = بلا مقابل.

سعر الحليب الكامل الذي أرضعتك إياه عشرين شهراً = بلا مقابل.

سعر تغيير الحفاضات وتنظيفك لثلاث سنوات = بلا مقابل.

سعر كل الليالي التي سهرتها بجانبك في مرضك = بلا مقابل.

سعر كل التعب والدموع التي سببْتها لي طوال السنين = بلا مقابل.

سعر كل الليالي التي شعرت بها بالقلق من أجلك = بلا مقابل.

سعر كل الألعاب والطعام والملابس إلى اليوم = بلا مقابل..

يا بنيّ: حين تجمع كل هذا فإن **سعر حبي لك بلا مقابل..**

وما أن انتهى الابن من قراءة ما كتبته أمه حتى اغرورقت عيناه بالدموع ونظر لأمه وقال: «سامحيني يا أماه، فأنا أحبك كثيراً»..

ثم أخذ القلم وكتب بخط كبير.. «**دَيْنٌ لا يمكن رده**»!.

• فكن معطاءً ولا تكن طالباً للعطاء.. وخصوصاً مع أبويك.. فهناك الكثير لتعطيه لهما غير المال..

فإذا كانت أمك على قيد الحياة وقريبة منك.. فقبِّل رأسها كل يوم واطلب منها الدعاء لك..

وإن كانت بعيدة عنك فاتصل بها كل يوم..

جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه على الهجرة، وترك أبويه يبكيان فقال: «**ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**».

وإذا كان الله قد توفاها فادعُ لها الله بالرحمة، وأرسل لها الحسنات بصدقة أو عمل صالح..

* * *



أخطر من فعل الحرام

الليلة ٤٧٥

• سُئل **الحسن البصري**: أين تجد الراحة؟.

فقال: «في سجدة بعد غفلة.. أو توبة بعد ذنب»..

وقال: «استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات..

ولن تجدوا شيئاً أذهب بسيئة قديمة من حسنة حديثة»..

أليس هذا ما وعد به الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]؟.

فاللهم ارزقنا حسناتٍ تذهب سيئاتنا.. وتوبة تجلو بها قلوبنا..

• والمعصية بابٌ مغلق..

فإن تجرأتَ على فتحه مرة..

سيسهل عليك فتحه مرات ومرات..

وهي خطوة قد تتبعها خطوات..

فاحرص على قتل الخطوة الأولى..

فإذا أحبَّ الله عبداً عَصَمهُ عن السيئة..

وإذا هان عليه انغمس في المعاصي..

فهل يرضى أحدنا أن يكون رخيصاً عند ربه؟!..

• يقول الشيخ **الشعراوي** رحمه الله:

«أخطر من فعل الحرام.. أن يحرمك الله نعمة الإحساس بمرارته»..

قيل: إن أحد العصاة رُئي في المنام.. فقيل له: ماذا فعل ربك بك؟.

قال: قد أحسن وفادتي بأبيات كتبتُها تحت وسادتي !..

فذهبوا إلى وسادته وكشفوا فإذا فيها:

يا ربِّ إنْ عظمتْ ذنوبي كثرةً ... فلقد علمتُ بأنَّ عفوَك أعظمُ
إنْ كان لا يرجوكَ إلا مُحْسِنٌ ... فبمن يلوذُ ويستجيرُ الآثمُ
أدعوك ربِّي كما أمرتَ تضرُّعاً ... فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحمُ؟
ما لي إليك وسيلة إلا الرَّجا ... وجميلُ عفوِك ثمَّ إنِّي مسلمُ

• ويقول **أبو نواس** حين قربت إليه الوفاة:

إلٰهِي لَسْتُ لِلْفِرْدَوْسِ أهلاً ... وَلَا أقْوَى عَلَى نَارِ الْجَحِيْمِ
فَهَبْ لِي تَوْبَةً وَ اغْفِرْ ذُنُوْبِي ... فَإِنَّكَ غَافِرُ الذَّنْبِ الْعَظِيْمِ
وَعَامِلْنِي مُعامَلَةَ الكَرِيْمِ ... وَثَبِّتْنِي عَلَى النَّهْجِ الْقَوِيْمِ

ويقول أيضاً:

إلٰهِي عبْدُكَ الْعَاصِي أتَاك ... مُقِرّاً بِالذُّنُوْبِ وَ قَدْ دَعَاكَ
فَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ لِذاكَ أَهْلٌ ... وَإِنْ تَطرُدْ فَمَنْ نَرْجُو سِواكَ

* * *



الليلة ٤٧٦

كلٌّ ينظر بمنظار

• سألتْ معلمةٌ طالباً في الصف الأول: لو أعطيتُك تفاحة وتفاحة وتفاحة.. فكم يصبح عدد التفاح لديك؟.

أجاب الطالب بثقة: أربع تفاحات !.

كررت المعلمة السؤال ظنّاً منها أن الطفل لم يسمعه جيداً..

فكر الطفل قليلاً وأعاد الحساب على يديه باحثاً عن إجابة أخرى.. ولكنه لم يجد سوى نفس الإجابة.. فأجاب بتردد هذه المرة: أربعة !..

ظهر الإحباط على وجه المعلمة.. ولكنها لم تيئس فسألته هذه المرة عن البرتقال فقالت له: لو أعطيتك برتقالة وبرتقالة وبرتقالة.. فكم يصبح عدد البرتقال معك؟.

أجاب الطفل: ثلاث برتقالات..

فتشجعت المعلمة وسألت الطالب من جديد عن التفاح.. فأجاب مجدداً: أربع تفاحات..

عندها صرخت بوجهه قائلة: ولكن ما الفرق ؟!.

أجاب الطفل بصوت خائف: لأني أحمل «تفاحة» معي في الحقيبة !..

• فعندما يعطيك أحدهم إجابة تختلف عما تتوقعه.. فلا تحكم عليه أنها إجابة خاطئة..

فلربما كانت هناك زاوية لم تأخذها بعين الاعتبار..

فالورقة التي لم تسقط في فصل الخريف هي:

(خائنة) في عيون أخواتها..

(وفيّة) في عين الشجرة..

(متمردة) في عيون الفصول..

فالكل يرى الموقف من زاويته...

كذلك البشر.. كل واحد يعبر عن وجهة نظره بعينه.

• يُحكى أن ثلاثة من العميان دخلوا في غرفة بها فيل.. وطُلب منهم أن يصفوا الفيل..

بدؤوا في تحسُّس الفيل، وخرج كل واحد منهم يصف الفيل..

فقال الأول: الفيل هو أربعة أعمدة على الأرض!.

وقال الثاني: الفيل يشبه الثعبان تماماً!.

وقال الثالث: الفيل يشبه المكنسة!.

وحين وجدوا أنفسهم مختلفين بدؤوا يتشاجرون..

وتمسَّك كل واحد منهم برأيه.. واتهم كل منهم الآخر بأنه جاهل أو ساذج..

والحقيقة أن الأول أمسك بأرجل الفيل.. والثاني بخرطومه.. والثالث بذيله!.

فكل منهم اعتمد على تجاربه السابقة في الحياة..

• وقد يكون للحقيقة أكثر من وجه واحد.. وحين نختلف لا يعني بالضرورة أن أحدنا على خطأ!..

فقد نكون جميعاً على صواب.. لكن كل واحد منا يرى ما لا يراه الآخر..

***



الليلة ٤٧٧

كيف تمحو ذنوبك؟

- **امسحها بهذا الحديث** الشريف الذي يقول فيه الحبيب المصطفى ﷺ:

«ما على الأرضِ أحدٌ يقــولُ: لا إلٰــهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا بــاللهِ؛ إلَّا كُفِّرَتْ عنــه خطاياه، ولو كانَــتْ مثلَ زبدِ البحرِ»[(١)].

- امسحها **بعد طعامك**: فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول:

«مَنْ أكلَ طعاماً ثُم قال: الحمدُ للهِ الّذي أطعمَنِي هذا الطعامَ، ورزَقَنِيه من غيرِ حولٍ مِنِّي ولا قُوَّةٍ، غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنْبِهِ»[(٢)].

- امسحها **بعد لباسك**: فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول:

«ومَنْ لبِسَ ثوباً فقال: الحمدُ للهِ الّــذي كسَاني هذا، ورزَقَنِيهِ مِن غيرِ حولٍ مِنِّي ولا قُوَّةٍ، غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنْبِهِ ومَا تأخَّرَ»[(٣)].

- امسحها **في يومك**: فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول:

«من قال: سبحان اللهِ وبحمدِه؛ في يــومٍ مئةَ مرةٍ، حُطَّتْ خطاياه ولو كانتْ مثلَ زبدِ البحرِ»[(٤)].

---

(١) حديث حسن / صحيح الجامع: ٥٦٣٦.

(٢) حديث حسن/ صحيح الجامع: ٦٠٨٦.

(٣) حديث حسن / صحيح الجامع: ٦٠٨٦.

(٤) صحيح مسلم: ٢٦٩١.



- امسحها **بعد صلاتك**: فصلوات ربي وسلامه عليه يقول:

«مــن سبَّحَ اللهَ في دُبُــرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثــاً وثلاثين، وحَمِــدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثينَ، وكبَّــرَ اللهَ ثلاثاً وثلاثينَ، فتلكَ تسعــةٌ وتسعونَ، وقالَ تمامَ المئةِ: لا إلٰهَ إلَّا اللهُ، وحدَهُ لا شــريكَ لهُ، لهُ الملكُ، ولهُ الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قدير، غُفِرت خطاياهُ وإن كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ»[1].

- امسحها **قبل نومك**: فالحبيب المصطفى ﷺ يقول:

«مَن قال حِينَ يأْوِي إلى فِراشِــه: لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شرِيكَ لهُ، له المُلْكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شــيءٍ قديــرٌ، لاحَوْلَ ولا قُوةَ إلا باللهِ العلــيِّ العظيمِ، سُبحــانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلٰــهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ؛ غُفِرَتْ له خطايَاهُ وإنْ كانت مِثلَ زَبَدِ البحرِ».

- امسحها **عند الأذان**: فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول:

«مَن قال حينَ يَسْمَعُ المؤذنَ: أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأن محمداً عبــدُه ورسولُه، رَضِيتُ باللهِ ربّــاً، وبمحمدٍ رسولاً، وبالإسلامِ دِيناً؛ غُفِرَ له ذنبُه».

- امسحها **باستغفارك**.. فالحبيب المصطفى ﷺ يقول:

«من قال: أستغفِرُ اللهَ، الذي لا إلٰهَ إلا هو، الحَيَّ القيومَ، وأتوبُ إليه؛ غُفِرَ له وإن كان فَرَّ من الزَّحْفِ»[2].

* * *

(١) صحيح مسلم: ٥٩٧.

(٢) حديث صحيح / مشكاة المصابيح: ٢٢٩٢.



الليلة ٤٧٨

عجائب الدنيا السبع بنظر طفلة !

• طلبت إحدى المعلِّمات من طالباتها بحثاً عن عجائب الدنيا السبع..

ورغم اختلاف وجهات النظر بين الطالبات.. فقد كان معظم التصويت على المعالم التالية:

١ ـ أهرامات الجيزة بمصر.

٢ ـ تاج محل بالهند.

٣ ـ الوادي الكبير ـ كولورادو ـ الولايات المتحدة الأمريكية.

٤ ـ قناة بنما ـ بنما.

٥ ـ بناية امباير ستيت ـ نيويورك.

٦ ـ كاتدرائية بيتر باسيلكا بإيطاليا.

٧ ـ سور الصين.

وبينما كانت المعلمة تجمع الأصوات من الطالبات.. لاحظت أن واحدة منهن لم تُنهِ ورقتها بعد.. فسألت الفتاة إذا ما كانت تواجه صعوبة في إكمال العجائب السبع !.

ردت الفتاة قائلة: نعم.. فقد وجدت صعوبة في إحصائها.. فهي كثيرة جدّاً..

فقالت لها المعلمة: حسناً اقرئي لنا ما كتبتِ وسوف نساعدك في تحديدها..

ترددت الفتاة قليلاً ثم قرأت:

أعتقد أن عجائب الدنيا السبع هي:

١ ـ أن ترى..

٢ ـ وتسمع..

٣ ـ وتلمس..

٤ ـ وتتذوق..

٥ ـ وتشعر..

٦ ـ وتضحك..

٧ ـ وتحب..

وعندما انتهت الفتاة من قراءتها ساد الفصلَ هدوءٌ تام..

ثم أردفت تقول: هذه الأشياء البسيطة التي منحنا الله تعالى إياها.. وتعوّدنا على وجودها في حياتنا كأمر مُسلّم به.. هي عجائب الدنيا السبع!..

• عجائب لا يمكن أن تُبنى باليد ولا تُشترى بالمال..

إنها ببساطة داخل قلبك وجوارحك!..

فأنت تتمتع بالمناظر الطبيعية وجمال الكون..

وغيرك يتمنى أن يرى ولو للحظة..

وأنت تشنِّفُ أذنيك بما يسرّها..

وغيرك يتمنى أن لو سمع تغريد البلابل والعصافير..

تذكَّر ما لديك الآن، واشكر الله عليه..

* * *



الليلة ٤٧٩

هذا هو الإسلام

• الإسلام هو الذي:

ـ ضبط ألفاظك فقال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ـ وضبط جدالك فقال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ـ وضبط تصرُّفك إن آذاك أحد فقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

ـ وضبط معاملتك مع والديك فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ـ وضبط جزعك وحزنك فقال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

ـ وضبط رأيك عندما تكون مسؤولاً فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ـ وضبط أهواءك فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صَ: ٢٦].

ـ وضبط تصرُّفك في كل الأمور فقال: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥].

ـ وضبط عاقبة سلوكك فقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

ـ وضبط صوتك فقال: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

ـ وضبط مشيتك فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

ـ وضبط نظرتك فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١].

وضبط سمعك فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

وضبط طعامك فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]..

فأي دين أعظم من هذا الدين الذي يُحارَبُ في الداخل والخارج؟!..

• فعندما تولى **أبو بكر الصديــق** الخلافة قام بتعيين **عمر بن الخطاب** قاضياً على المدينة..

مكث عمر سنة لم يفتح جلسة ولم يختصم إليه اثنان.. فطلب من أبي بكر إعفاءه من القضاء..

فقال له أبو بكر: أمِنْ مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟.

فقال: لا، يا خليفة رسول الله.. ولكن لا حاجة لي عند قوم مؤمنين..

ـ عرف كل منهم ما له من حق.. فلم يطلب أكثر منه..

ـ وما عليه من واجب.. فلم يُقصِّر في أدائه..

ـ أحبَّ كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه..

ـ إذا غاب أحدهم تفقَّدوه..

ـ وإذا مرض عادوه..

ـ وإذا افتقر أعانوه..

ـ وإذا احتاج ساعدوه..

ـ وإذا أُصيب واسوه..

ـ دينهم النصيحة..

ـ وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ففيمَ يختصمون؟!.. ففيمَ يختصمون؟!..

❋ ❋ ❋



الليلة ٤٨٠

عالِمٌ.. وطاغية

دخل عالِم على أمير طاغٍ مستبدٍّ فوعظه لخروجه عن الحق.

فغضب الأمير وأمر بحبس العالم..

وبعد سبع سنوات جلس الأمير يوماً للمظالم فتذكَّر كلامَ العالم.. فأمر به فأُحضر بين يديه.

قال له الأمير: قد ركبتَ معي مركب الخطر حين كلّمتني بكلام غليظ..

قال العالم: أنا طبيبٌ.. إذا دخلتُ على مريض أنصحه.

فقال الأمير: ومن أمرك أن تقول لي ذلك؟.

قال العالم: وأنت من أمرك أن تجلس على هذا الكرسي للقضاء؟.

فقال الأمير: أمرني ملك البلاد..

قال العالم: وأنا أمرني ربُّ العباد..

فقال الأمير: أما علمتَ أنَّ من تجرَّأ على الأمراء.. عرّض نفسه للهلاك ؟!.

قال العالم: وأنت أما علمت أن من تجرَّأ على الرحمن.. أُلقي في النيران ؟!.

فقال الأمير: لم تقل العلماء مثل قولك هذا؟!.

قال العالم: لأنهم يخافون من سجن سبع سنوات.. وأنا أقتدي بسيدنا يوسف.. فالسجن أحب إليَّ من ابتغاء رضاك..

عندها طاب قلب الأمير فقال للعالم: اطلب مني ما تريد.

قال: أنا شيخ عجوز فهل لك أن تردَّ عليَّ شبابي؟.

فقال الأمير: لا أقدر على ذلك.

قال العالم: إذن نجِّني من الموت..

فقال الأمير: ليس لي ذلك.

قال العالم: فأنا على باب من يقدر على ذلك كله..

فقال الأمير: سألتُك أن لا تبرح حتى تطلب مني شيئاً.

فالتفتَ العالم فأبصر عبداً أســود فقال: إن كان ولا بد فإني أطلب من عبدك هذا وليس منك..

فقال الأمير: هذا جهل منك.. تتركني و تطلب من أقل عبدٍ لي؟!.

قال العالم: لقــد غضبتَ حين قلتُ: أطلب من عبدك هذا.. و أنا أخاف أن يغضب عليّ مولاي.. و يقول: تتركني و تطلب من أقل عبد لي..

فقال الأمير: لن تبرح مكانك ما لم تطلب مني شيئاً..

قال العالم: فهل لك أن تحمل لي ثلاثة أكياس من القمح على ظهرك؟..

فقال الأمير: لو قدرتُ لفعلت.

قال العالم: إن كنت لا تقدر على حمل ثــلاثة أكياسٍ من القمــح على ظهرك.. فكيف تقدر على حمل أوزار الناس؟!..

❊ ❊ ❊



نَتَفُوا ذَقْنَه

الليلة ٤٨١

• في قرية نائية كان هناك دجَّال يملأ عقول الناس بالخرافات..

تمكَّن هــذا الدجَّال من السيطــرة على عقــول أبناء القريــة وتسميم معتقداتهم.. إلا أنَّه ظهر فيها شاب مثقف لكنه يفتقد إلى الحكمة..

حاول الشاب إقناع الناس بأن ما يقوله الدجَّال ليس إلا خرافة.. لكنهم لم يُصغوا إليه..

وذات يوم هاجم الشاب المثقــف الدجَّالَ.. فاستشــاط الأهالي غضباً وأوسعوه ضرباً.

ترك الشاب القرية وراح يبحث عن ضالته في الحكمة..

قابل حكيماً في إحدى المدن.. فروى له ما حدث وطلب منه المشورة..

فقال له الحكيم: إذا أردتَ أن تهزم ذلك الرجل، فعليك أن تتعلَّم أموراً كثيرة.. عليك أن تتعلَّم السياسة أولاً!..

فوجئ الشاب وقال: وما دَخْل السياسة في دجَّال حدثتك عنه للتو؟!.

فقال الحكيم: ستتعلم ذلك مع الأيام.

مرت السنون وعاد الشاب المثقــف إلى قريته وقد تحلَّى بالحكمة إلى جانب الوعي..

وما أن علم الدجَّال بعودة الشاب حتى طلب إحضاره إليه لضربه من جديد.

أتى الأهالي بالشاب إلى مقرِّ الدجال وسألوه: أنضربه الآن في حضرتك يا سيدي؟.

فلما سمع الشاب ذلك قال: نعم ! أرجوكم أن تضربوني في هذا المكان المقدس.. بأمر من هذا الشيخ الجليل !.

استغرب الدجَّال وظنَّ أن فكر الشاب قد تغيَّر.. فطلب من الأهالي تركه وشأنه.. طالما أنه لا يهاجمه ولا يتكلَّم عنه بسوء.

حفظ الشاب لسانه وتجنَّب الحديث عن ذلك الدجَّال الذي كان يتصنَّع الأخلاق ليخدع الناس بخرافاته.

وذات مساء مـرّ الشاب بالأهالـي وهم مجتمعون لـدى الدجال وهو يُلَقِّنهم مزيداً من الخرافات.

وقف الشاب أمام الأهالي البسطاء.. وأشار إلـى الدجَّال بسبابته وقال: «سمعتُ أن من يحصل على شعرة من ذقن هذا الرجل يدخل الجنة».

فانقضّ الأهالي على الدجَّال.. كلٌّ يحاول نتف الشعرة التي ستدخله الجنة.

كانت تلك هـي المرة الأولى التـي يتعرَّض فيها الدجَّـال لمثل ذلك الألم.. فأخذ يشتم الجميع بأسوأ الكلمات.

ذهل الأهالي من ردة فعله غير المألوفة.. وتعرَّتْ أمامهم خصاله السيئة عندما نتفوا ذقنه..

فأدركوا حينها حقيقة أمره !..

• سُئل أحد الحكماء: ممن تعلَّمْتَ الحكمةَ؟.

قال: من الرجـل الضرير ! لأنَّه لا يضع قدمه علـى الأرض إلا بعد أن يختبر الطريق بعصاه..

❊ ❊ ❊



الليلة ٤٨٢

واديان من مال

• سقطت قطـرة عسل علـى الأرض.. فجاءت نملة صغيـرة فتذوقت العسل ثم حاولت الذهاب..

لكن يبدو أن مذاق العسل قد راق لها فعادت.. أخذت رشفة أخرى ثم أرادت الذهاب..

لكن يظهر أنها لم تكتفِ بما أخذته من العسل.. بل إنها لم تعد تكتف بارتشـاف العسل من على حافة القطرة.. فقـررت أن تدخل في العسل لتستمع به أكثر فأكثر.

دخلـت النملة في قطرة العسل وأخذت تستمتع بـه.. لكنها لم تستطع الخروج منه..

لقد كُبِّلت أرجلُها بالعسـل فالتصقت بالأرض ولـم تستطع الحركة.. وظلت على هذه الحال إلى أن ماتت !..

فكانت قطرةُ العسل سببَ هلاكها ونهايتها المريرة !..

فهي لم تقنع بما ارتشفته منها.. ولو اكتفت بالقليل من العسل لنجت !.

• أليست هذه حالنا مع الدنيا ؟!.

فما الدنيا إلا قطرة عسل كبيرة.. نرتشف منها كل يوم..

فمن اكتفـى بالقليل من عسلها نجـا.. ومن غرق فـي بحر عسلها أهلكتْه.

يقول ﷺ: «مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فـي العلمِ لا يَشْبَعُ منه، ومَنْهُومٌ في الدنيا لا يَشْبَعُ منها»[١].

ويقول ﷺ: «لو كـان لابنِ آدمَ واديان من مالٍ لابتغـى ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلَّا التُّراب، ويتوبُ اللهُ على من تاب»[٢].

ويقول ﷺ: «لا يزالُ قلبُ الكبيرِ شابّاً في اثنتَيْن: في حبِّ الدُّنيا، وطولِ الأملِ»[٣].

• والله تعالى يحذِّرنا من الانغماس في هـوى الدنيا، فيقول: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

• فلا تقارن حياتك بحياة الآخرين الأكثر حظّاً في الدنيا..

بل قارن دينك بدين الصالحين..

ففي الأولى تخسر راحة بالك وهناءة عيشك..

وفي الثانية تكسب دينك ودنياك..

• يقول أحدهم:

كن في الدنيا كعابر سبيل، واترك وراءك كل أثر جميل..

فما نحن في الدنيا إلا ضيوف، وما على الضيف سوى الرحيل.

* * *

(١) تخريج مشكاة المصابيح: ٢٥١ وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.



الليلة ٤٨٣

فضّلنا الثمانية على الثلاثة

• سئل أحد العلماء العارفين:

ما الذي أوصل حال المسلمين إلى هذه الدرجة منَ الذلِّ والهوان وتكالب الأعداء؟..

فقال: عندما فضَّلنا الثمانية على الثلاثة !..

فسئل: ما هي الثمانية؟ وما هي الثلاثة؟.

فأجاب: اقرؤوها في قوله تعالى:

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ﴾:

١ ـ ﴿ ءَابَآؤُكُمۡ ﴾.

٢ ـ ﴿ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ ﴾.

٣ ـ ﴿ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾.

٤ ـ ﴿ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾.

٥ ـ ﴿ وَعَشِيرَتُكُمۡ ﴾.

٦ ـ ﴿ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا ﴾.

٧ ـ ﴿ وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا ﴾.

٨ ـ ﴿ وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ ﴾.

﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم﴾:

١ ـ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾.

٣ ـ ﴿وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ﴾.

﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

• وقال رسول الله ﷺ:

«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ[١]..

وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ[٢]..

وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ[٣]..

وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ[٤]..

سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ».

• فالعرب أمة لا تصلح بغير دين يجمعهم..

* * *

---

(١) هي حيلة يحتال بها بعض الناس على التعامل بالربا، فالعقد في صورته: بيع، وفي حقيقته: ربا. وبيع العينة: أن يبيع الشيء بالآجل، ثم يشتريه نقداً بثمن أقل، كما لو باعه سيارة بعشرة آلاف مؤجلة إلى سنة، ثم اشتراها منه بتسعة آلاف فقط نقداً.

(٢) يعني: للحرث عليها.. لأن من يحرث الأرض يكون خلف البقرة ليسوقها.

(٣) أي: الاشتغال بالزرع في زمن يتعين فيه الجهاد.. وليس المراد بهذه الجملة والتي قبلها ذم من اشتغل بالحرث واهتم بالزرع.. وإنما المراد ذم من اشتغل بالحرث ورضي بالزرع حتى صار ذلك أكبر همه، وقدم هذا الانشغال بالدنيا على الآخرة، وعلى مرضاة الله تعالى، لا سيما الجهاد في سبيل الله.

(٤) أي: تركتم ما يكون به إعزاز الدين، فلم تجاهدوا في سبيل الله بأموالكم، ولا بأنفسكم، ولا بألسنتكم.



الليلة ٤٨٤

قيِّدْني يا أبي!..

امرأة فاجرة عشقت شابّــاً مسلماً جميلاً.. يداوم على الصلاة في مسجد بجوار منزلها.. ويخاف الله تعالى.

كانت ذات مــال وجمال.. دعتْه لمنزلها فأبــى.. حاولت أن تغريه بكلِّ الأساليب.. وعندما فشلت وتمكَّن حبُّه من قلبها.. وتمكن حبُّ الله من قلبه.. أرسل إليها:

إنَّ الحــرامَ سبيلٌ لســتُ أسلُكُهُ ... وَلا أمرُّ به ما عشــتُ في النَّاسِ

فابغي العفافَ فإنِّي لستُ متَّبعاً ... ما تشتهينَ فكوني منه في يأسِ

إنِّي سأحفظُ فيكم من يصونُكُمْ ... فلا تكوني أخا جهلٍ ووسواسِ

فلما قرأت الكتاب كتبت إليه:

دعْ عنك هذا الَّذي أصبحتَ تذكُرُهُ ... وصرْ إلى حاجتي يا أيُّها القَاسي

دعِ التَّنَسُّــك إنِّي لســتُ ناسكةً ... وليسَ يدخلُ ما أبديتَ في رأسي

فأفشى ذلك إلى صديق لــه.. لا ليواعدها أو يفجر بها.. ولكن يستشيره لعله يجد عنده مخرجاً...

فقال له: لو بعثتَ إليها بعض أهلك فزجروها.. لكفَّتْ عنك.

فقال: والله ما فعلت ولا صرتُ للدنيا حديثاً.. لكنني سأصبر صبر الحر محتسباً، لعل ربي من الفردوس يُدنيني..

فما زالت تكرر المحاولات وترسل إليه: إما أن تزورني وإما أن أزورك؟.

فأرسل إليها: أربعي أيتها المرأة على نفسك، ودعي عنك هذا الأمر.

ويقال: إنَّهـا سحرتْه ليحضر إليهـا في الليل.. فعندما جـاء الليل شعر الشاب بشيء يحاول أن يجرّه.. وأحسَّ أنه يريد أن يراها..

فذهب لوالده وقال: قيّدني يا أبي !.

امتنع الأب في البداية.. لكنه مع إصرار ابنه.. قيّده في عمود البيت..

وقال الشاب: يا أبي لاتحلّ قيدي وإن بكيتُ !.

مرت عليه ساعات الليـل وألمه يزداد.. وظل يبكـي طوال الليل حتى ظهر الصباح فلم يعد يسمع له صوتاً !.

وعندما اقترب والده منه وجده قد فارق الحياة !..

فلله دَرُّهُ.. مات في قيد والده.. لكنه لم يخن (ربَّهُ) فصانه الله وحماه..

فليتنا إذا حاولت الفتن أن تُغرينا نقول: (قيّدني يا أبي).

* * *



الليلة ٤٨٥

لحظات للتأمُّل..

• لماذا لا نتأمَّل ونطبِّق في حياتنا كل كلمة من هذا الحديث المعجز:

ـ «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ».

ـ «وَلَا تَحَسَّسُوا».. وهو تتبع أخبار الشخص، والتحسس يكون في الخير ويكونُ في الشر.. أما التجسس فهو في الشر وحده.

ـ «وَلَا تَجَسَّسُوا».. وهو تتبع أخطاء المسلم لغمزه ولمزه والطعن فيه.

ـ «وَلَا تَنَاجَشُوا».. وَهُوَ أَنْ يَزِيد فِي السِّلْعَة وَهُوَ لَا يُرِيد شِرَاءَهَا لِيَقَع غَيْره فِيهَا.

ـ «وَلَا تَحَاسَدُوا»..

ـ «وَلَا تَبَاغَضُوا»..

ـ «وَلَا تَدَابَرُوا»..

ـ «وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً»[(١)]..

أليس هذا علاجاً لكثير من مشاكلنا ؟!..

• يُروى أن أرملة حسناء نزحت إلى إحدى الضواحي مع أطفالها الثلاثة..

لاحظ الأهالي أنها ما كانت تخرج من منزلها إلا نادراً.. في حين كان أطفالها يكثرون الخروج من البيت ويلعبون في الطرقات..

---

(١) متفق عليه.

أخذ أصحاب السوء يظنون بها الظنون.. وأنهــا تهمل أطفالها.. ويتردد عليها الرجال !..

وذات يوم.. وفيما كانت فــي طريقها إلى مكتب البريد.. سقطتْ مغشياً عليها..

تبين فيما بعد أنها كانت مريضة مرضاً عضالاً لا شفاء منه..

وأنهــا كانت تدفــع بأطفالهــا للخروج مــن البيت.. كــي لا تُحزنهم بأوجاعهــا.. ولا تبكيهم من كثــرة آلامها !.. وأن الرجــال الذين كانوا يترددون عليها هم طبيبها الذي يعالجها.. ومحاميها العجوز الذي يثبّت لها ما ورثت عن أبيها..

لم تمضِ إلا أيام معدودات حتى ماتت المرأة..

وإذا بالمحامي يخرج ليقــرأ على الجميع وصية أذهلت أكثر ما أذهلت أولئك المشككين والمرتابين !..

فقد أوصــت بنصف ثروتهــا لبنــاء مستشفــى يعالج فيــه أهل تلك الضاحية!..

فلا تسيئوا الظَّنَّ بإخوانكم..

أصلحوا نياتكم تصلح نوايا مَنْ حولكم..

* * *



الليلة ٤٨٦

السبابة التي لا تكتب باطلاً

• استجوب الضابطُ الإيطالي **عمرَ المختار**، فانظر ماذا قال؟..

سأله الضابط: هل حاربت الدولة الإيطالية؟.

عمر: نعم.

وهل شجَّعْتَ الناس على حربها ؟.

عمر: نعم.

وهل أنت مدرك عقوبة ما فعلت؟.

عمر: نعم.

وهل تُقِرُّ بما تقول؟.

عمر: نعم.

منذ كم سنة وأنت تحارب السلطات الإيطالية؟.

عمر: منذ (١٠) سنين.

هل أنت نادم على ما فعلت؟.

عمر: لا.

هل تدرك أنك ستُعدَم؟..

عمر: نعم.

فيقول له القاضي بالمحكمة: أنا حزين بأن تكون هذه نهايتك !..

فيرد عمر المختار: بل هذه أفضل طريقة أختم بها حياتي..

فيحاول القاضي أن يغريه.. فيحكم عليــه بالعفو العام مقابل أن يكتب للمجاهدين أن يتوقفوا عن جهاد الإيطاليين !..

فينظر له عمر ويقول كلمته المشهورة:

إنَّ السبابة التــي تشهد في كلِّ صلاة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، لايمكن أن تكتب كلمة باطل.

ومات عمر المختار.. لكن التاريخ خلَّد ذلك الثبات..

• وفي موقف آخــر يُطلَب من أحد الصالحيــن أن يكتب كلمة اعتذار واستعطاف ليُعفَى عنــه.. فيجيب بقوة المؤمن الثابــت على الحق: إن السبابة التي ترتفع بشهادة التوحيد.. في التشهُّد في الصلاة.. لتأنف أن تكتب كلمة اعتذار أمام الباطل..

يقول ﷺ: «**أفضلُ الجهادِ كلِمةُ حقٍّ عِندَ سُلطانٍ جائرٍ**»[1].

• فالابتلاء سنة كونية وحكمة إلٰهية يختبر الله بها عباده المؤمنين ليُمَحِّصهم بها: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١ـ٣].

فأهل الحــق في كل زمان ومكان هم أعظم النــاس صبراً على أقوالهم ومعتقداتهم.. وإن أصابهم في سبيل ذلك ما أصابهم..

ولهذا كان الثبات على الحق سمة أهل الحق..

• وهــذا **أبو سفيــان** رضي الله عنه حين سأله هرقــل ملك الــروم عن أصحاب النبي ﷺ: هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟.

فقال ـ وكان وقتها مشركاً ـ : لا..

قال هرقل: وكذلك الإيمان إذا خالطتْ بشاشَتُهُ القلوبَ.

(١) صحيح الجامع: ١١٠٠.



الليلة ٤٨٧

أأفضحه وهو يطيعني؟!

• رُوي أنه لحق بني إسرائيل قحطٌ على عهد النبي **موسى** عليه السلام ..
فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كليم الله ! ادعُ لنا الله أن يسقينا الغيث..
فقام معهم.. وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون..
فقال موسى عليه السلام : إلٰهي.. اسقنا غيثك.. وانشر علينا رحمتك..
وارحمنا بالأطفال الرضع.. والبهائم الرتع.. والشيوخ الركع..
فما زادت السماء إلا تقشُّعاً.. والشمس إلا حرارة !..
فتعجب النبي موسى عليه السلام .. وسأل ربه عن ذلك..
فأوحى الله إليه: إنَّ فيكم عبداً يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة !..
فنادِ في الناس حتى يخرج من بين أظهركم.. فبهِ مَنَعْتُكم..
فقال موسى: إلٰهي وسيدي أنا عبد ضعيف.. وصوتي ضعيف.. فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون؟!..
فأوحى الله إليه: منك النداء ومنا البلاغ..
فقام النبي موسى منادياً: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله بالمعاصي منذ أربعين سنة.. اخرج من بين أظهرنا.. فبك مُنعنا المطر..
فنظر العبد العاصي ذات اليمين وذات الشمال.. فلم يَرَ أحداً خرج منهم.. فعلم أنه المطلوب..
فقال في نفسه: إنْ أنا خرجتُ من بين هذا الخلق فَضَحْتُ نفسي..
وإن قعدتُ معهم مُنعوا لأجلي..

فأدخلَ رأسه في ثيابه نادماً على فعاله وقـال: إلٰهي وسيدي.. عصيتُك أربعين سنة وأمهلْتني.. وقد أتيتك الآن طائعاً فاقبلْني..

فما أتم كلامه حتى ارتفعت سحابة بيضاء.. فأمطرت كأفواه القُرَب..

فقال موسى: إلٰهي وسيدي.. بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟.

فقال الله: يا موسى.. سقيتكم بالذي منعتكم..

فقال موسى: إلٰهي ! أرني هذا العبد الطائع..

فقال الله: يا موسى.. لم أفضحْه وهو يعصيني..

فكيف أفضحه وهو يطيعني؟!..

• يُروى أن **عقبة بـن عامر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان له كاتب.. وكان جيران هذا الكاتب يشربون الخمر؛ فقال يوماً لعقبة: إنَّ لنا جيراناً يشربون الخمر.. وسأبلغ الشرطة ليأخذوهم..

فقال له عقبة: لا تفعل.. وعِظْهُم.

فقال الكاتب: إني نهيتهم فلـم ينتهوا، وأنا داعٍ لهم الشرطة ليأخذوهم، فهذا أفضل عقاب لهم.

فقال له عقبة: ويحك.. لا تفعل.. فإني سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة**»[1].

• ويُحكى أن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جلس بين مجموعة من أصحابه.. وفيهم **جرير بن عبد الله** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وبينما هم جالسون أخرج أحد الحاضرين ريحاً..

وأراد عمر أن يأمر صاحب ذلك الريح أن يقوم فيتوضأ..

فقال جرير لعمر: يا أمير المؤمنين، ما رأيك لو توضَّأ القوم جميعاً؟.

فسُرَّ عمر بن الخطاب من رأيه.

---

(١) سنن أبي داود: ٤٨٩١.



الليلة ٤٨٨

لا عجز لمن أراد..

قد تمـرّ بك لحظات ضعـف.. فيُخيّل إليك أن قواك قـد خارت.. فلا تستسلم لهـذا الشعور.. فإن للنفـوس إقبالاً وإدبـاراً.. ولعل بعد ذلك الضعف قوة وفرجاً.

وقد تشعر أحياناً بالإحبـاط.. وعدم الثقة بالنفس.. فـلا تستسلم لهذا الهاجس.. وتذكّـر أن الإخفاق ليس عـاراً إذا بذلتَ جهدك بإخلاص.. حاول مرة بعد مرة.. وستصل إلى مبتغاك بإذن الله.

وقد تتكالب عليك الهمـوم.. فيُخيّل إليك أنها لـن تفارقك أبداً.. فلا تستسلمْ لهذا الإحساس..

ولا تحسبنّ الشر لا خير بعده.. فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً.

وقد تقع في الذنـب إثر الذنب.. فيلقي الشيطان فـي رُوعك أن الخير منك بعيد..

وأنك ممن كُتِبَتْ عليه الشقاوة.. فـلا تستسلمْ لهذا الخاطر.. وتذكر أن كل ابن آدم خطّاء.. وخير الخطّائين التوّابون.. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].. فتنقشع عنك غياهب اليأس..

وقد يعلو الباطل ويترعـرع حتى لا تجد فيه بارقة حـق.. وقد يتزعزع إيمان المؤمنين لهذا العلو ويسقطون أمام الفتن والمحن..

فكن على يقين عندها أن لحظات التمكين لمن صبر وثبت قد اقتربت..

وتذكر أن الرياح العاتية قد تقتلع شجرة.. لكنها لا تقتلع فكرة يؤمن بها صاحبها إيماناً عظيماً..

أما إذا كنتَ على خطأ فأنت من يملك القدرة على التغيير..

فابن نوح عليه السلام قرر ألَّا يتغيَّر.. فكان مصيره الهلاك !..

وامرأةُ فرعون قررت أن تتغيَّر.. فأصبحت من سيدات أهل الجنة !..

هو ابن أكبرِ داعية !..

وهي زوجة أكبر طاغية !.

فمهما كانت ظروفك.. فأنت من يقرر ويستطيع التغيير..

وبمجرد أن تبدأ في التغيير.. تكون قد أنجزت الجزء الأكبر من المهمة التي تخالها صعبة..

وما هي على أهل العزيمة من الصعاب..

وعندما يقول لك أحد: (أبشِّرك).. تجد أساريرك قد انفرجتْ واستبشرتْ..

لعلمك أن البشرى كلها خير..

فكيف إذا كان القائل هو رب العالمين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]؟..

وأن يتأخر الفرج.. لا يعني أنه لن يأتي..

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

* * *



الليلة ٤٨٩

ما سرّ استجابة اللّه لأنبيائه؟

• ماذا كانوا يفعلون يا ربِّ حتى نجَّيتهم وهم في أشد الشدائد؟.

والجواب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فسارعوا في الخيرات.. كلٌّ على قدر استطاعته..

يقول الشيخ **الشعراوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وفرْق بين أسْرَعَ وسارَعَ..

فأسـرَعَ يُسرع يعني: بذاته.. إنمـا سارعَ يسارعُ أي: يـرى غيره يسرع.. فيحاول أنْ يتفوق عليه.. ففيه مبالغة وحافز على المنافسة.

وهناك فرق بين «سارع إلى» و«سارع في»، فمعنى ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ..﴾ [المؤمنون: ٦١] أنهم كانوا في حيِّز الخيرات وموجودين فيه.. لكن يحاولون الارتقاء والازدياد من الخيرات للوصول إلى مرتبة أعلى..

أما «سارع إلى كـذا»: إذا كنتَ خارجاً عنه.. وتريـد أن تخطو إليه خُطًى عاجلة.. مثـل قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

• سئل أحد العلماء: لماذا كلام السَّلف أنفعُ من كلامنا؟.

فقال: «لأنهم تكلموا لعزِّ الإسلام.. ورضا الرحمنِ.. والنجاةِ يوم الحساب.

ونحن نتكلمُ لعزِّ النَّفْس.. ورضا الناس.. والنجاة في الدنيا».

فنسألك يا إلٰهنا أن تجعلنا من الصنف الأول..

والفرق الذي بيننا وبين أسلافنا أنَّ المسلمين والمسلمات كانوا جميعاً قدوة بعضهم لبعض: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ..﴾ [التوبة: ٧١]؛ بسبب قوة علاقتهم بالله تعالى..

ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف..

• كان أهل الخير إذا التقوا يوصي بعضهم بعضاً بثلاث:

ـ من عمل لآخرته.. كفاه الله دنياه..

ـ ومن أصلح فيما بينه وبين الله.. كفاه الله الناس..

ـ ومن أصلح سريرته.. أصلح الله علانيته.

• دخل رجل على **عمر** رضي الله عنه فقال له: أوصني.

قال: أوصيكَ بثلاث:

ـ أن تحفظ آلاء الله عليك في كل حالة كنت..

ـ وأن تذكر اطِّلاع الله عليك في كل حالة كنت..

ـ وأن تذكر الموتَ ودخول القبر على أي حالٍ كنت.

* * *



شفافية المؤمن

الليلة ٤٩٠

• يقول الشيخ **محمد الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قلت لرجل تعوّد شرب الخمر: ألا تتوب إلى الله؟.

فنظر إليّ بانكسار، ودمعتْ عيناه، وقال: ادعُ الله لي..

تأملتُ في حال الرجل، ورقَّ قلبي..

فبكاؤه شعور بمدى تفريطه في جنب الله.. وحزنه على مخالفته، ورغبته في الاصطلاح معه.

إنه مؤمن يقيناً، ولكنه مبتلى!.. وهو ينشد العافية ويستعين بيَ على تقريبها..

قلت لنفسي: قد تكون حالي مثل حال هذا الرجل أو أسوأ!.

صحيح أنني لم أذق الخمر قط، فإن البيئة التي عشتُ فيها لا تعرفها..

لكنّي ربما تعاطيت من خمر (الغفلة) ما جعلني أذهل عن ربي كثيراً وأنسى حقوقه..

إنه يبكي لتقصيره.. وأنا وأمثالي لا نبكي على تقصيرنا.. قد نكون بأنفسنا مخدوعين!.

أقبلتُ على الرجل الذي يطلب مني الدعاء ليترك الخمر.. وقلت له: تعال ندع لأنفسنا معاً:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]».

• فالله تعالى لا يريــدك أن تكون متردداً في أمــورك.. تحار في اختيار الطريق السليم..

وتتكاثر الهواجس في رأسك فتعيش في ريبة وتوجس.. ولا تدري كيف تفعل..

فإذا عزمتَ على التوبة فاستعن بالله.. واعقد العزم.. واسأله الثبات..

وحين اختارك الله لطريق هدايته.. ليس لأنك مميز أو لطاعةٍ منك..

بل هي رحمة منه شملتك.. وقد ينزعها منك في أي لحظة كانت..

فلا تغتر بعملك ولا بعبادتك.. ولا تنظر باستصغار لمن ضل عن سبيل الله..

فلولا رحمة الله بك لكنت مكانه.

وهكذا الكبار فإنهم لا يُصرّون على خطأ وقعوا فيه أبداً..

بل يُسارعون إلــى الاعتراف بــه.. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والكبار إذا أصابهم ما يُصيب البشر من الخطأ والنسيان عادوا مسرعين..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ولا تظنن أن الثبات على الاستقامة أحد إنجازاتك الشخصية..

فالله ﷻ يقول لسيد البشر ﷺ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].. فكيف بك؟!..

* * *



الليلة ٤٩١

هكذا يكون الحكّام..

• جاء في مذكرات الخليفة العثمانـــي «**سليمان القانوني**».. أن مسؤول القصر أخبــر «سليمـــان» باستيلاء النمل على جذوع الأشجار في قصر «طوب كابي»..

نصحــه أهل الخبرة أن يــدهن جذوعها بالجير.. لكن كـــان من عادة السلطان أن يأخذ رأي مفتي الدولة حتى في صغائر الأمور !.

ذهب إلى المفتـــي «**أبي السعود**» بنفسه يطلب منه الفتوى، فلم يجده، فكتب له رسالة ببيت شعر يقول فيها:

إذا دبّ نـمـلٌ على الشجر فهـــل في قتلـــه ضـــرر؟

فأجابه الشيخ حين رأى الرسالة:

إذا نُصبَ ميــــزانُ العـــدل أخــذ النمل حقّه بلا وجـل

وذلك في إشارة منه إلى ما هو أعظم وأهم !.

وهكذا كان دأب السلطان سُليمان.. فلا يكـــاد يُنفّذ أمراً إلا بفتوى من المفتي أو من الهيئة العليا للعلماء في الدولة العثمانية.

ولمـــا تُوفي السُّلطان في معركة ـ زيكتور ـ وعـــادوا بجثمانه إلى إسطنبول.. وجدوا أثناء التشييـــع أنه قد أوصى بوضع صندوق معه في القبر !..

تحيّر العلماء و ظنوا أنه مليء بالمال.. فقرروا فتحه !..

أخذتهم الدهشة عندما رأوا الصُّندوق ممتلئاً بفتاويهم.. حتى يدافع بها عن نفسه يوم الحساب!.

أخذ الشيخ أبوالسعود يبكي ويقول:

لقد أنقذتَ نفسك يا سليمان.. فأي سماء تظلّنا؟!.. وأي أرضٍ تُقلّنا إن كنا مخطئين في فتاوينا؟!..

هكذا كان العلماء!.

وهكذا كان الحكام!.

• يقول **أبو حامد الغزالي**:

«ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك..

وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء»..

• ويقول **مصطفى صادق الرافعي**:

«لو نافق عالم الدين لصار كل منافق أشرف منه..

فليست لطخة في الثوب الأبيض كلطخة في الثوب الأسود!».

* * *



الليلة ٤٩٢

من أسرار لفظ الجلالة

فتاة إسبانية كانت تدرس «ماجستير» في اللغة العربية في جامعة اليرموك الأردنية..

وذات يوم وأثناء إحدى المحاضرات طرح الدكتور «**فخري كتانة**» سؤالاً على طلابه:

«من منكم يحدثني عن لفظ الجلالة (الله) من الناحية الإعجازية اللغوية ومن الناحية الصوتية؟.

لم يرفع يده إلا فتاة إسبانية تدعى «**هيلين**».. والتي تجيد التحدُّث باللغة العربية الفصحى على الرغم من كونها إسبانية مسيحية..

قالت: إن أجمل ما قرأتُ بالعربية هو اسم (اللهُ)..

ـ فآلية ذكر اسمه سبحانه وتعالى على اللسان البشري لها نغمة متفردة..

فمكونات حروفه ـ دون الأسماء جميعها ـ يخرج من خالص الجوف.. لا من الشفتين..

فلفظ الجلالة (الله) لا تنطق به الشفاه لخلوّه من النقاط !..

اذكروا اسم (الله) الآن وراقبوا كيف نطقتموها..

هل استخرجتم الحروف من باطن الجوف.. أم أنكم لفظتموها ولا حراك في وجوهكم وشفاهكم؟.

وإذا أراد ذاكرٌ أن يذكر اسم (الله) فلن يشعر بذلك أي جليس بجانبه..

ـ ومن إعجاز اسمه أنه مهما نقصت حروفه فإن الاسم يبقى كما هو..

وكما هو معروف أن لفظ الجلالة (الله) يشكّل بالضمة في نهاية الحرف الأخير.. «اللهُ».

وإذا ما حذفنا الحرف الأول يصبح اسمه «لله» كما تقول الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وإذا ما حذفنا الألف واللام الأولى بقيت «له».. ولا يزال مدلولها الإلٰهي كما يقول ﷻ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦]..

وإن حذفت الألف واللام الأولى والثانية بقيت الهاء بالضمة « هـُ»..

ورغم ذلك تبقى الإشارة إليه ﷻ كما قال في كتابه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢].

وإذا ما حذفت اللام الأولى بقيت «إلٰه».. كما قال تعالى في الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢].

ـ وحروف اسم (الله) هي ذاتها حروف (لا إلٰه إلا الله)!..

وهذا يعني أن الله تعالى اشتق من حروف اسمه خير عبارة يصف بها نفسه، وهذه معجزة عظيمة.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧ـ٣٨].

وجميل أن تعرف أن «هيلين» هذه اسمها الآن «عابدة»!.

* * *



فن الإتيكيت النبوي

الليلة ٤٩٣

يقول أحد المتخصصين بفن الأتيكيت:

اطلعتُ على المدرسة السويسرية للإتيكيــت.. وتعرفت على المدرسة الفرنسية للإتيكيت..

ولكني انبهرت وتأثرت أكثر بمدرسة محمد ﷺ في الإتيكيت:

• فيبهرنا ـ للأســف ـ مشهد ممثــل أجنبي يطعم زوجتــه في الأفلام الأجنبية..

ولا ننبهر بحديــث رسول الله ﷺ: «**إنَّكَ لن تُنْفِقَ نفقــةً تبتَغي بها وجهَ اللهِ ﷻ إلَّا أُجِرْتَ بها، حتَّى ما تجعلُ في فَمِ امرأتِكَ**»[١].

• وانظر إلى ما فعلــه العرباض بن سارية بعــد أن سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرجلَ إذا سقى امرأتَه من الماءِ أُجِــرَ**» قال: فأتيتُها فسقيتُها، وحدَّثتُها بما سمعتُ من رسولِ اللهِ ﷺ[٢].

• ويعتقدون أن تبادل الورود بين الأحبة عــادة غربية، ونسوا الحديث الشريف: «**من عُرِض عليه رَيحانٌ فلا يــرُدَّه؛ فإنه خفيفُ المَحملِ طيِّبُ الرِّيحِ**»[٣].

---

(١) صحيح الأدب المفرد: ٥٧٩.

(٢) صحيح الترغيب: ١٩٦٣.

(٣) رواه مسلم.

• وينبهرون عندما يرون الرجل الغربي يفتح باب السيارة لزوجته، ولم يعلموا أنه في غزوة خيبر جلس رسولنا الكريم ﷺ على الأرض وهو مجهد.. وجعل زوجته صفية تقف على فخذه الشريف لتركب ناقتها..

هذا سلوكه في المعركة فكيف يكون في المنزل؟!..

• وكانت وفاة رسولنا الكريم في حجر أم المؤمنين عائشة.. وكان بإمكانه أن يتوفى وهو ساجد.. لكنه اختار أن يكون آخر أنفاسه بحضن زوجته..

• تقول عائشة رضي الله عنها: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ(١).

• وقالت ميمونة: كان رسول الله ﷺ يُباشر نساءه فوق الإزار وهُنّ حيض(٢).. وهذا بخلاف حال اليهود ومن شابههم الذين يتقذّرون المرأة إذا كانت حائضاً أو نفساء..

إنها المحبة والرومانسية الحقيقية من الهدي النبوي..

أين هذا الخلق النبوي الكريم من قوم يأنفون من المرأة إذا حاضت.. فلا يأكلون معها ولا يأكلون من طبخها ؟!..

* * *

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.



لكل من ماتت صلاتُه

الليلة ٤٩٤

• يقول **الإمام أحمد** رحمه الله تعالى: يأتي على الناس زمان يصلّون وهم لا يصلّون !..

• روي أن **طلحة الأنصاري** رضي الله عنه كان يصلي في بستانه ذات يوم.. فرأى طيراً يخرج من بين الشجر.. تعلقتْ عيناه بالطائر حتى نسي كم صلَّى!.. فذهب إلى رسول الله ﷺ يبكي ويقول:

يا رسول الله ! إني شُغلت بالطائر في البستان حتى نسيت كم صليت !..

فإني أجعل هذا البستان صدقة في سبيل الله..

فضعْه يا رسول الله حيث شئت لعل الله يغفر لي..

• يقول رسول الله ﷺ: «أسوأُ النَّاسِ سرِقةً الَّذي يَسرِقُ مِن صَلاتِهِ» قالوا: يا رَسولَ اللهِ كيفَ يَسرِقُ من صلاتِهِ؟ قال: «لا يُتِمُّ رُكوعَها ولا سُجودَها» أو قال: «لا يُقِيمُ صُلْبَه في الرُّكوعِ والسُّجود»[1].

• فلكل من ماتت صلاته ويريد أن يحييها:

ـ قم بتغيير السور القصيرة التي تقرأها دائماً..

ـ استشعر بأن كل هذا الكون حطام أمام سجدة خاشعة للعظيم..

ـ تذكر وأنت تخرُّ ساجداً أنك أقرب ما تكون لرب العالمين.. فأطل سجودك.. وبثّ إليه رجاءك..

---

(١) صحيح الترغيب: ٥٢٤.

ـ تذكَّر عند شرودك في الصلاة وتفكيرك في الدنيا بأن ربك يعلم السر والنجوى! وبأن الآخرة خير وأبقى!..

ـ استشعر قدمك.. بصرك.. سمعك.. صحتك.. غناك.. وقفْ له بكل ذلٍّ واشكره..

ـ تلذَّذ في صلاتك حتى تصبح لك راحة كما قال الرسول ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**»! راحة يتوقف بها كل ضجيج الكون وهمومه..

ـ أقبلْ على الصلاة كالطفل الذي يهرع لأحضان من يحب..

ـ أقبل واسجد.. واجعل رحمة المولى تحتضنك.. فهو أرحم بك من التي ولدتك !.

ـ وقبل لقاء الله تعالى تعطَّرْ.. ترتَّبْ.. استحضر قلبك.. وقل: «ربي لا تجعل في قلبي سواك».

ـ تذكَّر أن المولى سبحانه وتعالى أخبرنا بأن الصلاة كبيرة إلا على الخاشعين.. فلنكن منهم..

ـ وعندما تبدأ الصلاة بـ(الله أكبر) اسأل نفسك: هل قلبي بحق خالٍ من سواه جل في علاه؟..

يقول أحدهم: أنا أحل جميع القضايا المعلّقة في ذهني أثناء صلاتي !..

فهل لهذا صلاة؟!..

* * *



قمة البراءة

الليلة ٤٩٥

• قالت الأمُّ لِطفلها الصغير: اقرأ سورة الإخلاص عشر مرات لِيبنيَ اللهُ لكَ بيتاً في الجنة..

بدأَ الطفل يقرأ.. فشاهدَ أمَّــهُ تقرأ أيضاً، فقال لها: ماما.. ماما.. لا تقرئي أنتِ.. فأنتِ سَتسكنينَ معي في بيتي!..

• يقول حكيم: ليت الناس جميعهم أطفال..

وعجباً كيف يتمنَّى شخص مثل هذه الأمنية؟!..

فلندع لخيالنا فرصة التحليق.. ولنسافر معاً في فضاء عالم الأطفال..

ـ سيكون هناك فيضٌ من الحب والحنان والصفاء..

ـ وسيكون هناك غيثٌ من البراءة واللطف والجمال..

ـ ستجد الكثير من الحركة والمرح والضحك..

ـ ولن يهتموا أبداً بمــا يحدث في غدٍ.. فهم يعيشون أيامهم يوماً بيوم.. ويستمتعون بكل دقيقة دون تفكير بالعواقب..

ـ لن يكون هناك غش أو خداع.. ففطرتهم سليمة لم يشبها شائبة..

ـ ولن يكون هناك حقد ولا ضغينة.. فهم لم يعرفوا بعدُ حقدَ الحاقدين..

ـ ولن تكون هناك قلوب لا تعرف الرحمة.. ولا نفوس تكيد المكائد..

ـ ستكون هناك بعض الحــروب.. لكن أسلحتها «وسادات» و«بالونات» مليئة بالماء!..

وبعد انتهاء الحرب سوف يبتسم بعضهم لبعــض.. وقد لا يخلو الأمر من بعض القبل.. ويخلدون للنوم.. وقد نسوا كل ما حدث..

ويتركون كل شيء وراءهم وكأن شيئاً لم يكن..

• يقول أحد خبراء علم النفس:

سبع خصال يتميز بها الأطفال:

- فلا يغتمّون لرزق..
- وإذا مرضوا لم يضجروا من قضاء الله..
- ولا يجد الحقد إلى قلوبهم سبيلاً..
- ويسارعون للصلح..
- يأكلون مجتمعين..
- ويخافون لأدنى تخويف..
- وعيونهم تدمع ببراءة عجيبة..

* * *



كن كقلم رصاص

الليلة ٤٩٦

• يظل الإنسان في هذه الحياة مثل قلم الرصاص..

تَبريه العثرات ليكتب بخط أجمل..

وهكذا حتى يَفنى القلم..

فلا يبقى له عند الله إلا جميل ما كتب!.

• بكى تلميذ **ابن رشد** حين كان العرب يحرقون كتب معلّمه..

فالتفت المعلّم إليه حال انخراطه فى البكاء فقال:

«إذا كنت تبكي حال المسلمين..

فاعلم أن بحار العالم لن تكفيك دموعاً..

أما إذا كنت تبكي الكتب المحروقة..

فاعلم أن للأفكار أجنحة.. وهي تطير لأصحابها»!.

• فالعزيمة الصادقة تصنع المستحيلات.. وتلين الصعوبات.

يقول **عمر المختار** رَحِمَهُ اللهُ: إن الضربات التي لا تقصم ظهرك تقويك.

والعزيمة تقوي الإرادة.. وتعين على شدائد الأمور..

ولهذا كان في دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد**»[1].

---

(١) السلسلة الصحيحة: ٣٢٢٨.

• يُروى أن **كسرى فارس** أرسـل إلى **ملك الصين**.. يطلب المدد لمحاربة المسلمين الذين استولوا على بلاد فارس في خلافة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه.. فأرسل ملك الصين يعتذر عن نجدته بقوله: «إنه لم تمنعني الجهالةُ بما يحق علـيّ.. أن أبعث إليك بجيش أوله بمـرْوٍ وآخره بالصين.. ولكن هؤلاء القـوم الذين وصف لي رسولـك صفتَهم لو حاربـوا الجبال.. لهدّوها.. ولـو خلّي سربهـم.. أزالوني.. مـا داموا علـى ما وصف.. فسالمهمْ وارضَ منهم بالمساكنة.. ولا تهجهم عليك ما لم يهيّجوك».

• يقول د. **إبراهيم الفقي**[(١)]: «بعد سفري إلى كندا في عام (١٩٧٨م) كان كل من قابلتهـم في البداية ينصحني بالعودة إلـى بلدي.. لأني لن أجد عملاً، وكان أمامي أحـد خيارين.. إمـا أن أقتنع بما يقولـون.. وتهبط عزيمتي وأفقد الأمل.. أو أن أنزل إلى سوق العمل.. وأقوم بحملة بحث إلى أن أجـد عملاً مناسباً.. فقررت العمل بالـرأي الثاني.. وفي أقل من (٤٨) ساعة كان لديّ عرضان للعمل.. بدأتُ سلَّم الكفاح كغاسل أطباق.. وفي أقل من (٨) سنوات أصبحت مديراً عامّاً لأحد الفنادق الكبرى».

• ويناقض العزيمـة ويضعفها: التردد وعدم وضـوح الهدف، والخوف الدائم من الفشل، ووضع نتائـج سلبية للعمل قبل تنفيذه، وتوقع انتقاد الآخرين.. فكن ممن ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤].

* * *

(١) د. إبراهيم الفقي: كتاب «قوة التحكم في الذات».



الليلة ٤٩٧

مجالسة الصالحين

• قال **لقمان** لابنه: «يا بني، جالس قوماً يذكرون الله بطاعته..

فإن كنتَ عالماً نفعك علمك.. وإن كنت جاهلاً علّموك..

وإن نزلتْ عليهم رحمة أو رزق.. كان لك فيه معهم حظ..

ولا تجالس قوماً لايذكرون الله..

فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك.. وإن كنت جاهلاً زادوك جهلاً..

وإن نزلت عليهم لعنة أو سخط شاركْتَهم فيه».

• والمرء بمجرد رؤيته الصالحين والأخيـــار يذكر الله تعالى، قال ﷺ: «**أولياءُ اللهِ تعالى، الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ تعالى**»[١].

ومن جالس الصالحين شملته بركة مجالسهـــم.. وعمّه الخير الحاصل لهم.. وإن لم يعمل عملهم..

قال بعض الحكماء: «من جالس خيّراً أصابته بركته.. فجليس أولياء الله لا يشقى.. وان كان كلباً ككلب أصحاب الكهف».

وقال **عمر بن الخطـــاب** رضي الله عنه: عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم.. فإنهم زين في الرخاء وعدة في البلاء..

• وكان أحد الحكماء يعظ ابنه فيقول:

«إياك وإخوان السوء.. فإنهم يخونون من رافقهم.. ويفسدون من صادقهم..

---

(١) صحيح الجامع: ٢٥٥٧.

والإخوان اثنان: فمحافظ عليك عند البلاء.. وصديق لك في الرخاء.. فاحفظ صديق البليّة.. وتجنب صديق العافية».

• وجليسك الصالح يُبصِّرك بعيوبك.. ويدلك على أوجه الضعف عندك.. يحفظك في حضرتك وغيبتك.. فلا يفشي لك سرّاً، ولا ينتهك لك حرمة..

قال **الحسن** رضي الله عنه: «المؤمن مرآة أخيه؛ إن رأى فيه ما لا يعجبه سدّده وقوّمه.. وحفظه في السر والعلانية».

• وبيّن القرآن الكريم خطورة الصحبة على الإنسان.. وأنها قد تورده المهالك:

﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٥ ـ ٥٧].

فهذا رجل من أهل الجنة يقسم بالله إن قرينه كاد يرديه (أي: يهلكه بعذاب النار، ولكن لَطَفَ الله به.. فتداركه برحمته.. فهداه وأنقذه من النار.

ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٨].

❊ ❊ ❊



الليلة ٤٩٨

ما زال طعم الحلوى في فمي

• رجل كبير يرقد في المستشفى يزوره شاب كل يوم.. يجلس معه لأكثر من ساعة.. يساعده في أكل طعامه وفي قيامه وقعوده.. ويأخذ بيده وهو يمشي في جناح المستشفى.. ثم يذهب بعد أن يطمئن عليه.

دخلت عليه الممرضة ذات يوم لتعطيه الدواء وتتفقد حاله، فقالت له: ما شاء الله يا حاج.. الله يخليلك ابنك فهو يزورك يوميّاً.. وقلما نجد أبناء مثله في هذا الزمان!..

نظر إليها وأغمض عينيه وقال: ليته كان أحد أبنائي!..

فهذا ولد يتيم كان يسكن في الحي الذي كنا نسكن فيه..

رأيته ذات مرة يبكي عند باب المسجد.. بعد أن توفي والده فهدّأتُ من روعه..

واشتريت له حلوى.. ولم أره منذ ذلك الحين.

وحين علم بمرضي أخذ يزورني كما ترين كل يوم..

وعندما سألْتُه: لماذا يا ولدي تتكبد كل هذا العناء؟.

ابتسم وقال: «ما زال طعم الحلوى في فمي يا عمي»..

• وربما تكون نائماً.. فتَقرع أبوابَ السماء عشراتُ الدعوات لك..

من فقير أعنْته.. أو حزين أسعدْته..

أو مكروب نفّستَ عنه.. أو ضعيفٍ ابتسمتَ له..

فلا تستهن بفعل الخير مهما كان صغيراً..

احرص على فعلٍ جميلٍ.. أو قولٍ جميل..

فإنْ عجزتَ.. فلا تعجز عن صمتٍ جميل !..

جاء في الأثر:

«**اصنعِ المعروفَ** إلى مَنْ هُوَ أهلُهُ، وإلى غيرِ أهلِهِ..

فإنْ أصبْتَ أهلَهُ أصبْتَ أهلَهُ..

وإنْ لم تُصِبْ أهلَهُ، كنتَ أنتَ أهلَهُ»[١].

• ولا تندم على معروف فعلْته.. وإن كان الآخرون لا يستحقّونه..

فما دامت نيتك لله.. فحقك محفوظ عنده.. وإن هم لم يقدّروه..

ولكن حذار أن تكون قد قمت به من أجلهم.. فتكون قد خسرت أجراً عظيماً..

جدد نيتك واجعل كل أعمالك لله.. تنل من الله الأجر.. وانس من ورائك الناس..

• ورحم الله من قال:

ازرَعْ جَميلاً ولو في غَيرِ مَوضِعِهِ فَلا يَضيعُ جَميلٌ أينَما زُرِعا

إنَّ الجَميلَ وإن طالَ الزَّمانُ بِهِ فَلَيس يَحصُدُه إلّا الذي زَرَعا

وإن فقدتَ مكان بذورك التي بذرتها يوماً ما... فسيخبرك المطر أين زرعتها..

فابذر الخير فوق كل أرض.. وتحت كل سماء..

فأنت لا تعلم أين تجده.. ومتى تجده !.

* * *

(١) ضعيف الجامع: ٨٩٤.



لو سَتَرْتَه بثوبِكَ

الليلة ٤٩٩

• **ماعزُ بن مالكٍ الأسلمي** أحـــدُ الصحابة الأخيار ممن وقر الإيمانُ في قلبه وصدَّق برسالة نبيِّه.

عاش في مدينة رسول الله ﷺ يَحمل بين جنبَيه نورَ الإيمان.. وضياء التَّقوى..

بَيْدَ أنَّه لم ينفك عن بشريَّته.. ولم ينسلخ من ضعفه الآدمي..

فزيَّن له الشيطانُ فعلَ الحرام.. ودفعته نفسُه الأمَّارة نحوَ الفاحشة دفعاً..

وفي ساعة الغفلة وسكرة الشَّهوة.. وقع في الإثم.. وكان من أمره ما كان.

عصى ماعزٌ ربَّه، وأيقن أنَّ ذلك من عَمَلِ الشيطان..

فاحترق قلبه.. وتلوَّعت نفسُه ندماً وأسفـــاً.. وعاش أياماً عدة في بُؤس وغمٍّ.. وحسرةٍ وهمٍّ.

عندها قرر ماعز أنْ يبوحَ بأمره ذاك إلـــى أحد بني عشيرته.. وهو هزَّال ابن يزيد الأسلمي..

أشار عليه هزَّال أن يعترفَ أمام النبي ﷺ بخطيئته..

مشى المذنب التائب تجرُّه رِجلاه نحوَ الرَّحمة المُهداة..

فوقف في استحياء.. ونطق بجُرمه ومَعصيته.. فأعرض عنه النبي ﷺ.

فكرر ماعز اعترافَه.. وأقــرَّ أربعاً.. وألح على النبي ﷺ أنْ يُقيمَ حدَّ الله..

فلم يكُن بدٌّ من إقامة حدِّ الرجم.. فرجمه الصحابة حتَّى فاضت روحُه إلى بارئها..

ثم صلَّى عليه النبي ﷺ ودعا له واستغفر.. وأثنى على توبته..

فلما بلغ النبي ﷺ أنَّ هزَّالاً الأسلميَّ هو الـــذي أشار عليه بالاعتراف، دعاه ثم قال: «**يا هَزَّالُ! لو سَتَرْتَه بثوبِكَ كان خيراً لكَ**»[1].

• فالستر طاعةٌ وإحسان.. وصف الرَّحمن نفسه به، فهو ستِّير يحبُّ أهل السَّتر..

يقول النبي ﷺ: «**إنَّ الله حَيِيٌّ سِتِّير، يُحب الحياء والستر**»..

ولهذا شرع الإسلام حد القذف؛ حتَّى لا تكون الأعراضُ كلأً مباحاً.

وأمر الشـــارعُ في إثبات حدِّ الزنـــى بأربعة شهـــود؛ حمايةً للأعراض، وصَوْناً للمحارم..

ومن أجل الستر أيضاً نَهى الإسلامُ عن التجسس على الآخرين..

فهذا **صدِّيقُ الأُمَّة** رضي الله عنه يقول: «لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلَّا ثوبي، لأحببتُ أن أستره به»..

جاءتِ امرأةٌ إلى أم المؤمنين عائشـــة رضي الله عنها.. فأخبرتْها أنَّ رجلاً قد أخذ بساقها وهـــي مُحرمة ـ أي: حـــاول كشف عورتهـــا ـ فقاطعتها عائشةُ، وأعرضت بوجهها وقالت: «يا نســـاءَ المؤمنين، إذا أذنبتْ إحداكُنَّ ذنباً، فلا تخبرن به النَّاس، ولتستغفر الله، ولتتب إليه».

• وقد شاعت الرذائل والفضائح عَبْرَ الجـــوال، وصفحات (الإنترنت)، وشاشات الفضائيَّات.. فلا دِين يَمنع.. ولا خُلُق يردع.

وتذكَّر أنَّ الجزاءَ من جنس العمـــل.. فمن فضح إخوانَه من المسلمين.. سلَّط عليه ألسنةً حداداً تهتك ستره، وتفضح عرضه.

---

(١) صحيح الجامع: ٧٩٩٠.



الليلة ٥٠٠

أيامك.. وأنفاسك

• أن تركب القطار وهو يتحرك.. يعني أنك قد فشلت في تنظيم وقتك.. وأنك تركض في الوقت الضائع..

نظّموا أوقاتكم.. استغلّوا كل لحظة في حياتكم..

ولا تسوّفوا فإن للغد أعمالاً تكفيه!..

والرسول ﷺ يقول: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»[1].

• يقول الشيخ **علي الطنطاوي** رحمه الله:

«ينتهي أسبوع ليبدأ أسبوع آخر.. عمل وأولاد.. ومدارس فمذاكرة ثم نوم..

ونختم أسبوعنا بزيارة عائلية لنعود لنفس الروتين..

سلسلة من الأيام.. تترجم أعمارنا وحياتنا..

كلنا ولا شك يشعر بالملل.. ولكن مع ذلك ألا نشعر بالحسرة على أيامنا التي تنقضي؟!..

فنحن نعلم علم اليقين أنها من عمرنا وأنها حتماً لن تعود!.

لذا اجعل لنفسك ورداً من القرآن لا تتركه مهما كان..

---

(١) صحيح الجامع: ١٠٧٧.

واجعل لك تسبيحات دائمات في كل يوم.. سبّح واستغفر.. وهلل وصلّ على النبي ﷺ.. ادع لنفسك ولوالديك وذريتك وأحبابك..

حتى إذا انقضى يومك بروتينه الممل، ثم تذكرت قراءتك وذِكرك ودعواتك.. وأنها أعمال عمّرتَ بها آخرتك.. طابت نفسك.. وأدركتَ أن لك إنجازاً في هذا اليوم.. وسيحسب لك لا عليك بإذن الله.. وتذكّر أن أهل الجنة ما تحسّروا على شيء كحسرتهم على ساعة لم يذكروا الله فيها».

- وكان **الحسن** رضي الله عنه يقول:

«ما مر يوم على ابن آدم إلا قال له:

ابن آدم إني يومٌ جديد، وعلى ما تعمل فيَّ شهيد..

وإذا ذهبتُ عنك لم أرجع إليك..

فقدّم ما شئت تجده بين يديك..

وأخّر ما شئت فلن يعود أبداً إليك».

- ويقول **ابن القيم** رحمه الله:

«إضاعة الوقت أشد من الموت..

لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة..

والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها».

* * *



الليلة ٥٠١

للّه في كل شيء حكمة

• تضيق بنا الدنيا أحياناً.. وتصفو أيامها أحياناً.. فهكذا هي الحياة قد عُجنت بالضيق والكدر..

فإذا قلّ المال في يديك.. وتكاثرت الديون والهموم.. وتراكمت عليك الأحزان.. فقل: يا الله..

وإذا أصابك مصاب.. واشتدت عليك الآلام.. فقل: يا الله...

وإذا فشلتَ في عمل.. وانتابك شعور الهزيمة والانكسار.. فقل: يا الله...

فلن يضيع نداؤك ولن يخيب رجاؤك.. فأنت تلجأ إلى الرب الرزاق الرحيم..

وكيف يخاف أحدنا الفقر.. والغني الكريم موجود!..

وكيف يهاب غير الله.. والقوي الناصر لا تأخذه سِنَة ولا نوم!..

• خلق الله كل ما في الوجود.. وفي كل شيء له حكمة..

ففي الألم حكمة.. وفي المرض حكمة..

وفي العذاب حكمة.. وفي الفشل حكمة..

فلنرض بقضائه.. ولتطمئن القلوب..

﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

• ومن النـــاس مَنْ يظن أن الحرمان في نقص الأمــوال.. وعدم امتلاك سيارات فارهة أو فلل فاخرة..

ولكن المحروم: من حُرم لذة مناجاة ربه ﷻ..

المحروم: من حُرم الصلاة في وقتها ومع الجماعة..

المحروم: من حرم بر الوالدين وطاعتهما ودعائهما له..

المحروم: من حرم لذة البكاء من خشية الله ﷻ..

المحروم: من حرم قراءة القرآن وتدبره..

المحروم: من حرم قيام الليل بالصلاة والبكاء بين يدي ربه ﷻ..

المحروم: من زحزح عن الجنة وألقي في النار..

فاللهم لا تجعلنا من المحرومين..

• وما أجمل قول القائل:

يــا بــنـي آدم تــوقَّــر	وتَـــجـــمَّـــل وتــصــبَّــر
ســــاءك الــــدهــــرُ قــلـيـلاً	وبـــمـــا ســــرّك أكــثــرَ
يــا كــبـيـر الــذنــب عفو	الله مـــن ذنــبــك أكــبــر
أكــبــر الآثـــــام مـــن أصــ	ـــغـــر عــفــو الله أصــغــر
لــيــس لــلإنـــســان إلا	مـــا قـــضـــى الله وقــــدَّر

فلا أحد يسترك مثل الله.. ولا أحد يرحمك مثل الله..

فيا حسرة الفارين من ربهم.. ويا حسرة المعرضين عن مولاهم.

* * *



الليلة ٥٠٢

هل حدث معك شيء من هذا ؟

لا تبتئس ! فقد حدث مثله لسيد الخلق ﷺ..

- **هل فقدتَ أحد والديك؟**:

فلقد توفي والد رسول الله ﷺ قبل أن يولد.. وتوفيت والدته وعمره ست سنين.

- **هل أنت مديون؟**:

رسول الله ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي.

- **لا تجد قوت يومك؟**:

فقد كان يمر على بيت رسول الله ﷺ الشهر والشهرين ولم توقد فيه نار.

- **هل طُلقت إحدى بناتك؟**:

رسول الله ﷺ طلقت ابنتاه، رقية وأم كلثوم اللتان كانتا متزوجتين من ابني عمه أبي لهب، عندما جهر بالدعوة.

- **هل هُجّرت من بلدك؟**:

رسول الله ﷺ هاجر من مكة إلى المدينة اتقاءً لكيد قريش وأذاها.

- **هل تشكو من تجاهل الناس لك؟**:

رسول الله ﷺ قاطعه قومه وحاصروه في شعب بني عامر عدة سنوات..

• **هل تعرضت لمحاولة قتل متعمدة؟:**

الرسول ﷺ تعرض للقتل من اليهود ومن المشركين.

• **هل آذاك أحد جيرانك؟:**

الرسول ﷺ آذاه جاره اليهودي ومع ذلك زاره حين مرض.

• **هل تعرضت لإهانة من أحد؟:**

رسول الله ﷺ شتمه قومه ووضعوا فوق رأسه سلا الجزور.. (أي كرشة الجمل).

• **هل تحمل همّاً وعناء؟:**

الرسول ﷺ حمل هَمَّ الرسالة ثلاثاً وعشرين سنة..

• **هل فقدت شخصاً عزيزاً عليك؟:**

الرسول ﷺ توفي أولاده في حياته، ولم تبقَ إلا السيدة فاطمة التي توفيت بعد رحيله بأشهر.

• **هل جُرحت يوماً ما؟:**

الرسول ﷺ شُج في معركة أحد وكسرت رباعيته..

• **هل اتهمت بشيء لم تفعله؟:**

الرسول ﷺ اتهم بالجنون.

• **هل اتهمت في عرضك؟:**

الرسول ﷺ اتهم في عرضه في زوجته عائشة رضي الله عنها، وبرأها الله من فوق سبع سماوات.

ومع كل هذه المعاناة كان الرسول ﷺ سعيداً متفائلاً.. فهلا اقتديت بهذا النبي العظيم؟!..



عسى أن يكون خيراً

الليلة ٥٠٣

• كان هناك شخص اسمه «**المنطق**».. وآخر اسمه «**القدر**»..

ركبا السيارة فى سفر طويل..

وفي منتصف الطريق نفذ بنزين السيارة..

حـاولا أن يكملا طريقهمـا مشياً على الأقـدام قبل أن يحـل عليهما الظلام..

حاولا أن يجدا مأوى ولكن دون جدوى..

فقرر «المنطق» أن ينام بجانب شجرة..

أما «القدر» فقرر أن ينام في وسط الشارع.

فقال له المنطق: أمجنون أنت؟! سوف تعرّض نفسك للموت.. فقد تأتي سيارة وتدهسك !.

فقال له القدر: لن أنام إلا وسط الشارع !فقد تأتي سيارة فتراني وتنقذنا !.

وفعلاً نام المنطق تحت الشجرة.. والقدر وسط الشارع..

وبعد ساعة جاءت سيارة كبيرة مسرعة..

ولما رأت شخصاً وسط الشارع حاولت التوقف.. لكنها لم تستطع..

فانحرفت باتجاه الشجرة.. ودهست المنطق.. وعاش القدر..

• فإنْ تأخر سفرك.. فعسى أن يكون تأخرك خيراً..

وإنْ حُرمت من صفقة فعسى أن تكون بركة.

وإن صددت عن وظيفة فعسى أن تكون لك مصلحة..

وإن حرمت من طفل فعسى أن يكون خيراً..

فلا يضيقن صدرك لأي شيء يحدث لك.. لأنه بإذن الله لك خير.

لأن «الله» يعلم وأنت لا تعلم..

• روى الشيخ **علي الطنطاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن صاحب لـه: أن رجلاً قدم إلى المطار، وكان حريصاً على رحلته، وهو مجهـد بعض الشيء، فأخذته نومةٌ ترتب عليها أن أقلعـت الطائرة، وفيها ركاب كثيرون يزيدون على ثلاثمئـة راكب، فلما أفـاق إذا بالطائـرة قد أقلعت قبل قليـل، وفاتته الرحلة، فضـاق صدره، وندم ندماً شديداً، ولـم تمض دقائق على هذه الحال التي هو عليها حتـى أعلن عن سقوط الطائرة، واحتراق من فيها بالكامل !.

ألم يكن فوات الرحلة خيراً لهذا الرجل؟!.

ولكن أين المعتبرون والمتعظون؟!..

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

* * *



الليلة ٥٠٤

بين العلم والمال..

• العلم ميراث الأنبياء.. والمال ميراث الملوك والأغنياء..

ـ والعلم يحرس صاحبه.. وصاحب المال يحرس ماله..

ـ والعلم يزداد بالبذل والعطاء.. أما المال فتذهبه النفقات ـ إلا أن يكون صدقة.

ـ والعلم يرافق صاحبه حتى في قبره.. لكن المال يفارقه بعد موته إلا ما كان من صدقة جارية..

ـ والمال يحصل للبر والفاجر والمسلم والكافر.. أما العلم النافع فلا يحصل إلا للمؤمن.

والعالم يحتاج إليه الملوك ومن دونهم.. وصاحب المال يحتاج إليه أهل الفاقة والحاجة..

ـ وقد يصبح صاحب المال فقيراً بين عشية أو ضحاها.. أما العلم فلا يُخشى عليه الفناء..

ـ والمال يدعو الإنسان للدنيا.. والعلم يدعوه لعبادة ربه.

ـ وقد يكون المال سبباً في هلاك صاحبه.. أما العلم ففيه حياةٌ لصاحبه حتى بعد موته..

ـ فسعادة العلم دائمة.. وسعادة المال زائلة.

ـ والعالم قدْره في ذاته.. أما الغني فقيمته في ماله..

• يقول **الإمام الحسن** رضي الله عنه: «لولا العلم لصار الناس مثل البهائم».

• ويقول **معاذ بن جبل** رضي الله عنه:

«تعلموا العلم فإن تعلُّمه لله ـ أي: مخلصاً به ـ..

وطلبه عبادة.. ومدارسته تسبيح..

والبحث عنه جهاد.. وتعليمه صدقة.. وبذله لأهله قربة..

وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة..

والدليل على الدين..

والنصير في السرَّاء والضراء..

هو منار سبيل الجنة.. يجعلك مع الملائكة والمُقَرَّبين..

يسبِّح لك كل رَطْبٍ ويابس.. وتستغفر لك حتى الحيتان في البحر..

به يطاع الله عز وجل.. إذ كيف تطيعه إن لم تعلم ما أمره وما نهيه؟!..

وبه يُعْبَد الله عز وجل، وبه يوحَّد الله عز وجل، وبه يُمَجَّد الله عز وجل.

وبه يتورَّع الإنسان.. وبه توصل الأرحام..

وبه يُعرف الحلال والحرام.. هو إمام العمل.. يُلْهَمُهُ السُّعداء ويحرم منه الأشقياء»..

• ويقول **يحيى بن معاذ**:

«العلماء أرحم بأمة محمدٍ من آبائهم وأمهاتهم!..

قالوا: كيف ذلك؟.

قال: الآباء والأمهات يحفظون أولادهم من نار الدنيا..

أما العلماء فيحفظون أتباعهم من نار الآخرة..

وفضائل الأبوة تنتهي في الدنيا..

أما فضائل طلب العلم فتستمر إلى أبد الآبدين».



الليلة ٥٠٥

متى تكون المرأة زوجاً في القرآن؟

عندما تستقرئ آيات القرآن الكريم التي جاء فيها اللفظان.. تجد أن لفظ «زوج» يُطلق على المرأة إذا كـان التوافق والانسجام في الحياة الزوجية تامّاً بينها وبين زوجها.. من دون اختلاف ديني أو نفسي أو جنسي..

فإن لم يكن التوافق والانسجـام كاملاً.. أطلق القرآن عليها لفظ «امرأة» وليست زوجاً..

• فالله تعالـى يقـول: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

ويقـول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وبهذا الاعتبـار جعل القرآن حواء زوجاً لآدم، فـي قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

وجعل نسـاء النبـي ﷺ «أزواجاً» لـه، في قوله تعالـى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

• فإذا لم يتحقّق الانسجام والتوافق بيـن الزوجين لمانع من الموانع.. فالقرآن يسمّي الأنثى «امرأة» وليس «زوجاً».

فيقول القرآن: امرأة نـوح، وامرأة لوط، ولم يقـل: زوج نوح، أو زوج لوط.. ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم: ١٠].

إنهما كافرتان.. مع أن كــل واحدة منهما امرأة نبــي.. ولكن كفرها لم يحقّق الانسجـــام والتوافق بينها وبين بعلها النبــي.. ولهذا فهي ليست «زوجاً» له، وإنما هي «امرأة» تحته.

وبهذا الاعتبار قال القرآن: امرأة فرعون، في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١].

لأن بينها وبين فرعــون مانع من الزوجيـــة.. فهي مؤمنـــة وهو كافر.. ولذلك لم يتحقّق الانسجام بينهما، فهي «امرأته» وليست «زوجه»!.

• ومن روائع التعبير القرآني فـــي التفريق بين «زوج» و«امرأة» ما جرى في إخبار القرآن عن دعاء زكريا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأن يرزقه ولداً يرثه.

فعندما كانت امرأته عاقراً أطلق عليها القرآن كلمة «امرأة»..

قال تعالى على لسان زكريا: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]. وعندما أخبره الله تعالى أنه استجاب دعاءه، وأنه سيرزقه بغلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران : ٤٠].

وحكمة إطلاق كلمة «امرأة» على زوج زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الزوجية بينهما لم تتحقّق في أتمّ صورها، رغم أنه نبي، ورغم أن امرأته كانت مؤمنة.

ولكن عدم التوافق والانسجام التامّ بينهما كان في عدم إنجاب امرأته..

وبعدمـــا زال المانع من الحمـــل.. وأصلحهـــا الله تعالى، وولدت لزكريا ابنه يحيـــى، فإن القرآن لم يعد يطلق عليهـــا «امرأة»، وإنما أطلق عليها كلمة «زوج».. قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٩].



وقفة مع الحكماء

الليلة ٥٠٦

• قال **أحد الحكماء** لابنه:

يا بني ذقتُ الطيبات.. فلم أذق أطيب من العافية..

وذقتُ المرارات.. فلم أجد أمرّ من الحاجة إلى الناس..

ونقلتُ الحديد.. فلم أجد أثقل من الدَّيْن..

وتوحشتُ في البرايا والجبال.. فلم أرَ أوحش من قرين السوء..

ورأيتُ الأغنياء.. فلم أجد أغنى من القنوع..

وأكلتُ الصبر وذقتُ الأذى.. فلم أرَ شيئاً أقسى من الفقر..

وعاداني الأعداء.. فلم أجد أعدى من نفسي إذا جهلتْ..

ولبست الثياب الفاخرة.. فلم ألبس شيئاً أجمل من التقوى..

• يُروى أن **سليمان** عليه السلام خرج ذات يوم مع جماعة من قومه.. فسمع أربعة من العصافير يتكلمون بحكمة !..

فقال سليمان عليه السلام لمن معه: أتعلمون ما تقول هذه العصافير؟.

فقالوا: يا نبي الله ما لنا بذلك من علم..

فقال سليمان:

«يقول العصفور الأول: يا ليت الخلق لم يُخلقوا..

فردّ عليه العصفور الثاني: ويا ليتهم لمّا خُلقوا.. علموا لماذا خلقوا..

فأكمل العصفور الثالث: ويا ليتهم لمّا علموا لماذا خُلقوا.. عملوا بما علموا..

فأكمل الرابع: ويا ليتهم لمّا عملوا بما علموا.. أخلصوا فيما عملوا».

فما ارتفع شيء إلى السماء أعظم من الإخلاص..

ولا نزلَ شيءٌ إلى الأرض أعظم من التوفيق..

وبقدر الإخلاص يكون التوفيق..

• وقال **حكيم**:

كلما سرت مع رجلين وجدت لنفسي أستاذين:

فمن له فضائل فهو قدوتي.. ومن له رذائل فهو عبرتي..

• وسئل **الإمامُ الشافعي** مرة عن ثمانية أشياء !.

فقالوا: ما رأيك يا إمام في واجب وأوجب؟.

وعجيب وأعجب؟.

وصعب وأصعب؟.

وقريب وأقرب؟.

فقال:

من واجب الناس أن يتوبوا.. ولكنّ ترْك الذنوب أوجب !..

والدهر في صرْفه عجيبٌ.. وغفْلةُ الناس عنه أعجب !..

والصبر في النائبات صعبٌ.. ولكن فوات الثواب أصعب !..

وكل ما ترتجي قريبٌ.. والموت من دون ذلك أقرب !..

* * *



الليلة ٥٠٧

لا تقل لطفلك

• لا تقل لطفلك: لا ترسم على الحائط..

بل قل: ارسم على الورق، وعندما تنتهي سأعلق الرسمة على الحائط أو الثلاجة أو السبورة..

ـ لا تقل لطفلك: قم صلّ وإلا ستذهب إلى النار!..

بل قل: تعال وصلّ معي لنكون معاً في الجنة..

ـ لا تقل لطفلك: قم رتب غرفتك ولا يمكنني النظر إليها من الفوضى..

بل قل: هل تحتاج للمساعدة في ترتيب غرفتك لأنك دائماً تحب النظافة والترتيب.

ـ لا تقل لطفلك: قم ادرس واترك اللعب فالدراسة أهم!..

بل قل: إذا أنهيت دروسك باكراً سأشاركك في لعبة أو أي نشاط تحبه.

ـ لا تقل لطفلك: قم نظف أسنانك من دون أن أذكّرك كل يوم!..

بل قل: أنا مسرور منك لأنك دائماً تنظف أسنانك من دون أن أطلب منك..

ـ لا تقل لطفلك: لا تنم على الجنب الأيسر..

بل قل: علّمنا رسول الله ﷺ أن ننام على الجنب الأيمن.

ـ لا تقل لطفلك: لا تأكل شوكولاته كي لا تسوس أسنانك..

بل قل: أنا سمحت لك تأكل شوكولاته مرة في اليوم لأنك مُجِدٌّ ودائماً تنظف أسنانك..

فكل لفظ وأمر يصدر منك يؤثر في طفلك تأثيراً كبيراً..

واعلم أن طفلك هو انعكاس لك ولصورتك..

• علِّموا أولادكم ثقافة ثلاث كلمات:

ـ (آسف)..

ـ (لو سمحت)..

ـ (شكـراً)..

فقــل لابنك: ما أروعك.. عندمــا تخطئ ولو كان خطــؤك صغيراً جدّاً فتقول: **أنا آسف!**..

وما أجملك.. عندما تطلب شيئاً فتقول: **لو سمحت!**..

وما أهذبك.. عندما تُقَدّم لك خدمة أو أي شيء فتقول: **شكراً!**..

• لاتقل لطفلك: أنت رجل.. لا تبكي..

فكثيراً ما يردد ذلك الآباء والأمهات على مسامع أبنائهم الذكور.. دون معرفــة لآثارها النفسيــة.. فالتربيــة الذكورية تمنع الذكــور من البكاء وتصرّح به للإناث فقط.. على اعتبار أن البكاء ضعف لا يليق بالرجال!.

والتعبيــر عن الانفعالات بالدمــوع يتيح للإنسان فرصــة للتنفيس عن مشاعره المكبوتة..

اسمحوا لأبنائكم ذكوراً أم إناثــاً بالتعبير بالبكاء وقتما يتطلب الموقف ذلك.. للتنفيس عن تلك المشاعر.. ولا تخصّوا الإناث بإذراف الدموع حتى لا يكن مستضعفاتٍ.. يحاولن استعطاف الآخرين بالبكاء..

* * *



الأثر الطَّيِّب



الليلة ٥٠٨

• أوصى رجلٌ بنيه فقال:

«يا بَنِيَّ، عاشروا الناسَ معاشرةً..

إن غِبتم عنهم حنّوا إليكم..

وإن متُّم بكوا عليكم».

فكم يموت أناس.. فلا يُؤسَى على فراقهم ولا يُحزن على فقدهم..

فما كانت لهم آثارٌ صالحة ولا أعمالٌ نافعة..

ولا إحسانٌ إلى خَلق ولا بَذل لمعروف..

يقول الله تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [الدخان: ٢٩].

فجميل أن تترك أثراً.. بطريقه كلامك..

بابتسامتك.. بنقدك الهادف..

أو نصيحتك الصادقة..

دع لك أثراً جيداً في مجلس حضرته..

دع ذكرك يعطّر المكان ويترك طيب الخبر..

فأثرك ليس حصراً على من تعرفهم..

بل ربما وصل الأمر إلى أناس لا علاقة لك بهم..

فسنرحل ويبقى الأثر..

• كنت أستمــع إلى الإذاعة فإذا بالمذيع يقول: الآن نستمع إلى الفنان الكبير الراحل «في أغنيته المشهورة»..

ثم حركت إشارة المذياع قليلاً فإذا بمذيع إذاعة القرآن يقول: نستمع الآن إلى تلاوة عطرة بصوت الشيخ «...» رحمه الله !..

عجباً ! كلاهما قد مات و كلاهما ترك أثراً.. فاختر لنفسك نوع الأثر !..

الأول: موسيقى وطرب وغناء.. ترى كيف حاله الآن؟.

أيود أن يعود للدنيا ليستمتع بأثره.. أم يتمنى لو يعود ليمحو ذلك الأثر..

وأما الثاني: فهــو ما زال يتلو آيــات القرآن صباح مســاء على ملايين البشر !..

وسمعتُ عــن فنان مسنّ أوصى بأن يدفن معــه العود الذي كان يعزف عليه..

تُرى هل سينفعه هذا العود عندما يلقى ربه؟.

❊ ❊ ❊



الليلة ٥٠٩

بينك وبين ربِّك..

• بينَنا وبينَ السّماء: ما لا يُعدّ..

وبينَنا وبينَ الله: وضوءٌ وسَجدة..

فلو انكسرتَ.. اسجد بين يديه وقل: يا جبار اجبرني..

ولو ظُلمتَ.. اسجد بين يديه وقل: يا منتقم انتقم لي..

ولو احترتَ.. اسجد بين يديه وقل: يا بصير أرشدني..

ولو احتجتَ.. اسجد بين يديه وقل: يا معطي بلا حدود.. أعطني..

وإذا سجدتَ لله.. فَأخبره بِأسرارك..

وناجه بدمع عينيك.. فهو لقلبك مالك..

ولا ترفع رأسك من سجودك..

وفي قلبك شيء لم تقله لربك..

وبعض الناس يُشغلون بمتاع الدنيا عن الآخرة..

وآخرون يعيشون قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الإنعام: ١٦٢].

فقل في نفسك دائماً:

اللهم أشغلني بما خلقْتَني له..

ولا تُشغلني بما خلقْتَه لي..

• سئل **الإمام الشافعي**: ما أعظم عمل يتقرب به العبد إلى الله؟.

فبكى ثم قال: «أن ينظــر الله إلى قلبك.. فيرى أنــك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو !».

• يقول الشيخ **محمد الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إذا رأيت الله يحبس عنك الدنيا.. ويكثر عليك الشدائد والبلوى..

فاعلم أنك عزيز عنده..

وأنه يراك.. ويسلك بك طريق أوليائه وأصفيائه..».

أما تسمع قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

ونحن في الدنيا في امتحان..

في أي لحظة قد يتم سحب ورقتك..

وينتهي الوقت الذي خصصه الله لك..

فضلاً ركّز في ورقتك..

واترك ورقة غيرك !.

* * *



وفي السماء رزقكم

الليلة ٥١٠

• يُروى أن **سليمان الحكيم** سأل نملةً: كم تأكلين في السَّنة؟.

فقالت: ثلاث حبات..

فوضعها في علبة.. ووضع معها ثلاث حبات..

ومرت السنة.. ونظر سيدنا سليمان فوجدها قد أكلت حبة ونصف!..

فقال لها: لِمَ لم تأكلي الحبات الثلاث؟.

قالت: عندما كنتُ حرّة طليقة كنتُ أعلم أن الله تعالى لن ينساني..

أما بعد أن وضعْتني في العلبة فخشيتُ أن تنساني!..

فوفّرتُ من أكلي للعام القادم!.

فاطمئن يا أخي على رزقك، وأن ما قُدر لك يكون..

يقول رسول الله ﷺ: «**هذا رسولُ ربِّ العالمِينَ جِبريلُ، نَفَثَ في رُوعِي: إنَّه لا تَموتُ نفسٌ حتى تسْتكمِلَ رِزْقَهَا وإنْ أبطأَ عليهَا، فاتَّقُوا اللهَ؛ وأجْمِلُوا في الطَّلَبِ، ولا يحْمِلَنَّكم اسْتِبْطاءُ الرِّزقِ أن تَأخذُوهُ بِمعصيةِ اللهِ، فإنَّ اللهَ لا يُنالُ ما عِندَه إلا بِطاعتِه**»[١].

• كان هناك رجل يعمل مديراً في فندق في مصر.. ولكنه لم يكن راضياً عن عمله لأن الفندق كان يبيع الخمور والكحول..

(١) صحيح الترغيب: ١٧٠٢.

ذهب إلى الشيخ **الشعراوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستشيره في أمره، ويقول له: إنه ليس لديه أي مورد دخل آخر غير هذا العمل.. ويخشى على حاله المادي إن هو ترك العمل..

نصحه الشيخ الشعراوي قائلاً: اترك العمل وسوف يعوضك الله عنه.. فهذه سُنَّة من سنن الكون وضعها الله في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۞ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ـ٣]...

خرج الرجل من عند الشيخ وهو عازم على كتابة استقالته..

جلس على المكتب وأحضر الورقة والقلم وبدأ يكتب الاستقالة...

وما هي إلا دقائق حتى رنّ جرس الهاتف.. فإذا به المدير الإقليمي للفندق يبلغه بأنه يريد ترقيته ليستلم إدارة فرع الفندق في المدينة المنورة!..

• كان هناك رجل ياباني يقوم بتجديد بيته التقليدي المبني من الخشب، حيث يكون بين جدران البيت فراغ.. وعندما نزع أحد الجدران وجد سحلية عالقة بالخشب من إحدى أرجلها.

انتابته رعشة الشفقة عليها.. وعجب أكثر عندما رأى المسمار المغروز في رجلها يعود إلى عشر سنوات خلت عندما أنشأ بيته لأول مرة.

دار في عقله سؤال: ما الذي حدث؟ كيف تعيش السحلية عشر سنوات في فجوة ما بين الجدران، يلفها الظلام والرطوبة ودون حراك؟!..

توقف عن العمل وأخذ يراقب السحلية كيف تأكل؟.

وفجأة ظهرت سحلية أخرى تحمل الطعام في فمها..

يا إلٰهي.. سحلية رجلها مسمّرة بالجدار.. يسوق الله إليها سحلية أخرى تطعمها مدة عشر سنوات!..

ابتسم... فرزقك مقسوم.. وقدرك محسوم..



الوصول إلى الطريق

الليلة ٥١١

• يقول الإمام **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«من تفكّر في عواقب الدنيا أخذ الحذر..

ومن أيقن بطول الطريق تأهّب للسفر..

ما أعجبَ حال من يوقن بأمرٍ ثم ينساه..

ويتحقق ضرر شيء ثم يغشاه..

وتخشى الناس والله أحقّ أن تخشاه».

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

• أوحى الله تعالى إلى **داود** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا داود.. ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجاً..

فإن أردت أن لا يبقى بين يديك باب مغلق.. فاتقِ الله..

فإنها مفتاح كل باب..

فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ـ٣].

• وهناك ثلاثة أعمال لا تدخل الموازين يوم القيامة لعظمها:

أولها: الصبر: فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

ولم يحدد الأجر!..

وثانيها: العفو عن الناس: لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

كذلك لم يحدد الأجر!..

وثالثها: الصيام: فالله تعالى يقول في الحديث القدسي: «**كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**».

ولم يحدد الأجر أيضاً!..

ويوم البعث ينادي منادٍ: «أين الذين أجرهم على الله؟».

جعلنا الله جميعاً ممن ينادى عليهم بهذا النداء.

• وضع أحدهم الجوال على الشاحن.. عاد فوجد أن بطاريته نقصت بدل أن تزيد !.

يا الله كل هذا الوقت لم يكن بمصدر الطاقة متصلاً..

ضاع الوقت وهو يحسبه يشحن..

شعور الخيبة هذا قد يحصل مع أي منا..

نكون في عبادة نظن أنّا نشحن بها أرواحنا المثقلة..

ثم نعود ونجد أنفسنا أسوأ مما كنّا !..

فقط لأنَّا أغفلنا اتصال قلوبنا بخالقنا..

ففي شتى عباداتك.. تأكَّد أن قلبك بالله متصل.. وله وحده متجه..

راقبه أثناء تحركاتك.. حتى لاتمضي ويتلاشى إيمانك.. وأنت عنه غافل..

* * *



الليلة ٥١٢

اعبدوه ليرضى

• من الناس من يزداد عبادة لله.. طمعاً في العطاء..

ومنهم من يزداد تقرُّباً إلى الله.. طلباً لرضاه..

يقول الشيخ **الشعراوي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لا تعبدوه ليُعطي..

اعبدوه ليرضى!..

فإن رضي أدهشكم بعطائه»!.

فاللهم ارضَ عنا وعن عبادك المظلومين في كل مكان.. وأدهشنا بعطائك..

وكَثيراً مَا نبحَث عَن موقعنا بينَ الخلْق...

ونغفَل عَن موقعنا عند الخالق..

مع أنّ من بحثَ عَن رضا الخالق..

أتاه رضا الخلق رغماً عنهم..

فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول:

«من أسخط اللهَ في رضا النَّــاسِ.. سخِط اللهُ عليــه.. وأسخَط عليه من أرضاه في سخطِه..

ومن أرضَــى اللهَ في سخَطِ النَّــاسِ.. رضِي اللهُ عنــه.. وأرضَى عنه من أسخطه في رضاه»[١]..

---

(١) السلسلة الصحيحة: ٣٩٥/٥.

• خير القلوب.. قلب ثبَّتَهُ الله على الإيمان..

وخير الأيام.. يوم يمر بك بلا ذنب.

تذكَّر أن هناك كتاباً تقرؤه لأول مرة..

تُفاجَأ بِما فيه.. رُغْمَ أنّك كاتبه.. ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

فأحسنْ تأليفه على الوجه الذي يرضيك حين تراه !..

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ـ١٤].

• لا تقل: من أين أبدأ؟.

طاعةُ الله البداية..

لا تقل: أين طريقي؟.

شارعُ الله الهداية..

لاتقل: أين نعيمي؟.

جنة الله كفاية..

لا تقل: غداً سأبدأ !.

ربما تأتي النهاية..

* * *



الليلة ٥١٣

أمي

• عجبتُ لمن ينتظر «عيد الأم» كي يخبر أمه بحبه لها !..

وعجبت أكثر لمن لا يُمطر يدي أمه بالقبلات كل صباح!..

وتحية في كل يوم.. لكل الأمهات..

• يقول أحدهم:

أمي هي المعادلة الأصعب !..

عذراً نيوتن.. فأمي هي سر الجاذبية..

عذراً أديسون.. فأمي هي أول مصباح أنار حياتي..

عذراً أفلاطون.. فأمي هي البقعة الفاضلة في قَلبي..

عذراً روما.. فكل الطرق تؤدي إلى حب أمي..

عذراً جولييت.. فأمي هي حبيبتي..

عذراً للجميع.. فمهما أحببتكم، فلم ولن أحب أحداً مثلما أحببتُ أمي..

فهي امرأة لن تتكرر في هذه الحياة..

أنفاسها.. «رئة ثالثة»..

دعواتها.. «نجاة»..

أقدامها.. «جنة»..

قسوتها.. «حياة»..

فمن أكون بدونها ؟!..

• وحينما تنحني لتقبّل يد أمك..

وتستجدي نظرات الرضا من عينيها..

حينها فقط.. تشعر باكتمال رجولتك..

ولكن مشكلة كثير من الأبناء والبنات أنه إما نصف بار أو نصف عاق!..

لا يرفض طلبات الأم والأب.. ولكن يقدم لهم (بعض) الذي يريدون!..

لا يقول لهما: (أف).. ولكن قد يقول لهما: (طيب)..(بعدين)!..

عندما يطلبون منا شيئاً نسوّف.. ولكن إذا طلبوا المستشفى أوصلناهم!..

لا نسخر من آرائهم.. ولكن نقدم رأينا على رأيهم!..

وهكذا.. أشعرنا أنفسنا أننا بررة بهم.. وفي الوقت نفسه أبعدنا الهاجس الذي يطاردنا بأننا عاقُّون بهم.

• وهذا تلميذ قال له أستاذه: لن أعطيك الدرجة الكاملة حتى تحضر لي تراب الجنة!..

قال: يا أستاذ وتعطيني الدرجات الكاملة؟..

قال: نعم.

عاد التلميذ إلى البيت، وفي اليوم التالي أحضر التلميذ حفنة من التراب..

سأله المعلم: من أين لك هذا التراب؟ وكيف أحضرته؟..

قال: جعلتُ أمي تمشي عليه ثم جمعْته وأحضرته..

ألم تخبرنا أن «الجنة تحت أقدام الأمهات»؟!..

بكى المعلم وأعطاه الدرجة الكاملة..

* * *



الليلة ٥١٤

بين مِحَن الأمس.. ومِحَن اليوم

• ما ذُكِرَتِ «المحنة» في تاريخ الإسلام.. إلا ذُكر **أحمد بن حنبل**..

محنة استمرت أربع عشرة سنة! قال فيها: «لا» وأصرّ على ذلك..

لم تُرهبْه السياط في الحق ولا في ذات الله.. واحتمل صابراً راضياً.

• سئل **الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيهما أفضل للرجل: أن يُمكَّن، أو يُبتلى؟.

فقال: «لا يُمكَّن حتى يُبتلى».

اللهم إنك قد ابتليت عبادك فصبروا.. فاجعلهم أئمة كما وعدتهم..

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾

[السجدة: ٢٤].

• فإلى الذين تأخرتْ أمانيهم.. وخذلهم من خذلهم..

لا تنسوا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وتذكروا ذلك الأمر الإلٰهي: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

تأكدوا أن الله لا ينسى.. وأنه لا يضيع أجر المحسنين..

وقال رسول الله ﷺ: «**إن عظم الجــزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»[1].

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْـدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْباً اشْـتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[١].

يقول ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالَى يقول: إذا ابتلَيتُ عبداً من عبادي مؤمناً، فحمدَني وصبَر على ما ابتليتُه به، فإنه يقـوم من مضجَعِه ذلك كيوم ولدَتْه أمُّه من الخطايا، ويقولُ الرَّبُّ للحفظَةِ: إني أنا قيَّدتُ عبدي هذا وابتليتُه، فأَجروا [له] من الأجرِ ما كنتُم تُجرون له قبلَ ذلك وهو صحيحٌ»[٢].

• إن الله لا يبتليك بشي إلا وبه خير لك.. حتـى وإن ظننت العكس.. فأرح قلبك..

وإذا طال عليك وقت البلاء مع استمرارك بالدعاء..

فاعلم أن الله لا يريد إجابة دعوتك فحسب..

بل يريد أن يعطيك فوقها عطايا لم تطلبها أنت..

وإذا استوى الناس في العافية لم يتمايزوا!..

فإذا نزل بهم البلاء أدركتَ تباينهم:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

* * *

(١) صحيح ابن ماجه: ٣٢٦٥.

(٢) السلسلة الصحيحة: ٢٠٠٩.



الليلة ٥١٥

بين الحقِّ والباطل

• قَطفوا الزهرةَ.. قالت: مِن ورائي بُرعُمٌ سَوفَ يَثور.

قطعوا البرعمَ.. قالت: غَيرُهُ يَنبِضُ في رَحمِ الجُذور.

قلعوا الجَذرَ مِن التُّربة..

قالت: إنني مِن أجلِ هذا اليوم.. خبأتُ البذور..

كامن ثأري بأعماق الثرى..

وغداً سوف يرى كلُّ الورى..

كيف تأتي صرخة الميلاد.. من صمت القبور.

تبرد الشمس.. ولا تبرد ثارات الزهور(١)..

• والحق والباطل بينهما صراع منذ أن خلق الله الإنسان..

قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧].

والصراع بين الحق والباطل له ميدانان:

ـ **ميدان النفس البشرية..** فالإنسان قابل للهدى والضلال كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ـ٨].

وقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣].

(١) أحمد مطر.

ـ **وميدان آخر على مستوى المجتمعات والملل..**

فعليك بطريق الحق ولا تستوحش بقلة السالكين..

وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين..

وأحسن ما قيل في إدراك العامة للصواب هو قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

• والكبار لا يبنون سلوكهم على توجيهات الناس وآرائهم.. فيتلونون بألوانهم.. ويتشكَّلون حسب رغباتهم..

بل إنهم لا يعبؤون كثيراً بنقدهم..

فما كان في كلامهم من خير أخذوه..

وما كان فيه من تثبيط للهمم تركوه..

متمثِّلين في ذلك قول الشاعر في تجاهل السفهاء:

لو أنّ كلَّ كلبٍ عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخرُ مثقالاً بدينارِ

وأهل الباطل يعملون على زخرفة باطلهم بعبارات رنانة.. وكلمات معسولة.. ومن الناس من ينخدع بهذه الأشياء.. وهم من قال الله فيهم: ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٣].

فلا بد لحمَلَة رسالة الإسلام من أن يستفيدوا من أجهزة الإعلام مقروءة كانت أو مسموعة أو مرئية.. في الدعوة إلى الحق ونشره..

* * *



فَكِّرْ قبل أن تتكلَّم

الليلة ٥١٦

• يقول **الإمام الشافعي**:

«إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه..

فإن ظهرت المصلحة تكلم..

وإن شك لم يتكلم حتى تظهر».

وقال مرة لصاحبه ربيع: «يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك..

إذا تكلمت بالكلمة ملكتْك ولم تملكها»..

• وقال **لقمان** لولده: «يا بني إذا افتخر النـــاس بِحُسْن كلامهم، فافتخر أنت بِحُسْن صمتك».

وقيل أيضاً: الكلمة أسيرة في وثاق الرجال، فإذا تكلَّم بها صار في وثاقها..

وفي حكمة قالها **لقمان**:

«إذا أراد الله بقوم سوءاً..

سلَّط الله عليهم الجدل.. وقلة العمل..

يا بني ! قد ندمتُ على الكلام..

ولم أندم على السكوت !».

• ويذكر المؤرِّخون أن الإمام **أبا حنيفة النعمان** قد وجه إليه **أبو جعفر المنصور** الخليفـــة العباسي أن يتولـــى القضاء، فرفـض واعتذر، فأمر بحبسه، ثم استدعاه ذات يوم وسأله: أترغب عما نحن فيه؟.

فأجابه: أصلح الله الأمير، إني لا أصلح للقضاء.

فقال له: كذبت.

فأجابه الشيخ الإمام بهدوء الحكماء: قد حكمت عليَّ بذلك بأني لا أصلح للقضاء؛ فقد نسبتني للكذب؛ فإن كنت كاذباً فلست أصلح للقضاء، وإن كنت صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين بأني لا أصلح له من قبل.

فلم يجد المنصور جواباً، وأمر بأن يعود إلى سجنه، إلى أن تم الإفراج عنه بعد حين.

فلقد أدرك الإمام من اللحظة الأولى مع من يتعامل.. وبحجته القوية وتوفيق الله له في اختيار كلماته نجا من حاكم طاغية.

- وكم هو جميل نبي الله **موسى** عندما طلب من الله أن يجعل له أخاه **هارون** عوناً له لأنه أفصح منه لساناً.

- فالإنسان الذي يعلم تأثير الكلمة على الناس تجده ناجحاً في حياته..

فهو يفكر قبل أن يتكلَّم..

وإذا تفوَّه بكلمات تجد كلماته كالسحر تسرُّ من حوله..

لأنه يدرك جيداً قيمة الإنسان الذي أمامه..

وتذكَّر في كل شيء قول الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٨].

* * *



الليلة ٥١٧

أعظم محاكمة في التاريخ

• عندما فُتحت **سمرقند** على يد **قتيبة بن مسلم** في عصر **عمر بن العزيز**.. استدعى القاضي المسلمُ قتيبةَ وأمره أن يجلس إلى جوار كبير الكهنة السمرقنديّ..

بدأت المحاكمة.. وقال القاضي: ما دعواك يا سمرقندي؟.

قال: اجتاحنا «قتيبة» بجيشه.. ولم يدْعُنا إلى الإسلام أو يمهلنا حتى ننظر في أمرنا..

التفت القاضي إلى قتيبة وقال: وما تقول في هذا يا قتيبة (هكذا بلا لقب)؟.

قال قتيبة: الحرب خدعة.. وهذا بلد عظيم.. وكل البلدان من حوله كانوا يقاومون ولم يدخلوا الإسلام ولم يقبلوا بالجزية..

قال القاضي: يا قتيبة هل دعوْتَهم للإسلام أو الجزية أو الحرب؟.

قال قتيبة: لا إنما باغَتْناهم كما ذكرتُ لك..

قال القاضي: أراك قد أقررت.. وإذا أقر المدَّعى عليه انتهت المحاكمة..

يا قتيبة ! ما نصَرَ الله هذه الأمة إلا بالدين.. واجتناب الغدر وإقامة العدل..

ثم قال: قضينا بإخراج جميع المسلمين من أرض سمرقند من حكام وجيوش ورجال وأطفال ونساء.. وأن تُترك الدكاكين والدور.. وأنْ لا يبقى في سمرقند أحد، على أنْ ينذرهم المسلمون بعد ذلك !..

لم يصدّق الكهنة ما شاهدوه وسمعوه!.. فلا شهود ولا أدلة..

ولم تدم المحاكمة إلا دقائق معدودات..

ولم يشعروا إلا والقاضي والغلام وقتيبة ينصرفون أمامهم..

وبعد ساعات قليلة سمع أهل سمرقند بجلبــة تعلو.. وأصوات ترتفع.. وغبار يعمّ الجنبات.. ورايات تلوح خلال الغبار.. فسألوا..

فقيل لهم: إنَّ الحكم قد نُفِّذَ وإنَّ الجيش قد انسحب.. في مشهدٍ تقشعر منه جلود الذين شاهدوه أو سمعوا به..

وما إنْ غرُبــت شمس ذلك اليوم إلا والكــلاب تتجول بطرق سمرقند الخالية..

وصوت بكاءٍ يُسمَع في كل بيتٍ على خروج تلك الأمة العادلة الرحيمة من بلدهم..

ولم يتمالك الكهنة وأهل سمرقند أنفسهم لساعات أكثر.. حتى خرجوا أفواجاً وكبيــر الكهنة أمامهم.. باتجاه معســكــر المسلمين وهم يرددون شهادة: لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله!..

***



الليلة ٥١٨

بذورٌ ما خابَ ساقيها

• قد يكون فيما بينك وبين ربك **بذرة من الود..**

فتجد نفسك مشتاقاً لأن تناجي ربك وتدعوه.. وتطلب منه وترجوه..

تسأله في وقت رخاء لا وقت شدة.

• وقد يكون فيما بينك وبين ربك **بذرة من الحياء..**

فربما تجد نفسك في مكان لا يحب ربك أن يراك فيه..

أو تَهُمّ تنطق بكلام لا يرضاه ربك..

فتستحيي من نظر الله تعالى إليك.. وسماعه لكلامك..

فتكفّ عما أنت فاعل !.

• وقد يكون فيما بينك وبين ربك **بذرة من توقير عظمته..**

فيؤثر فيك منظر الجموع الغفيرة في الحرم المكي..

أو تشاهد آلاف المخلوقات تحت الماء تعرض أمامك على التلفاز..

تتأمل فيها جمال صنع ربها..

وتتساءل في نفسك: من يدبّر شؤونها؟ ومن يعلم دقائق أمورها؟..

فتستشعر حينئذ عظمة ربك في قلبك.

• وقد يكون فيما بينك وبين ربك **بذرة من الخوف..**

فتهمّ بفعل معصية.. فيعتريك الخوف من ربك ومن وعده ووعيده..

فتعود عمّا هممت به.

• وقد يكون فيما بينك وبين ربك **بذرة من الاصطفاء..**

فتجد نفسك وأنت ذاهبٌ لفراشك للنوم.. في حنين وشوق لربك..

فتقوم لتصلي ركعتين بخشوعٍ فتسبح في ملكوت الله.

• أجل.. قد يكون فيما بينك وبين ربك **بضع بذور طيبة..**

فلا تُهمل تلك البذور!..

بذور تستحق منك أن ترويها بدموع الخشية من الله.. والتقرب إليه..

ففي قلبِ كل إنسان نبتة صَالحَة..

إن سقاها بالخير تفرّعت وصنعَت له بستاناً..

وإن سقاها بالشرِّ فسَدتْ وأفسدتْ أرضه!..

اسقها بالخير وحافظ عليها كي تنمو وتنمو..

فتفوز بسعادة الدارين.

❊ ❊ ❊



الليلة ٥١٩

بقدرِ الهدفِ يعظُمُ المسيرُ

• حين ذكر الله تعالى طلب الرزق قال: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥].

وحين ذكر صلاة الجمعة قال: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]..

فالسعي أعلى مرتبة من المشي !..

وحين ذكر الجنة قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]..

والمسارعة أعلى مرتبة من المشي والسعي..

وحين ذكر الله تعالى ذاته المقدسة قال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]..

والفرار أشد سرعة من السعي والمسارعة !..

اللهمَّ ألهمنا الصبر والثبات.. لنرضى بما ليس منه بُدٌّ.

وألهمنا الشجاعة والقوة.. لنغيِّر ما نستطيع تغييرَه بأيدينا..

وألهمنا الصواب والحكمة.. لنفرِّق بين هذا وذاك..

نفرّق بين ما يجب أن نرضى به.. وما يمكننا تغييره !..

• يقول **أحد الصالحين**:

ـ **ليسَ رُجولةً**.. أن تقفَ.. وليسَ على كتفيكَ أثقال..

وأن تمشيَ.. وليسَ في قدميكَ أغلال..

وأن تتقدَّمَ.. وليسَ في دَرْبكَ عَقبات..

وأن تبتسمَ.. وليسَ في قلبكَ هُموم..

وأن تَثبُتَ.. وليسَ أمامَكَ خُصوم..

ـ إنَّمـا **الرجولةُ الحقّة:**

أن تقفَ منتصبَ القامةِ.. ولو جَثَمَتْ على كتفيكَ الجبال..

وأن تمشيَ.. ولو أثقلتْ قدميكَ الأغلال..

وأن تبتسمَ.. ولو أَتْرَعَتْ قلبَكَ الهُموم..

وأن تحتفظَ بنورِ الأملِ.. عندما تُطْبِقُ الظلمات..

- ويقول **الشيخ الغزالي** رَحِمَهُ اللهُ:

«إن الرجولات الضخمة لا ُتعرف إلا في ميدان الجرأة..

ويظل المجد والنجاح أحلاماً لذيذة في نفوس أصحابها..

ولا تتحوّل إلى حقائق حية إلا إذا نفخ فيها العاملون من روحهم»..

* * *



الليلة ٥٢٠

ما لم تَقُلْهُ أمي

• **ما لم تقله أمي:**

يعجبني دخولكم عليّ وفي أيديكم ما يشعرني باهتمامكم ولو كان بسيطاً!..

• **ما لم تقله أمي:**

يحزنني انشغالكم بهواتفكم عني فلا تراعون جهلي بهذه الأمور.. أشعر وكأني طفلة بينكم لا أفقه من الأمر شيئاً..

وسبحان الله ما أقسى قلوبكم عليّ عندما لا تعيرونني أدنى انتباه!..

• **ما لم تقله أمي:**

يبدو أنكم جئتم للحديث فيما بينكم وليس لي نصيب من الحديث معكم.. فلا يعجبكم حديثي!.

• **ما لم تقله أمي:**

كم يسعدني أن تشعروني بشكركم لي على ما قدمت؟..

وأنكم عرفتم مقدار التعب الذي تعبته حين أصبحت لكم بيوت وأبناء؟..

• **ما لم تقله أمي:**

لا تلوموني على كثرة السؤال والبحث عنكم.. مثلما تبحثون وتسألون عن أبنائكم..

فأنتم لا زلتم أولادي.. وقلبي يعتصر شوقاً لاحتضانكم..

• **ما لم تقله أمي:**

لست بحاجة إلى توجيهاتكم وكأني طفلة لا تحسن التصرف..

«افعلي هذا يا أمي» و«لا تفعلي هذا»..

فقد بلغتُ من الكبر عتيّاً وأنا بحاجة إلى برّكم وتلطفكم معي..

• **ما لم تقله أمي:**

قد كنتُ خادمة لكم في الصغر.. أفلا أستحق جزءاً من أموالكم شهريّاً..

فكم ستدخلون عليّ من السرور إن قطفتُ ثمرات ما زرعت..

وسترون البركة في أموالكم وأولادكم..

• **ما لم تقله أمي:**

أفرحُ كثيراً بزيارتكم المفاجئة لي في أي وقت.. وخاصة عندما أكون وحيدة في البيت..

• **ما لم تقله أمي:**

سيأتي يوم تدخلون عليَّ بيتي ولا تجدونني..

تقبّلوا نصيحتي يا أبنائي.. فمهما قسوتُ عليكم فأنا أحبكم..

وتقبّلوا كلمات والدتكم التي ترى جمال الدنيا في سعادتكم..

* * *



الليلة ٥٢١

أنت والآخر

من الناس من يتجاهل إساءة الآخر إليه..

ليس عجزاً عن ردّها..

• **ولكنه عرف قدر المُسيء فتجاهله !..**

وعندما تحترم الآخرين وتتجاهل أخطاءهم..

عندما تنصت إلى كلامهم الجارح دون أن تردّ عليهم بالمثل..

فهذا لا يعني أنهم يمتلكون الهيبة وقوة الشخصية.. أو أنك ضعيف..

ولكن احترامك للغير يعني بالدرجة الأولى احترامك لنفسك..

وحينما تبتسم لهـم وتسألهم عن حالهم.. وتمد يديك لمصافحتهم بعد إساءتهم لك..

فهذا لايعني أن الحياة لا تسير من دونهم.. بل يعني شيئاً واحداً..

أن الله قد وهبك نعمة عظيمة تستحق الشكر.. ألا وهي حسن الخلق..

• **وعرف قدر نفسه فترفَّعَ بها عن كل ما لا يليق..**

تريّث قبل أن تبدي مشاعرك من كوارث البشر..

فقد يمحون كل تاريخك الجميل..

بسبب موقف لم يعجبهم..

فكن من عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاماً..

ولا تَترك أو تتجاهل شخصاً يُحب الحَديث مَعَكَ..

فأنَت لا تَعلم مَن أنت عندَه..

قَد تَكونَ الوَحيد الذي تَبقَّى له..

أو كل شيء بالنسبة له!..

• وكلنا نخطئ! لكن الناس نوعان:

فمنهم من يخطئ ويتأسف..

ومنهم من يخطئ ويتفلسف..

وعندما تخطئ مع الله تذكر قول الحبيب المصطفى ﷺ:

«كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ: التَّوَّابونَ»[1].

• يقول **شكسبير:**

تحبني أو تكرهني..!جميعها مفضّلة لديّ!..

فإن كنت تحبني.. فسوف أكون دائماً في قلبك..

وإن كنت تكرهني.. فسوف أكون دائماً في بالك!..

* * *

(١) صحيح الترمذي: ٢٤٩٩.



الليلة ٥٢٢

النصائحُ الثلاث!

• اصطاد صيادٌ عصفورة فقالت له: ماذا تريد أن تصنع بي؟.

فقال: أذبحك وآكلكِ.

قالت له: والله.. إني لا أُسمن ولا أُغني من جوع..

فاتركني.. وأنا أنصحك ثلاث نصائح.. هي خير لك من أكلي..

أقول لك الأولى وأنا على يدك..

وأنصحك الثانية إذا هبطتُ على الشجرة..

أما الثالثة فحين أحلّق في الجو..

فكّر الصياد فيما قالته العصفورة، ثم قال:

موافق، هاتي ما عندكِ..

فقالت وهي على يده: «**لا تأسفنّ على ما فات**».

فتركها تطير..

ولما حطّت على الشجرة قالت: «**لا تصدّق المستحيل**»..

ثم تابعتْ كلامها هازئة: أيها الصياد! لو ذبحْتني لوجدتَ في حوصلتي جوهرة.. وزنها مئة غرام.

فلما سمع كلامها عض على شفتيه.. وندم على إطلاق سراحها..

ولكنه قال متحسراً: هاتي الثالثة.

نظرتْ إليه العصفورة وقد أحسّت بما يعانيه من حسرة وألم.. وقالت: وكيف تنتفعْ بالثالثة ولم تستفد من النصيحتين السابقتين؟!..

فقال لها: وكيف ذلك؟.

قالت: ألم أقل لك: «لا تأسفنّ على ما فات»؟!.

وقد أسفتَ على إطلاقي..

وقلت لك: «لا تصدّق المستحيل».

وقد صدّقتَ أن في حوصلتي جوهرة وزنها مئة غرام!..

والله لو وزنتَ عظامي ولحمي وريشي.. لم يبلغ كل ذلك مئة غرام.. فكيف صدقت المستحيل؟!..

أطلقت العصفورة جناحيها للريح.. وطارت تاركة الرجل في حسرة وندم!..

• يقول القائد **صلاح الدين الأيوبي**:

«لا يوجد ما يستحق الندم.. غير ما يضيع من العمر فى هذا الندم!»..

وقد كسر **الكُسَعِيُّ** قوسه فندم..

وطلّق **الفرزدق** امرأته فندم..

فحذار أن تفعل ما تندم عليه..

وهل في الدنيا كلها أرضٌ ينفع فيها الندم؟!..

* * *



الليلة ٥٢٣

مسكين ابن آدم!..

• يصاب باليوم والليلة بثلاث مصائب.. فلا يتعظ بمصيبة منها !:

ـ المصيبة الأولى:

يتناقص عمره كل يوم..

ولا يأبهُ لنقص تلك الأيام..

أما إذا نقص شيء من ماله.. فلا يهدأ له بال ولا ينام..

والمال يعوّض.. والعمر لا يعوّض!...

ـ المصيبة الثانية:

يأكل كل يوم من رزق الله..

ومن الناس من لا يأبه.. أحلال هو أم حرام؟!..

فإن كان حلالاً سُئِل عنه..

وإن كان حراماً عوقب عليه..

ولا يدري عاقبة الحساب !..

ـ المصيبة الثالثة:

في كل يوم يدنو من الآخرة قدْراً..

ويبتعد عن الدنيا قدراً..

ومع هذا.. لا يهتم بالآخرة الباقية..

بقدر اهتمامه بالدنيا الفانية..

ولا يدري أمصيره إلى جنة عالية..

أم إلى نار هاوية !..

• ونحن البشر نفكر فيما لا نملك..

ولا نشكر الله على ما نملك..

وننظر إلى الجانب المظلم في حياتنا..

ولا ننظر إلى الجانب المشرق..

يقول د. **مصطفى محمود**:

«أخطر الأصنام هي الأصنام المجردة..

أن تتخذ نفسك صنماً..

أن تعبد رأيك وهواك ومصلحتك..

فلا يشغلك إلا نفسك..

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]».

* * *



الليلة ٥٢٤

لماذا كلُّ هذا الهمِّ؟!

• «سأل رجل مهموم حكيماً فقال:

أيها الحكيم لقد أتيتُك وما لي حيلة مما أنا فيه من الهمّ؟.

فقال الحكيم: سأسألك سؤالين وأُريد إجابتهما..

فقال الرجل: اسأل!..

فقال الحكيم: أجئت إلى هذه الدنيا ومعك تلك المشاكل؟ قال: لا..

فقال الحكيم: هل ستترك الدنيا وتأخذ معك المشاكل؟ قال: لا..

فقال الحكيم: أمرٌ لم تأتِ به.. ولن يذهب معك... فلماذا يأخذ منك كل هذا الهم؟!.

فكن صبوراً على أمر الدنيا..

وليكن نظرك إلى السماء أطول من نظرك إلى الأرض.. يكن لك ما أردت»..

• يقول **مصطفى لطفي المنفلوطي**:

«الغد شبح مبهم.. يتراءى للناظر من مكان بعيد..

فربما كان مَلَكاً رحيماً..

وربما كان شيطاناً رجيماً..

بل ربما كان سحابة سوداء.. إذا هبت عليها ريح باردة.. حلَّلَتْ أجزاءها وفرَّقَتْ ذراتها.. فأصبحت كأنما هي عدم من الأعدام التي لم يسبقها وجود»!.

• ولا تحمل أكثر من نوع واحد من الهموم في آن واحد..

فبعض الناس يحملون ثلاثة أنواع من الهموم:

ما أصابهم في الماضي.. وما يُصيبهم الآن.. وما يتوقَّعون أن يصيبهم في المستقبل..

فكُلَّما سَرى في قلُوبكم الأنين.. أو زادتْ عليَكم أشْوَاك الحَياة..

تذكروا أنَّنا مُسَافرون علَى مَتنِ رِحلة تقلُّنا إلى الوَطنِ الحَقيقي..

تقلُّنا هُناك.. حيثُ النعيم الأبدي والسُّرور الأكبر..

حيثُ حيَاةٌ بلا موت.. ونعيم بلا تكدير..

فلا تنظر إلى الخلف..

ففيه ماضٍ يزعجك..

ولا تنظر إلى الأمام..

ففيه مستقبل يقلقك..

لكن انظر إلى الأعلى..

وادعُ ربك فهو يسمعك ويسعدك..

* * *



الليلة ٥٢٥

ادعوه.. ادعوه

• رحمة الله تغشى كلَّ من يطلبها.. وفي أي مكان..

فقد وجدها **إبراهيم** في النار..

ويوسف.. في الجب..

ويونس.. في الحوت..

وموسى.. في اليم..

والفتية.. في الكهف.

• يقول أحدهم: عجبت لهذه الأمة!.. أمرهم بالدعاء.. ووعد بالإجابة.. وليس بينهما شرط!..

فسُئل عن هذا؟.. فقال: مثل قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥] فهاهنا «شرط» [أي: البشارة مشروطة بالإيمان والعمل الصالح]..

وقوله: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] فهاهنا «شرط»..

أما قوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فليس فيه شرط.

• فالقلوب **الصادقة** التي تنبعث منها دعوات مخلصات لا يمكن أن يخيب رجاؤها..

وفي الليل أبواب السماء قد فُتحتْ..

ودعوة صادقة في جنح الظلام قد صدحت..

فإما أن تُستجاب.. أو تدفع ضرراً..

أو ترفع منزلتك في الجنان..

قال رسول الله ﷺ: «لا يُغْنِي حَذَرٌ من قَدَرٍ، والدعاءُ ينفعُ مما نزل، ومما لم يَنْزِلْ، وإنَّ البلاءَ لَيَنْزِلُ، فيَتَلَقَّاه الدعاءُ، فيَعْتَلِجانِ إلى يوم القيامةِ»[(١)].

ولله در الحاجات.. كم أخذت بأيدينا إلى الله..

بعثت الحياة في قلوبنا..

وأحيت معنى العبودية في أرواحنا.. وألهمتنا الإلحاح في الدعاء.

رأى أحد العلماء رجلاً يتردد على أحد الملوك فقال له: يا هذا تذهب إلى من يَسُدُّ دونك بابه.. ويظهر لك فقره.. ويخفي عنك غناه.. وتترك من يفتح لك بابه ويظهر لك غناه ويقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠].

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً ... وَسَلِ الذي أبْوابُه لا تُحْجَبُ

الله يَغضَبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وإذا سَأَلْتَ بُنَيَّ آدَمَ يَغْضَبُ

يقول ﷺ: «لا تعجزوا في الدُّعاءِ، فإنَّه لن يهلكَ مع الدُّعاءِ أحدٌ»[(٢)].

ويقول ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ؛ إلا أعطاه بها إحدى ثلاثٍ: إما أن يُعجِّلَ له دعوتَه، وإما أن يدَّخِرَها له في الآخرةِ، وإما أن يَصرِفَ عنه من السُّوءِ مثلَها» قالوا: إذاً نُكثِرُ. قال: «اللّٰهُ أكثرُ»[(٣)].

* * *

(١) صحيح الجامع: ٧٧٣٩.

(٢) الترغيب والترهيب: ٣٩٠/٢ وقال المنذري: إسناده صحيح أو حسن.

(٣) صحيح الترغيب: ١٦٣٣.



صلاتك.. نجاتك!

الليلة ٥٢٦

• كان أحد المعلمين يشرح المادة لطلابه الصغار، وكان مستدبراً لهم ووجهه للسبورة.. فرماه أحد الطلبة المشاغبين بالطبشور فأصابت المعلِّم في رأسه..

صرخ المعلم قائلاً: من فعل ذلك؟ من الذي رمى بالطبشور؟.

لم يجبه أحد.. فظلَّ المعلم يسأل ويتوعَّد ويتهدَّدهم بالعقاب..

أشار الطالب الفاعل على زميله الذي يجلس أمامه (وهو لا يراه)..

فأمره الأستاذ بالنهوض، وقال له: لماذا رميت الطبشورة؟.

والطالب المسكين يقول له: لم أفعل يا أستاذ.. فأخذه وذهب إلى المدير..

فقال له المدير: هيا اعترف.. لماذا فعلت ذلك مع الأستاذ؟.

والطالب المسكين يُنكر ويحلف أنه لم يرمِ الطبشور..

وهنا أمره المدير أن يفتح يده ليضربه.. فأبى الطالب وقال له: لا تقدر أن تضربني..

صعق المدير والمعلم.. كيف يقول ذلك؟! بل أستطيع..

فبكى الطالب وقال: لا.. لا تستطيع ضربي..

لأنني أولاً: مظلوم.. وثانياً: لأنني اليوم صليت الفجر في المسجد، والرسول ﷺ قال: «من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله»..

فبكى المعلم والمدير وهداهما الله.. فأصبحا يحافظان على الصلاة مع الجماعة وخصوصاً صلاة الفجر.

• فلا تستهينوا بالصلاة.. فعندما سأل أصحابُ الجنة أصحابَ النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢]؟.

كان أول ما قالوه هو: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٣]...

يقول عليه الصلاة والسلام: «**إن العبد إذا قام يصلي أُتي بذنوبه كلها فوُضعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه**»[1].

قام رسولَ اللهِ ﷺ ليلةً من الليالي فقال: «**يا عائشةُ ذَريني أتعبَّد لربي**».

قالت: واللهِ إني لَأُحبُّ قُربَك، وأحبُّ أن يسرَّك..

قالت: فقام فتطهَّر ثم قام يصلي، فلم يزلْ يبكي حتى بلَّ حِجرَه ثم بكى.. فلم يزلْ يبكي حتى بلَّ الأرضَ.. وجاء بلالٌ يُؤذِنه بالصلاةِ فلما رآه يبكي قال: يا رسولَ اللهِ تبكي وقد غفر اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبِك وما تأخَّر؟!.. قال: «**أفلا أكونُ عبداً شكوراً؟! لقد نزلتْ عليَّ الليلةَ آياتٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾** [البقرة: ١٦٤]»[2].

* * *

(١) صحيح الجامع: ١٦٧١.

(٢) السلسلة الصحيحة: ١/١٤٧.



الليلة ٥٢٧

ماذا لو كان «ستيف جوبز» مسلماً؟

• **ستيف جوبز**.. مؤسس ومدير شركة «آبل» والذي يعتبر أبا الحاسبات الشخصية والمنزلية.. وهو أول من أدخل «الفارة» على نظام الكمبيوتر الشخصي.. إضافة إلى العديد من الإنجازات والاختراعات في عالم الحاسب الآلي مثل «آيفون» و«آيبود» و«آيباد»....

تاريخ طويل وحافل لهذا الرجل الذي يعتبر أهمَّ مطوِّري الحاسوب على مستوى العالم.

• **معلومة خفيفة عن قصة شعار:**

اختار ستيف جوبز «التفاحة» رمزاً لشركته «آبل».. ويعود ذلك إلى أنه عمل في حقل تفاح في فترة من حياته.

في البداية قرر جوبز أن يكون شعار الشركة عبارة عن رسم لشجرة تفاح يجلس إسحاق نيوتن في ظلّها.. لكن بسبب صغر حجم الصورة قرر استبداله بتفاحة مقضومة، ترمز إلى ثمرة المعرفة التي قضمها آدم في الجنة.. ملوَّنة بألوان قوس قزح في إشارة إلى قدرات آبل الشاملة..

• ستيف جوبز الرجل الذي ملأ دنيا الكومبيوترات والإلكترونيات.. مات دون أن يلتقي بأبيه الحقيقي.. ولو مرة واحدة طوال أكثر من (٥٦) سنة.. مع أنهما يقيمان في بلد واحد!.

والداه الحقيقيان هما: عبد الفتاح جندلي، من أصل سوري من مدينة حمص.. ووالدته الأمريكية «جوان سيمسون».

حملت أمه عــام (١٩٥٥م) بـ «ستيف جوبز» وقــررا أن يتزوَّجا.. لكن والدها رفض لكون الأب سوريَّ الأصل !.

انفصل الأب عن الأم وابنها معاً.. وردّت الأم بالأسوأ.. فعرضت طفلها في سان فرانسيسكو على من يرغب بتبنّيه.. فتبنّاه الزوجان «بول وكلارا جوبس»!..

ونشأ ستيف جوبز مسيحيّاً ولم يلتقِ بأبيه !.

عبد الفتاح جندلــي ـ حسب ما نشرته صحيفــة (New York Post) ـ يشعر بالذنب، ونادم لأنه تخلى عن ابنه !.

ولم يرزق بأولاد غير «ستيف» وأخته التي تبنّتها عائلة أخرى وأصبحت روائية مشهورة !.

لقد خسر الأب مرتين:

ـ خسر أن يكون ابنه مسلماً.. وهو الأهم..

ـ وخسر أن يكون أباً لرجل أفاد البشرية وملأ دنيا الكومبيوترات !.

• **فإلى الذين يربّون أبناءهم في الغرب**.. احرصوا عليهم أشد الحرص.. فهم يعيشون في بيئتيــن مختلفتين: بيئة إسلامية فــي البيت.. وأخرى غربية بحتة.. فجهدكم مضاعف كان الله في عونكم..

اغرسوا فيهم اللغة العربية وتعلُّم القرآن منذ السنوات الأولى..

تواصلوا معهم بالحوار الهادئ والهادف.. وليس بالقسوة والضغط والتهديد..

استعينــوا بمحاضن تربويــة كالمساجد ودور تحفيظ القــرآن الكريم.. والنوادي الترفيهية التي يشرف عليها مسلمون..

* * *



الليلة ٥٢٨

لا تَدَعْ لليأس سبيلاً

• كان **يوسف** عليه السلام مسجوناً.. ومعه شابان آخران..

كان يوسف الأجمل والأحسن..

لكن الله أخرجهم قبله!..

وظل هو رغم كل مميزاته في السجن بضع سنين..

الأول: خرج ليصبح خادماً..

والثاني: خرج ليُقتل..

ويوسف انتظر كثيراً..

لكنه خرج ليصبح عزيز مصر !..

• فإلى كل الذين تأخَّرت أمانيهم..

وضجروا من ذلك التأخير..

نقول: ما حدث مع يوسف قد يحدث مع كل الصابرين.. فلا تجزع ولا تيئس..

يقول أحد العارفين:

«عندما يغلق اللهُ من دونك باباً تطلبه.. فلا تجزع ولا تعترض..

فلربما الخيَرة في غلْقه..

لكن ثق أن باباً آخر سيُفتح لك ينسيك همّ الأول !..

وقتها ستدرك معنى قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

• لا تيئس إذا تعثَّرَت أقدامك.. وسقطت في حفرة واسعة..

فسوف تخرج منها.. وأنت أكثر تماسكاً وقوة..

ولا تحزن إذا جاءك سهم قاتل من أقرب الناس إلى قلبك..

فسوف تجد من ينزع السهم ويعيد لك الحياة والابتسامة..

• يقول **مصطفى صادق الرافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن الله لا يُمسك عنّا فضله..

إلا حين نطلب ما ليس لنا.. أو ما لسنا له»!..

• ربي.. لا تدع اليأس يتسلل إلى قلوبنا..

فاليأس يغمض العيون..

فلا ترى الأبواب المفتوحة.. ولا الأيدي الممدودة..

ربي.. ساعدني أن أزرع الأمل في القلوب..

وأضمِّد الجراح.. وأمسح الدموع..

وأضيء الشموع في وسط الظلام..

* * *



الليلة ٥٢٩

الظُّلْم ظُلُمات

• كان الإمام **أحمد بن حنبل** مسجوناً في محنة خلق القرآن فقال:

«إن أعوان الظَّلَمة كلاب جهنم»..

سمعه الحارس الذي على باب السجن فقال له: يا إمام، هل أنا من أعوان الظَّلَمة؟.

فقال له الإمام أحمد: «لا.. أنت لست من أعوان الظلمة..

إنما أعوان الظَّلَمة مَن يخيطون لك ثوبك.. ومن يطهون لك طعامك..

ومن يساعدك في كذا وكذا..

أما أنت.. فمن الظَّلَمة أنفسهم»!..

• يقول **مارتن لوثر كينغ**: «المصيبة ليست في ظلم الأشرار، بل في صمت الأخيار».

يقول **عمر المختار**:

«إن الظلم يجعل من المظلوم بطلاً..

وأما الجريمة.. فلا بدَّ من أن يرتجف قلب صاحبها مهما حاول التظاهر بالكبرياء».

يقولون: «أظلم من الظالم من يساعد الظالم على ظلمه»..

فاللهم أَهْلِكِ الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين..

• **ذبَحوا صاحبَ رسول الله ﷺ.. تقرُّباً!.. وتعفَّفوا عن أكل تمرةِ كافرٍ تورُّعاً!..**

روى **ابن كثير** في كتابه الشهير «البداية والنهاية»:

«وكان من جملة من قتلوه ـ يعني الخوارج ـ عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ، أسروه وامرأته معه وهي حامل..

فقالوا له: من أنت؟.

قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ..

وأنتم قد روَّعْتموني !.

فقالوا: حدِّثنا ما سمعت من أبيك..

فقال: سمعتُ أبي يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«ستكون فتنةٌ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي»[1].

وبينما هو معهم إذ سقطت تمرةٌ من نخلة.. فأخذها أحدهم وألقاها في فمه..

فقال له آخر: أتأكلها بغير إذن ولا ثمن؟!..

فألقاها من فمه تورُّعاً !..

ومع ذلك أمسكوا بعبد الله بن خباب فذبحوه !..

ثم جاؤوا إلى امرأته.. فقالت: إني امرأة حبلى!.. ألا تتقون الله؟!..

فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها»!..

* * *

(١) سنن الترمذي: ٢١٩٤.



بنفسك ابْنِ مزرعة الآخرة

الليلة ٥٣٠

• يُروى أنــه كانت هناك مدينة يحكمها ملك.. وكان أهل هذه المدينة يختارون الملك بحيث يحكم فيهم سنة واحدة فقط.. يُرسَل بعدها إلى جزيرة بعيدة يكمل فيها بقية عمره.. ويختار الناس ملكاً آخر غيره..

أنهى أحد الملوك فترة حكمــه.. فألبسه الناس الملابس الغالية وأركبوه فيلاً كبيراً..

أخذوا يطوفون به في أرجاء المدينة مودِّعين له..

وكانت هذه اللحظة من أصعب لحظات الحزن والألم على الملك.. وجميع من كان قبله.. وضعوه في سفينــة قامت بنقله إلى الجزيرة البعيدة حيث يكمل فيها بقية عمره.

رجعت السفينة إلى المدينة.. وفي طريق العودة عثروا على سفينة غرقت من وقت قريب، ورأوا شابّاً متعلقاً بقطعة عائمة من الخشب..

فلما أنقذوه أخذوه إلى بلدتهم وطلبوا منه أن يكون ملكاً عليهم لسنة واحدة..

أخبره الناس بقوانيــن المدينة وأنه بعد سنة سيحمل إلى تلك الجزيرة التي تركوا فيها ذلك الملك الأخير.

بعد أيام من تولي الشاب للعرش سأل الوزراء أن يُــروه تلــك الجزيرة التي أُرسل إليها جميع الملوك السابقين..

ذهب إلى الجزيرة وقد غطَّتْها غابات كثيفــة، فسمع صوت الحيوانات المفترسة..

وهناك وجد جثث الملوك السابقين ملقاة على الأرض..

فَهِمَ الملكُ القصةَ بأنه ما أن تُرك الملوك السابقون في الجزيرة حتى أتتهم الحيوانات المتوحشة وسارعت بقتلهم والتهامهم.

عاد الملك إلى مدينته وجمع عدداً من العمال الأشداء.. أخذهم إلى الجزيرة وأمرهم بتنظيف الغابة وإزالة جثث الحيوانات والملوك السابقين..

كان يزور الجزيرة مرة في الشهر ليطلع على سير العمل..

أمر الملك العمال بزرع الحدائق في أنحاء الجزيرة.. وتربية الحيوانات المفيدة.. وبناء بيت كبير ومرسى للسفن.

ومع الأيام تحوَّلت الجزيرة إلى مكان جميل فتَّان..

كان الملك ذكيّاً يلبس الملابس البسيطة وينفق القليل على حياته في المدينة.. بينما كان يكرِّسُ أمواله في إعمار هذه الجزيرة.

اكتملت السنة وجاء دور الملك لينتقل إلى الجزيرة.. ألبسه الناس الثياب الفاخرة ووضعوه على الفيل الكبير قائلين له: وداعاً أيها الملك..

لكن الملك على غير عادة الملوك السابقين كان يضحك ويبتسم..

سأله الناس عن ذلك فأجاب: «كان من سبقني من الملوك مشغولين بمتع الحياة الدنيا أثناء فترة ملكهم.. وكنت أنا مشغولاً بالتخطيط لمستقبلي.. فأصلحتُ الجزيرة حتى أصبحت جنة صغيرة أعيش فيها بقية حياتي بسلام»!.

• فما هذه الحياة الدنيا إلا مزرعة للآخرة.. فلا تغمسوا أنفسكم في شهوات الدنيا وتنسوا الآخرة حتى ولو كنتم ملوكاً.

* * *



الليلة ٥٣١

يا قارئ القرآن

• يقول **ابن مسعــود** رضي الله عنه: من كان يحب أن يعلم أنــه يحبُّ الله.. فليعرض نفسه على القرآن.. فمن أحبَّ القرآن.. فهو يحبُّ الله.. فإنما القرآن كلام الله.

ومواعظ القرآن تُذيب الحديــد.. وفي آيات الوعيد زجر شديد.. غير أن الغافل يتلوه ولا يستفيد..

ولا خير فيمن يقرأ القــرآن ثم لا يظهر عليه أثر ذلــك في طاعته لربه وسلوكه وخلقه..

• يقول **الحسن البصري**:

«ربما يقول أحدهم: لقد قرأتُ القــرآن كله فما أسقطتُ منه حرفاً.. وقد ـ والله ـ أسقطه كله..

ما يُرى له القرآن في خلقٍ ولا عملٍ..

وحتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَس..

فوالله ما هؤلاء بالقرَّاء ولا العلماء..

فمتى كانت مثل هذا؟!..

لا كثَّر الله في الناس مثل هؤلاء»..

• يقول الشاعر مخاطباً قارئ القرآن:

اقرأ وشــنِّف «بالضحى» آذاني.. والمس شغافَ القلبِ «بالفرقانِ»..

ولسورة «الإخلاصِ» خذني أستقي.. من نبعها الصافي عظيــمَ معاني..

افتــح مغاليــقَ الفــؤادِ بآيــة «الكرسيِّ»، واجلُ العقلَ «بالرحمٰنِ»

جُل بي على آي الكتابِ، فإنني ... ترتاح نفسي في حمى القرآنِ

كم ليلةٍ أمسيتُ فيها ضائقاً ... صدري، أُقاسي حَيرتي وأُعاني

فأقوم للقرآنِ يؤنسُ وحشتي ... ويضيء ظلمةَ ليلتي وكياني

هو صاحبي، إن عزَّ خِلٌّ صادقٌ ... وسميرُ قلبي لو يضِنُّ زماني

هو منهجي، أَنْعِمْ بنهجٍ خطَّهُ ... ربُّ العباد لأمَّةِ الإيمانِ

فيهِ من الأحكام ما إن طُبِّقَت ... في هذه الدنيا سما الثقلان

نزل الأمينُ به على خيرِ الورى ... مُستفتحاً بـ «اقرأ» وخير بيانِ

طَرَقَت فؤادَ المصطفى آياتُهُ ... فصفا الجَنَانُ وقرَّت العينانِ

وسرى بمكةَ والقُرى إعجازُهُ ... فأضاء نورُ الوحيِ كلَّ مكانِ

وتلعثم البلغاءُ رغم فصاحةٍ ... كانت تُميِّزُهم على الأقرانِ

عجزوا بأن يأتوا على مرِّ العصو ... رِ.. بآيةٍ من مُحْكَمِ الإتقانِ

هذا كتابُ اللهِ خيرُ مُعَلِّمٍ ... في هذه الدنيا وخيرُ لسانِ

فتدبَّروا آياتِهِ، واستوعبوا ... أحكامَهُ، واتلوهُ كلَّ أوانِ

فهو الشِّفاءُ لكلِّ صدرٍ ضائقٍ ... والمُرتقي بكرامةِ الإنسانِ..

* * *



الليلة ٥٣٢

من درر الحكماء

• قال **لقمان الحكيم** لابنه:

يا بني جمعتُ لك حكمتي في بضع كلمات:

اعمل للدنيا بقدر ما تبقى فيها..

واعمل للآخرة بقدر ما تمكث فيها..

واعمل لله بقدر حاجتك إليه..

• وقال أحد الحكماء:

الإخوان ثلاثة:

ـ أخ كالغذاء تحتاج إليه كل وقت..

ـ وأخ كالدواء تحتاج إليه أحياناً..

ـ وأخ كالداء لا تحتاج إليه أبداً..

• وسُئل حكيم: مَنِ **القوي** من الناس؟.

قال: هو من يستطيع أن يكبت جماح نفسه.

ومَنِ **الضعيف**؟ قال: هو من تسمع صوته مدوِّياً.

ومن **العبقري**؟ قال: هو من يختلف عليه اثنان.

ومن **العادي**؟ قال: هو من يتفق عليه اثنان.

ومن **العاقل**؟ قال: هو من ينحني للعواصف.

ومن **المجنون**؟ قال: هو من يدَّعي العقل.

ومن **التافه**؟ قال: هو من يتصوَّر أنه أذكى الناس.

ومن **الثرثار**؟ قال: هو من يتحدَّث دون معنى.

ومن **الفصيح**؟ قال: هو من يوجز في حديثه.

ومن **العالِم**؟ قال: هو من تجد عنده المعرفة.

ومن **الجاهل**؟ قال: هو من يدَّعي المعرفة دون إدراك.

ومن **الكريم**؟ قال: هو من يُعطي بسخاء دون منٍّ ولا تبذير.

ومن **البخيل**؟ قال: هو من يعيش على أرزاق الآخرين.

ومن **الصادق**؟ قال: هو من يصدق أولاً مع نفسه.

ومن **الكاذب**؟ قال: هو من غرَّه الشيطان بنفسه.

ومن **الناقص**؟ قال: هو كل إنسان.

ومن **الكامل**؟ قال: الله وحده جل جلاله..

* * *



الليلة ٥٣٣

خافوا عليهم

• دخـل «**مقاتل بن سليمـان**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ علـى «**المنصور**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ يـوم بُويعَ بالخلافة..

فقال له «المنصور»: عِظني يا «مقاتل»!.

فقال: أعظُك بما رأيتُ أم بما سمعت؟.

قال: بما رأيتَ.

قال: يا أمير المؤمنين! إن **عمر بن عبـد العزيز** أنجب أحد عشر ولداً.. وترك ثمانية عشر ديناراً .. كُفّنَ بخمسـة دنانير.. واشتُريَ له قبر بأربعة دنانير، وَوزّع الباقي على أبنائه..

وهشام بن عبد الملك أنجب أحد عشر ولـداً .. وكان نصيب كلّ ولدٍ من التركة ألف ألف دينار!.

والله.. يا أمير المؤمنين:

لقد رأيتُ في يومٍ واحـدٍ أحد أبناء عمر بن عبـد العزيز يتصدق بمئة فرس للجهاد في سبيل الله..

ورأيتُ أحد أبناء هشام يتسول في الأسواق!..

وقد سأل الناس عمر بن عبد العزيز وهو على فراش الموت: ماذا تركتَ لأبنائك يا عمر؟.

قال: تركتُ لهم تقـوى الله.. فإن كانـوا صالحين.. فـالله تعالى يتولّى الصالحين..

وإن كانوا غير ذلك.. فلن أترك لهم ما يعينهم على معصية الله تعالى.

• وكثيــر من الناس يكدّ ويسعــى ليؤمّن مستقبــل أولاده.. ظنّاً منه أن وجود المال في أيديهم بعد موته أمــان لهم.. وغفل عن الأمان العظيم الذي ذكره الله في كتابه:

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

• وهذا **أبو بكر الصديــق** ﷺ حينما رافق الرسول ﷺ في هجرته إلى المدينة أخــذ (ماله كله) نصرة لدينه ولرسولــه ﷺ.. ولم يُبقِ لأولاده منه شيئاً[(١)].

وبعد هذه الحادثة بتسع سنوات يأتي أبــو بكر رضي الله عنه مرة أخرى، (بماله كله)، وقدره (أربعة آلاف درهم) ويضعها بين يدي الرسول ﷺ مساهمة منه في تجهيز جيش العسرة في معركة تبوك..

فأيــن الخوف علــى رزق الأولاد؟! وأين الإعــداد لمستقبله ومستقبل أولاده ؟!.

❋ ❋ ❋

(١) البداية والنهاية، ابن كثير: ٢/ ١٧٧.



الليلة ٥٣٤

وصية وحكمة

• في منطقة نائية في جبال الهمالايا كانت تختبئ قرية صغيرة يحكمها رجل كبيــر ذو خبرة ووقــار.. ولكن المرض كان قــد أنهكه وأحسَّ بقرب نهايته..

وكان للحاكم ولد وحيد شاب في سن الطيش والمراهقة..

وذات يوم أمر الحاكم ابنه بالحضور، وقال له: يا بني، إني أحس بقرب نهايتي.. وسأوصيك بوصية؛ هي: إن ضاقت بك الحال يوماً ما وكرهت العيش.. فاذهــب إلى المغارة المظلمة خلف القصــر وستجد بها حبلاً مربوطاً إلى السقف.. اشنق نفسك فيه لترتاح من الدنيا..

وما كاد الحاكم ينتهي من الوصية حتى أغمض عينيه ومات..

أخذ الوارث الوحيد للثروة يبعثرها ويسرف على ملذات العيش وعلى رفاق السوء.. الذين طالما حذَّره أبوه منهم!..

وبعد برهة وجــد الابن نفسه وقد نفــدت تلك الثــروة الهائلة.. وتغيَّر الحال وتركه أصحابه الذين كانوا يصاحبونه لأجل المال فقط..

حتى إن أقربهــم إلى قلبه سخر منه وقال: لــن أقرضك شيئاً وأنت من أتلف ثروته..

لم يجد الشاب ملاذاً.. ولم يعد يطيق العيش بعد العز وترف الحياة..

فما كان منه إلا أن تذكَّر وصية أبيه الحاكم..

وقال: آه يا أبتاه.. سأذهب إلى المغارة وأشنق نفسي كما أوصيتني..

وبالفعل دخل المغارة المخيفة والمظلمة.. ووجد الحبل متدلّياً من الأعلى..

فما كان منه إلا أن سالت من عينه دمعة أخيرة..

لفّ الحبل على رقبته ثم دفع بنفسه في الهواء..

وما أن تدلّى من الحبل حتى انهالت عليه النقود من السقف.. ورنين الذهب المتساقط من الأعلى يضج بالمغارة!..

سقط هو إلى الأرض.. وسقطت بجانبه ورقه كتبها له أبوه الحاكم يقول فيها: «يا بنيّ قد علمت الآن كم هي الدنيا مليئة بالأمل..

عندما تنفض الغبار عن عينيك.. وتدع رفاق السوء..

فهذه نصف ثروتي كنتُ قد خبأتها لك..

فعد إلى رشدك.. واترك الإسراف.. واترك رفقاء السوء»..

• فصديق السوء لو لم تجنِ منه إلا السمعة السيئة لكفاك سوءاً..

يقول **عمر بن الخطاب**: «وحدة المرء خير من جليس السوء».

والبعض يختار صديقه لأنه مرحٌ كثير الضحك.. يدخل على قلبه السرور.. وينسيه متاعب الحياة.. وهذا ما يبحث عنه فقط..

وحينما تنصح هذا الشاب يقف أمامك وكله ثقة في صحة اختياره.. ويجادلك ويقول: إنني شاب فاهم.. ورجل أعرف ما يسرّني وما يضرني.. وسوف آخذ من هذا الصاحب ما ينفعني وأترك منه ما يضرّني !..

ولا يعلم حقيقة الأمر أنه سوف يجرّه إليه وينساق معه.. فكم من شاب صالح ملتزم تدهورت حياته.. وانقلب رأساً على عقب.. بسبب رفقة سيئة!..

* * *



لماذا.. لماذا؟

الليلة ٥٣٥

• هل تعلم... لماذا صبر **أيوب** عليه السلام وتحمَّل الألم؟.

وهل تعلم... لماذا نزل **موسى** عليه السلام وقومه فى البحر؟.

وهل تعلم... لماذا ترك **إبراهيـم** عليه السلام **هاجر وإسماعيل** في وادٍ غير ذي زرع؟.

وهل تعلم... لماذا صبر **يعقوب** على فراق **يوسف** عليه السلام؟..

وهل تعلم... لماذا خرجت **مريم** إلى الناس بطفلها؟.

وهل تعلم... لماذا لم يخف **محمد** صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار؟.

هل تعلم لماذا؟..

ذلك لأنهم أحسنوا الظن بالله...

لأن ثقتهم بالله كانت أكبر وأشد من الخوف والحزن والألم ...

• يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي**»[١].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل قـال: أنا عند ظن عبدي بـي، إنْ ظن بي خيراً فله، وإن ظن شرّاً فله**»[٢].

والمعنى: أعاملُه على حسب ظنه بي، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر..

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح الترغيب: ٣٣٨٦.

فإذا دعوتَ الله فأحسن الظن به.

وإني لأدعــو الله حتــى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانعُه

• وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩]..

(هيّن).. كلمة تهز الكيان وتنفض الوجدان !.

تُحيي في النفس الأمل.. وتنزع عنها اليأس والإحباط !.

أن يشفيك ربك من مرضك!..

أليس عليه هيّن؟.

أن يفرج عنك كربك!..

أليس عليه هيّن؟.

أن يكفيك ما أهمك!..

أليس عليه هيّن؟.

فكيف يُحبطنا اليأس.. وتقهرنا الهموم..

ولنا ربٌّ يقول: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ ؟!..

* * *



الليلة ٥٣٦

ما حجبه اللّه عنَّا كان أعظم!

• يُحكى عن رجل خرج فـــي سفر مع ابنه إلى مدينـــة تبعد عنه قرابة اليومين..

كان معهما حمار وضعا عليه الأمتعة.. وكان الرجل دائماً يقول: ما حجبه الله عنا كان أعظم !.

وبينما هما يسيران في طريقهمـــا.. إذ كُسرت ساق الحمار في منتصف الطريق..

فقال الرجل: ما حجبه الله عنا كان أعظم !.

فأخذ كلٌّ منهما متاعه على ظهره.. وتابعا الطريق..

وبعد مدة كُسرت قـــدم الرجل.. فما عاد يقدر على حمل شيء، وأصبح يجر رجله جرّاً..

فقال: ما حجبه الله عنا كان أعظم !.

فقام الابن وحمل متاعه ومتاع أبيه على ظهره وانطلقا يكملان المسير..

وفي الطريق لدغت أفعى الابنَ فوقع على الأرض وهو يتألم..

فقال الرجل: ما حجبه الله عنا كان أعظم !.

وهنا غضب الابن وقال لأبيه: أهناك ما هو أعظم مما أصابنا ؟!..

وعندما شفي الابن أكمـــلا سيرهما ووصلا إلى المدينـــة.. فإذا بها قد أزيلت عن بكرة أبيها.. فقد جاءها زلزال أبادها بمن فيها.

فنظـــر الرجل لابنه وقال له: انظـــر يا بني.. لو لم يُصبنــا ما أصابنا في رحلتنا لَكُنَّا وصلنا في ذلك اليوم.. ولأصابنا ما هو أعظم.. وكنا مع من هلك !..

ليكن هذا منهاج حياتنا كي تستريح القلوب من التوتر والقلق.

• يقول أحد الصالحين:

«نحن نسأل الله.. فإن أعطانا.. فرحنا مرة..

وإن منعنا.. فرحنا عشر مرات..

لأن العطاء اختيارنا.. والمنع اختيار الله..

واختيار الله خيرٌ من اختيارنا»..

• والشّيء الوحِيد الذي يجعلنا أقوى كلمَا انكسرنا..

هو اليقين التَّام بأنَّ الأمر كُله بيد الله..

وأنَّ الحيَاة ستمضي مَهما حَدث..

فلا تفسد فرحتك بالقلق.. ولا عقلك بالتشاؤم..

ولا تفسد نجاحك بالغرور.. ولا تَشُبِ التفاؤل بالإحباط..

ولا تفسد يومك بالنظر إلى الأمس..

فلا شيء أعظم ولا أجمل من أن تكون مع الله في كل أحوالك..

فهو يهديك ويرضيك..

* * *



وقفات مع الأذان

الليلة ٥٣٧

• ما زلت أتأمَّل في جمال الأذان وروحانيته:

ـ «**الله أكبر**».. يبدأ بها نداء الحياة خمس مرات..

لندرك أن الله أكبر من كل شيء..

الله أكبر.. من المال الذي نجمعه..

الله أكبر.. من المظاهر التي نسعى خلفها..

الله أكبر.. من غرورنا بما آتانا.. وتفاخرنا بما حققنا..

الله أكبر.. من كل فرح وحزن..

الله أكبر.. من كل ما نواجه في الحياة من عوائق وصعوبات..

الله أكبر.. من كل شيء وفوق كل شيء..

الله أكبر.. نرددها في بداية كل أذان ونهايته..

لنعايش هذه الحقيقة.. في جوانحنا وجوارحنا..

ـ وحين نعلم أنه أكبر من كل شيء.. نجدد عهد العبودية والشهادة فنقول: «**أشهد أن لا إلٰه إلا هو**»...

ـ ثم نعود فنتذكر أعظم إنسان في الوجود **محمداً** ﷺ..

نذكر أننا سنشرب من حوضه إن كنا من أتباع سنته..

ـ ثم «**حي على الصلاة**»، «**حي على الفلاح**».. إيذان بانطلاق جولة جديدة من معركة الإنسان مع الشيطان..

فهو سيسعى جهده ليصدّ ابن آدم عن ذكر الله.. وعن الصلاة وإجابة النداء..

• فالأذان يصل إلى الجميع.. ولكن الناس يختلفون:

فمنهم منتصر ومنهم منهزم.. واحدٌ يسمعه فيدع ما كان فيه ويجيب النداء..

وآخر يصلي في بيته.. وثالث يؤخِّرها عن وقتها.. ورابع يتركها ولا يصليها..

وهكذا يستخرج الأذان ما في القلوب من إيمان.. ويكشف لكل عبد درجة إيمانه..

فالإيمان يُعْرف عند الطاعات: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ـ٢].

• «**حي على الفلاح**».. لنعلم أن الفلاح يأتي عبر صلاتنا..

فنحن ننجح حين نصلي بوعي وندرك ما نصلي..

دعوة للفلاح الذي يتحقق أولاً بالصلاة ثم بالعمل..

ثم نعود نذكر أن «**الله أكبر**» وأنه الله ولا شيء سواه..

• دقائق معدودات نعيشها كلما ارتفع فيها صوت الأذان..

نردد فيها ما يصدح به المؤذن.. فالترديد وراء المؤذن من القربات والطاعات التي غفل عنها كثير من الناس..

والرَّسُول ﷺ يقول: «**إذا سمعتم النداء فقولوا كما يقول المؤذن**»[1].

* * *

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.



الليلة ٥٣٨

أي الأشياء خير؟

• ذات يوم سُرِقَ الصَّحابي الجليل **عبد الله بن مسعود** ﷺ حين كان في السوق..

فقال له من كان معه: تعالوا نَدْعُ على السارق !..

فقال ابن مسعود: أنا صاحب المال.. أنا أدعو وأنتم تؤمِّنون على دعائي..

فأخذ يدعو: «اللهم إن كنت تعلم أن الذي سرق نقودي محتاجاً إليها فبارك له فيها !.

وإن كان غير محتاج إليها فاجعله آخر ذنب يذنبه»..

• وليس الكبير من يَراهُ الناسُ كبيراً.

بل الكبيرُ من ملأ قلوب أحبابه أدباً وخلقاً..

يقول **الإمام الشافعي**:

إن الفقيه هو الفقيه بفعله ... ليس الفقيه بنطقه ومقاله..

وكذا الرئيس هو الرئيس بخلقه ... ليس الرئيس بقومه ورجاله..

وكذا الغني هو الغني بحاله ... ليس الغني بملكه وبماله..

• قيل لحكيم: أي الأشياء خير للمرء؟.

قال: عقل يعيش به..

قيل: فإن لم يكن..

قال: فإخوان يسترون عليه..

قيل: فإن لم يكن..

قال: فمالٌ يتحبب به إلى الناس..

قيل: فإن لم يكن..

قال: فأدب يتحلَّى به..

قيل: فإن لم يكن..

قال: فصمتٌ يسلم به..

قيل: فإن لم يكن..

قال: فموت يريح منه العباد والبلاد.

• وسُئِلَ **الخَوارِزمي** عالم الرياضيات عن الإنسان فأجاب:

إذا كان الإنسان ذا أخلاق فهو = ١.

وإذا كان ذا جمال فأضف إلى الواحد صفراً = ١٠.

وإذا كان ذا مال أيضاً فأضف صفراً آخر = ١٠٠.

وإذا كان ذا حَسَبٍ ونَسَبٍ فأضف صفراً آخر = ١٠٠٠.

فإذا ذهب العدد «واحد» وهو الأخلاق..

ذهبت قيمة الإنسان.. وبقيت الأصفار التي لا قيمة لها !..

* * *



الليلة ٥٣٩

أجمل ما في حبِّ اللّه

• **أجمل ما في حب الله:**

أنك تستطيع أن تحبه بكلِّ طاقتك.. وأن تتقرَّب إليه ليل نهار..

فهو لن يملَّ منك ومن حُبِّك.. كما يفعل البشر..

بل سيعطيك أضعاف حبك حبّاً..

ولن يستغلَّ إقبالك عليه ليأخذ منك..

بل سيعطيك أكثر بكثير مما تعطي أنت..

• **أجمل ما في حب الله:**

أنك تستطيع أن تكشف أمامه ضعفك (وهو أعلم به)..

وأن تطلب منه الملجأ والسند في كل وقت..

فهو لن يستغل ضعفك ولن يتخلى عنك..

• **أجمل ما في حب الله:**

أنك تجده معك في كلِّ مكان.. وفي كل زمان..

وهو يعرف سرك وجهرك..

متى أردت أن تناجيه تجده.. فهو السميع البصير..

• **أجمل ما في حب الله:**

أنك لا تحتاج أن تخبره بما أنت فاعل.. لتثبت حبك له..

فإذا ذكرْته في نفسك أو في جمعٍ.. فهو يسمعك..
وإذا فعلت شيئاً لوجهه لا يراه أحد.. فهو يراه..
بل يعلم ما لا تعْلمه أنت عن نفسك..

• أجمل ما في حب الله:

أنه سيتسامح معك إلى أبعد الحدود.. طالما عدت إليه وطلبت السماح..
ولن يذلّك ليسامحك.. أو يحمل ضغينة تجاهك.. كما يفعل البشر.

• ولكن.. هل تريد أن يحبك الله؟:

فقد قال بعض الحكماء: «ليس الشأن أن تُحبَّ، إنما الشأن أن تُحَبَّ».

تقرّب إلى الله يحبك الله.. يقول الله تعالى في الحديث القدسي: **«...ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...»**[١].

ومن فاز بمحبة الله فقد سعد في الدنيا والآخرة...

يقول رسول الله ﷺ: **«إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إنَّ الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»**.

قال الحافظ ابن حجر: «ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله».

* * *

(١) رواه الشيخان.



الليلة ٥٤٠

أنت وأبناؤك

• **تمتَّع بأبنائك وهم صغار**.. فسوف تمر الأيام سراعاً..

ولن يبقى لك من براءتهم وطفولتهم إلا مجرد ذكريات..

لاعبهم.. مازحهم.. اضحك معهم.. كن كالطفل بينهم..

واجعل التعليم والأدب مع اللهو واللعب !..

كل هذا لا يعني سقوط الهيبة وترك التأديب..

فالعاقل يعرف كيف يوازن بين الأمور ويتقن التربية.

• **ادعُ الله لهم بسعادة الدارين**.. فتفرح بنجاحهم في الحياة.. وتسعد بدعواتهم لك بعد مماتك..

• **إذا كان طفلك يكذب**.. فأعطه الأمان ثم علّمه قيمة الصدق.. فالطفل لا يكذب إلا إذا كان خائفاً أو مُهدداً..

• **وإذا كان طفلك عنيداً**.. فلا تعانده أثناء عناده، بل امنحه مزيداً من الحبِّ والحنان.

• **وإذا كان طفلك يضرب إخوته الصغار**.. فلا تقارنه بأخيه الأصغر.. وليكن حبك لهم بالعدل.. ولا تظهر ميلان قلبك لأحد منهم على الآخر.

• **وإذا كان طفلك مدمناً للألعاب الإلكترونية**.. فتدرج معه حتى يقلل من ساعات اللعب.. وإياك أن تحرمه فجأة فيقبل عليها بشغف أكثر من قبل.

• **وإذا كان طفلك لا يصلي..** فحبّبه فـــي الله.. وأشعره أن كل النعم بما فيها النقود التي يشتري بها الألعاب والحلوى هي من عند الله.

• **وإذا كـــان طفلك سريع الغضب..** فـــلا تُعِرْه اهتمامـــاً.. ولا ترد عليه بغضب مثله.. علّمه أن يتوضأ إن غضب.. وقل له: اهدأ ثم نتفاهم.

• **وإذا كـــان طفلك ضعيـــف الشخصيـــة..** فامنحه ثقـــة وحمّله بعض المسؤوليات.. أعطِـــهِ الأمان ولا تشعره بضعـــف شخصيته.. أدخله في أندية رياضيّة فلها أثر عجيب على النفس والجسم.

• **وإذا ظهرت علـــى طفلك علامات معينة:** كعـــدم الرغبة بالدراسة.. أو صمت مفاجئ.. أو قضـــم للأظافر.. أو خوف من النـــاس.. فقد تكون بوادر اعتداء عليه.. فانتبه له..

• **وإذا أخـــذ طفلك يصرخ في محل الألعاب..** انظـــر في عينيه.. حاوره دون انفعال.. لا ترضخ لطلبه حتى لا يتعلَّم هذا الأسلوب.

• **وإذا كـــان طفلك يتأتـــئ أثناء النطـــق..** امدحه وأكثر مـــن تشجيعه.. لا تضحك على ما يقول.. واعرضـــه على اختصاصي نطق لتدريبه على حسن النطق.

• **ولو سرق ابنك مرة..** فلا تنعتْه بكلمة سارق! بل انصحه على انفراد.. دعه يُرجع مـــا أخـــذ.. وابحث عـــن الأسباب التـــي ألجأتـــه للسرقة وعالجها[١]..

* * *

(١) د. حسان شمسي باشا: كيف تربي أبناءك في هذا الزمان؟، بتصرف.



دعْهُ يركب معنا!

الليلة ٥٤١

كان هناك **رجل** مسافر في رحلة مـع **زوجته وأولاده**.. وفي طريقه قابل شخصاً واقفاً على جانب الطريق، فسأله: من أنت؟.

قال: أنا **المال**!..

فسأل الرجل زوجته وأولاده: هل ندعه يركب معنا؟.

فقالــوا جميعاً: نعم بالطبــع.. فبالمال يمكننا أن نفعــل أي شيء.. وأن نمتلك أي شيء نريده..

فركب معهم المال..

سارت السيارة حتى قابل شخصاً آخر.. فسأله الأب: من أنت؟.

فقال: أنا **السلطة والمنصب**..

فسأل الأب زوجته وأولاده: هل ندعه يركب معنا؟.

فأجابوا جميعاً بصوت واحد: نعم بالطبع.. فبالسلطة والمنصب نستطيع أن نفعل أي شيء.. وأن نمتلك أي شيء نريده..

ركب معهم السلطة والمنصب.. وانطلقت السيارة تكمل رحلتها..

قابل أشخاصاً كثيرين من كلِّ شهوات الدنيا ولذائذ الحياة..

حتى التقوا شخصاً يلبس رداء أبيضَ، فسأله الأب: من أنت؟.

قال: أنا **الدِّين**..

فقال الأب والزوجة والأولاد في صوت واحد: ليس هذا وقته..

نحن نريد الدنيا ومتاعهــا.. والدِّين سيحرمنا منهــا.. سيقيدنا بتعاليمه ويتعبنا بحدوده..

فهذا حلال وهذا حرام.. وهنا صلاة.. وهناك صيام!..

ويمكننا أن نرجع إليه بعد أن نستمتع بالدنيا وما فيها..

تركوه وسارت السيارة تكمل رحلتها.. وفجأة وجدوا على الطريق نقطة تفتيش وكلمة «قف»..

وجدوا رجلاً يشير للأب أن ينزل ويترك السيارة..

قال الرجل: انتهت الرحلة بالنسبة لك.. وعليك أن تنزل وتذهب معي.

وَجَمَ الأب في ذهول ولم ينطق..

فقال له الرجل: أنا أفتش عن «الدين».. هل معك الدين؟.

فقال الأب: لا.. تركته على بُعد مسافة قليلة.. فدعني أرجع وآتي به.

فقال: إنك لن تستطيع فعل هذا.. فالرحلة انتهت والرجوع مستحيل!.

فقال الأب: ولكن معي في السيارة المال والسلطة والمنصب والزوجة والأولاد و.. و..

فقال له الرجل: إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً.. ستترك كل هذا.. وما كان لينفعك إلا الدِّين الذى تركتَه في الطريق.. فسأله الأب: من أنت؟.

قال الرجل: أنا **الموت** الذي كنتَ غافلاً عنه ولم تحسب حسابه..

نظر الأب للسيارة.. فوجد زوجته تقود السيارة بدلاً منه..

وانطلقت السيارة تكمل رحلتها.. وفيها الأولاد والمال والسلطة.. ولم ينزل معه أحد!..

• يقول رسول الله ﷺ: «**يتبَعُ الميِّتَ ثلاثةٌ، فيرجعُ اثنان ويبقَى معه واحدٌ: يتبعُه أهلُه ومالُه وعملُه، فيرجعُ أهلُه ومالُه ويبقَى عملُه**»[1].

(١) رواه البخاري.



الليلة ٥٤٢

عذراً.. عذراً

فمحبة الله.. تجذبنا فوق كل جاذبية!..

• عذراً.. **دي كارت**! تقول: «**أنا أفكر.. إذن أنا موجود**»!.

ولم تعلم أن الإيمان بالله هو سر الوجود!..

• عذراً.. **أديسون**!.. اكتشفتَ المصباح..

ولكن.. لم تكتشف أن الله نور السموات والأرض!..

• عذراً.. **أفلاطون** (صاحب كتاب: المدينة الفاضلة)!..

فمكة المكرمة يأتيها الناس من كل فجٍّ عميق.. هي المدينة الفاضلة!..

وهذا هو المؤمن الحقيقي.. إذا تغلغل الإيمان في قلبه واستمكن..

ظهر ذلك على سلوكه كله..

فإذا تكلَّم كان واثقاً من قوله..

وإذا اشتغل كان متقناً عمله..

وحيثما اتَّجه كان واضحاً في هدفه..

قلَّما يعرف التردد إلى نفسه سبيلاً..

وقلما تزحزحه العواصف عن موقفه..

ولن تكون متديِّناً إلا بسلاح العلم..

فالله لا يُعبد بالجهل..

• يقول **محمد بن فضل**:

«ذهاب الإسلام على يد أربعة أصناف:

ـ **صنف**: لا يعملون بما يعلمون..(وهو أخطر شيء على العامّة، فإنه حُجّة عليهم في كلِّ نقيصة)..

ـ **وصنف**: يعملون بما لا يعلمون.. (وهو العابد الجاهل).

ـ **وصنف**: لا يعلمون ولا يعملون.. (وهم كالأنعام السّائمة).

ـ **وصنف**: يمنعون النّاس من التعلُّم.. (وهم نُوَّاب إبليس في الأرض)».

وأقول: نعوذ بالله أن نكون منهم !..

• وقد يبني الفيلسوف دولة في الهواء..

وقد يبني الروائي دولة تحت الماء..

أما المؤمن فينشئ شجرة من الإيمان..

أصلها ثابت.. وفرعها في السماء..

* * *



الليلة ٥٤٣

وقفة مع النفس

• يقول الإمام **أبو حامد الغزالي** في «الإحياء» (بتصرف):

الناس هلكى.. إلا العالمين..

والعالمون هلكى.. إلا العاملين..

والعاملون هلكى.. إلا المخلصين..

والمخلصون على خطر عظيم !..

فالعمل بغير نيّة.. عناء..

والنية بغير إخلاص.. رياء..

والإخلاص من غير صدق.. هباء..

• كان هناك عجوز يسير في أحد الطرقات متكئاً على عصاه..

وكانت هذه العصا من أغلى ما يملك..

فلما رآه أحد الأمراء أعجبته العصا.. فسأله إياها..

أعطى العجوزُ العصا للأمير وهو يشعر بالزهو والفخر.. وأعجبه أن يراه الناس وهو يهديها للأمير..

وبعد أن انصرف الأمير جلس العجوز يبكي..

فقيل له: ما يبكيك؟ قال: خسرت الأجر وخسرت العصا !.

• يقول **أحمد بن حرب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«عبدتُ الله خمسين سنة.. فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء:



ـ تركتُ رضا الناس حتى قدرتُ أن أتكلَّم بالحق..

ـ وتركتُ صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين..

ـ وتركتُ حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة»[١]..

• ويقول **الإمام علي** رضي الله عنه:

«مَا جَفَّتِ الدُّمُوعُ إلَّا لِقَسْوَةِ القُلُوبِ..

ومَا قَسَتِ القُلُوبُ إلَّا لِكَثْرَةِ الذُّنوبِ..».

وأضيف: وما كثرت الذنوب.. إلا استهانةً بعلّام الغيوب..

* * *

(١) سير أعلام النبلاء: ١١ / ٣٤.



الليلة ٥٤٤

من عجائب القرآن

• **من عجائب كتابة القرآن الكريم كتابة كلمة (رءا) و(رأى):**

ففي المصحف الشريف نجد كلمة (رءا) قد وردت إحدى عشرة مرة، وآخرها **ألف**..

بينما وردت كلمة (رأى) مرتين فقط، وآخرها حرف **الياء**..

وحين نتدبر الآيات التي وردت فيها كلمة (رءا) بحرف الألف.. نجد أنها كلها رؤية بصرية:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ [الأنعام: ٧٦].

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾ [يوسف: ٢٨].

ونظراً لأن الرؤية بصرية، جاءت نهاية كلمة (رءا) بالألف؛ لتدل على وجود حاجز للرؤية.. أو حدود لها.. فلا نرى إلاَّ لمسافات معينة !..

غير أنه حين يتكلم القرآن عن رؤية البصيرة النافذة أو رؤية الفؤاد.. تأتي كلمة (رأى) وقد انتهت بحرف الياء الذي يوحي بالامتداد.

وجاءت بهذا الشكل في موضعين اثنين فقط من القرآن الكريم.. خاصيْن بالرسول ﷺ.. حينما بلغ السموات العلى وسدرة المنتهى.. حيث كانت الرؤية الحقة بلا حدود.. ورأى من آيات ربه الكبرى.. وذلك فى سورة النجم.. قال تعالى:

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١].

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨].

• **ما الفرق بين السَّنَة والعام؟:**

قــال تعالــى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤].

كان من الممكن أن يقول الله تعالى: تسعمئة وخمسون سنة !.

فلماذا قال: ألف سنة إلا خمسين عاماً ؟.

إن لفظ «سنة» تُطلق على الأيام الشديدة الصعبة!..

فالله تعالى يقول: ﴿ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [يوسف: ٤٧].

ولفظ «عام» يطلق على الأيام السهلة.. أيام الرخاء والنعيم..

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ [يوسف: ٤٩].

وبذلك يكون سيدنا نوح قد لبث ألف سنة شقاء إلا خمسين عاماً..

ولهذا.. من الأفضل أن تقول: «كل عام وأنت بخير».

وليس كما يقال: «كل سنة وأنت طيب».

* * *



معلّم كشف الأسئلة

الليلة ٥٤٥

• معلم كشف أسئلة الامتحان.. ومع ذلك رسب الكثير !..

قام هذا المعلم بتوزيع الأسئلة على تلاميذه قبل الامتحان..

أخبرهم أن هذه الأسئلة سوف تأتيهم في الاختبار.. وأنها سبعة أسئلة.. ثلاثة في الفترة الأولى.. وأربعة في الفترة الثانية..

وتعهَّد لهم أن هذه هي الأسئلة المطلوبة في الامتحان.. ولن يحصل فيها تغيير أو تبديل مهما كانت الظروف !.

ولكن الطلاب مع كشف هذه الأسئلة انقسموا إلى فئتين:

فئة كذّبتْه.. وفئة صدقتْه..

والذين صدّقوه انقسموا أيضاً إلى فئتين:

فئة حفظتِ الأسئلة ووعتْها.. ففازوا في الفترة الأولى.. وهم ينتظرون الفترة الثانية..

وفئة قالت: إذا قرب الامتحان حفظناها وذاكرناها.. فأدركهم الامتحان وهم على غير استعداد له..

• **فمن هو هذا المعلم؟.**

إنه المعلم الأكبر محمد ﷺ..

حذّرنا من الامتحان.. بل وسهّل علينا الأمر فكشف لنا الأسئلة حتى نستعد له..

فكل إنســـان يُسأل سبعة أسئلة، علـــى فترتين: ثلاثة أسئلـــة في القبر.. وأربعة أسئلة يوم القيامة.

• **فأسئلة القبر ثلاثة: مَن ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟..**

أسئلة يسيرة فوق الأرض.. لكنها عسيرة تحت الأرض..

فوق الأرض.. الجواب سهل.. يعرفه الصغير قبل الكبير..

أما تحت الأرض في ظلمات القبور ووحشتها فهناك تطيش العقول..

• **ثم تأتي الأسئلة الأربعة في ذلك اليوم العظيم** فيسأل كل إنسان أربعة أسئلة..

أخبر عنها ﷺ بقوله: «**لا تـــزول قدما عبد يوم القيامـــة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شـــبابه فيم أبلاه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟**».

أسئلة عظيمة رهيبة.. سوف نُسأل عنها بين يدي الواحد القهار..

• **أسئلة مكشوفة أمام الجميع..**

ولكن السعيد من يوفق للعمل علـــى ضوئها.. ليوفق إلى حُسن الإجابة عنها.

وشتان ما بين امتحان الآخرة وامتحانات الدنيا..

فامتحان الدنيا يمكنك تدارك الرسوب فيه في فصل آخر..

أما في يوم القيامة فالخسارة ساحقة ماحقة.. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨-٩]..

* * *



الليلة ٥٤٦

الإمام الشافعي والإمام أحمد

• زار **الإمام الشافعي** رحمه الله تعالى **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله تعالى ذات يوم في داره..

وكانت للإمام أحمد ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين والأخيار.. وتود أن ترى الشافعي لتعظيم أبيها له..

فلما زارهم الشافعي فرحت البنت بذلك.. طمعاً أن ترى أفعاله وتسمع مقاله.

وبعدما تناول طعام العشاء قام الإمام أحمد إلى صلاته وذكْره..

والإمام الشافعي مستلقٍ على ظهره.. والبنت ترقبه إلى الفجر..

وفي الصباح قالت بنت الإمام أحمد لأبيها: يا أبتاه! أهذا هو الشافعي الذي كنتَ تحدثني عنه؟!.

قال: نعم يا ابنتي.

فقالت: سمعتك تعظّم الشافعي.. وما رأيت له هذه الليلة.. لا صلاة ولا ذكراً ولا ورداً!..

وقد لاحظتُ عليه ثلاثة أمور عجيبة.. قال: وما هي يا بنية؟.

قالت: إنه عندما قدّمنا له الطعام أكل كثيراً على خلاف ما سمعته عنه..

وعندما دخل الغرفة لم يقم ليصلي قيام الليل..

وعندما صلى بنا الفجر صلى من غير أن يتوضأ..

فلما طلع النهار وجلسا للحديث.. ذكر الإمام أحمد لضيفه الإمام الشافعي ما لاحظتْه ابنته..

فقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

ـ يا أبا محمـد! لقد أكلت كثيراً.. لأنني أعلـم أن طعامك من حلال.. وأنك كريم وطعام الكريم دواء.. وطعام البخيل داء.. وما أكلت لأشبع وإنما لأتداوى بطعامك..

ـ وأما أنني لم أقم الليل.. فلأنني عندما وضعتُ رأسي لأنام نظرتُ كأن أمامي الكتاب والسُّنَّة.. ففتح الله عليّ باثنتين وسبعين مسألة من علوم الفقه.. رتبْتها في منافع المسلمين.. فحال التفكُّر بها بيني وبين قيام الليل!..

ـ وأما أنني صليت بكم الفجر بغير وضوء.. فوالله ما نامت عيني حتى أجدد الوضوء.. لقد بقيت طوال الليل يقظانَ.. فصليت بكم الفجر بوضوء العشاء.. ثم ودّعه ومضى.

فقال الإمام أحمد لابنته: هـذا الذي عمله الشافعي الليلة وهو نائم (أي مستلقٍ) أفضل مما عملْته وأنا قائم!..

• مرض **الإمـام أحمد** ذات يوم ولازم الفراش.. فزاره صديقه **الإمام الشافعي**..

فلما رأى الشافعيُّ أحمدَ.. وعليه علامات المرض الشديد أصابه الحزن.. فمرض الشافعي أيضاً..

فلما علم الإمام أحمد بذلك.. تماسك نفسه.. وذهب لرؤية الشافعي في بيته..

فلما رآه الشافعي قال:

مـرض الـحـبـيـبُ فـزرْتُـهُ فمرضـتُ مـن أسفـي عليـه
شُـفـيَ الـحـبـيـبُ فـزارنـي فـشُـفـيـتُ مـن نـظـري إليه

* * *



الليلة ٥٤٧

آيات للتفكر
للشاعر إبراهيم علي بديوي

لله فـي الآفـاقِ آيـاتٌ لعلْـ ـــلَ أقلُّها هو مـا إليـه هداكا
ولعلَّ ما فـي النفس مـن آياته عَجَـبٌ عُجابٌ لو تـرى عيناكا
والكـونُ مشحـونٌ بأسـرار إذا حاولـتَ تفسيـراً لهـا أعياكـا
قلْ للطبيـبِ تخطَّفَتْه يدُ الرَّدى: يا شـافي الأمراض مَنْ أرداكا؟
قلْ للمريضِ نجا وعُوفي بعدما عجزتْ فنونُ الطب: مَنْ عافاكا؟
قلْ للصحيحِ يموتُ لا من علَّةٍ: مَنْ بالمنايا يـا صحيحُ دهاكا؟
قلْ للبصيرِ وكـان يحذر حفرة فهوى بها: من ذا الذي أهواكا؟
بلْ سائلِ الأعمـى خَطَا بين الزِّحا مِ بلا اصطدامٍ: من يقودُ خُطاكا؟
قلْ للجنين يعيـش معزولاً بلا راعٍ ومرعى: ما الـذي يرعاكا؟
قلْ للوليدِ بكـى وأجهشَ بالبكا ءِ لدى الولادة: ما الذي أبكاكا؟
وإذا تـرى الثعبانَ ينفـثُ سُمَّه فاسأله: من ذا بالسُّمومِ حشاكا؟
وأسألْه: كيف تعيش يا ثعبانُ أو تحيا وهـذا السُّمُّ يمـلأ فاكا؟
واسأل بطونَ النحلِ: كيف تقاطرتْ شَهْداً؟ وقلْ للشهد: من حلَّاكا؟
بل سائلِ اللبـنَ المصفَّى كان بَيْـ ـنَ دمٍ وفَـرْثٍ: ما الذي صفَّاكا؟
وإذا رأيتَ الحـيَّ يخرج من حنا يا ميـتٍ فاسأله: مـن أحياكا؟
وإذا ترى ابنَ السودِ أبيضَ ناصعاً فاسألْه: مِنْ أيـن البياضُ أتاكا؟
وإذا ترى ابنَ البيضِ أسودَ فاحماً فاسألْه: مـنْ ذا بالسَّواد طلاكا؟
قلْ للنبـاتِ يجفُّ بعـد تعهُّدٍ ورعايـةٍ: من بالجفـاف رماكا؟
وإذا رأيتَ النبتَ فـي الصحراء ير بو وحـده فاسألْه: مـن أرباكا؟

وإذا رأيتَ البدرَ يسري ناشــراً ... أنــوارَه فاسألْــه: مــن أسراكا؟

واسأل شعاعَ الشمسِ يدنو وهي أَبـ ... ـعدُ كلِّ شــيءٍ: ما الذي أدناكا؟

قلْ للمريرِ مــن الثمارِ: مَنِ الذي ... بالمرِّ مــن دون الثمــار غذاكا؟

وإذا رأيتَ النخــلَ مشقوقَ النَّوى ... فاسأله: من يا نخلُ شــقَّ نواكا؟

وإذا رأيــتَ النارَ شــبَّ لهيبُها ... فاسألْ لهيبَ النــار: من أوراكا؟

وإذا ترى الجبلَ الأشــمَّ مناطحاً ... قممَ السَّحاب فسلْه: من أرساكا؟

وإذا رأيتَ النهــرَ بالعذبِ الزُّلا ... لِ جرى فسله: من الَّذي أجراكا؟

وإذا رأيــتَ البحــرَ بالملحِ الأجا ... جِ طغى فسله: من الذي أطغاكا؟

وإذا رأيتَ الليــل يغشى داجياً ... فاسأله: من يا ليل حاكَ دُجاكا؟

وإذا رأيتَ الصبحَ يُسفر ضاحياً ... فاسأله: من يا صبحُ صاغَ ضُحاكا؟

هذي عجائبُ طالما أخذتْ بها ... عينــاكَ وانفتحت بهــا أذناكا!

يا أيهــا الإنسانُ مهــلاً ما الذي ... بــالله جــلَّ جلالُــه أغراكــا؟

* * *

المراجـع

١ ـ شهاب الديـن النويري: **نهايـة الأرب في فنـون الأدب**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢ ـ عبد القادر البغدادي: **خزانة الأدب**، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣ ـ ابن الجوزي: **صيد الخاطر**، دار القلم، دمشق.

٤ ـ ابن قيم الجوزية: **الفوائد**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥ ـ ابن الجوزي: **آداب الحسن البصري**، دار النوادر، دمشق.

٦ ـ ابن كثير: **البداية والنهاية**، دار ابن كثير، دمشق.

٧ ـ الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨ ـ ابن عطاء السكندري: **الحكم العطائية**، المكتبة العصرية، بيروت.

٩ ـ ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٠ ـ أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدين**، المكتبة العصرية، بيروت.

١١ ـ محمد الغزالي: **الجانب العاطفي من الإسلام**، دار القلم، دمشق.

١٢ ـ مصطفى صادق الرافعي: **وحي القلم**، دار القلم، دمشق.

١٣ ـ محمد الغزالي: **الحق المر**، دار الشروق، القاهرة.

١٤ ـ علي الطنطاوي: **من حديث النفس**، دار المنارة، جدة.



١٥ ـ د. ابراهيم الفقي: **قوة التحكم في الذات**، دار اليقين، القاهرة.

١٦ ـ محمد أبو زهرة: **ابن حنبل**، دار الفكر العربي.

١٧ ـ محمد أبو زهرة: **الشافعي**، دار الفكر العربي.

١٨ ـ د. مصطفى محمود: **الروح والجسد**، دار المعارف، القاهرة.

١٩ ـ عبد الله عبد المعطي: **فن صناعة الذكريات مع الأبناء**، دار التوزيع و النشر.

٢٠ ـ د. حسان شمسي باشا: **كيف تربي أبناءك في هذا الزمان**، دار القلم، دمشق.

٢١ ـ د. مصطفى السباعي: **هكذا علمتني الحياة**، دار الوراق للنشر.

٢٢ ـ د. مصطفى محمود: **علم نفس قرآني جديد**، أخبار اليوم، القاهرة.

٢٣ ـ عابدة المؤيد العظم: **لئلا يتمرد أولادنا**، مؤسسة الأجيال للنشر.

٢٤ ـ الإمام الشافعي: **ديوان الشافعي**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥ ـ محمد متولي الشعراوي: **خواطر الشعراوي في تفسير القرآن الكريم**.

٢٦ ـ محمود شلبي: **حياة عمر بن عبد العزيز**، دار الجيل، بيروت.

٢٧ ـ عباس محمود العقاد: **التفكير فريضة إسلامية**، منشورات المكتبة العصرية.

٢٨ ـ د. علي الصلابي: **عمر المختار**، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٩ ـ علي الطنطاوي : **قصص من التاريخ**، دار المنارة، جدة.

٣٠ ـ ابن قيم الجوزية : **الداء والدواء**، دار ابن الجوزي.

٣١ ـ ابراهيم مضواح الألمعي: **روائع الطنطاوي**، دار المنارة، جدة.

* * *

مؤلَّفات
الدكتور حسان شمسي باشا

منشورات دار القلم ـ دمشق، دار البشير ـ جدة، مكتبة السوادي ـ جدة، ودار المنارة ـ جدة:

• في أمراض القلب:

١ ـ كيف تقي نفسك من أمراض القلب (الطبعة السادسة).

٢ ـ ارتفاع ضغط الدم (الطبعة الرابعة).

٣ ـ الدهون.. والكولسترول.. والقلب (الطبعة السادسة).

٤ ـ قلبك بين الصحة والمرض (الطبعة الثانية).

٥ ـ دليلك إلى عمليات القلب الجراحية، بالاشتراك مع الدكتور عبد الله عشميق والدكتور وليد أبو خضير (الطبعة الثالثة).

٦ ـ دليلك إلى القسطرة القلبية، بالاشتراك مع الدكتور خالد الشيبي والدكتور وقار حبيب (الطبعة الثالثة).

٧ ـ دليلك إلى كهربائية القلب، بالاشتراك مع الدكتور رائد سويدان والدكتور فائز بخاري (الطبعة الثانية).

٨ ـ الوقاية من أمراض القلب، بالاشتراك مع البروفسور منصور النزهة (كتيب المجلة العربية، العدد الخامس والثلاثون، فبراير ٢٠٠٠ م).

٩ ـ الوقاية من الحمى الروماتيزمية.

١٠ ـ الوقاية من أمراض شرايين القلب التاجية.

• **في الصحة العامة:**

١ ـ وصايا طبيب (الطبعة الرابعة).

٢ ـ الثقافة الصحية متعة الحياة.

٣ ـ شبابك كيف تحافظ عليه.

٤ ـ صحتك بين الحقائق والأوهام.

٥ ـ كيف تتخلص من الصداع؟ (الطبعة الثانية).

٦ ـ كيف تتخلص من الإمساك؟ (الطبعة الثانية).

٧ ـ أطباء الغرب يحذرون من شرب الخمر.

٨ ـ القهوة والشاي: فوائدها وأضرارها (الطبعة الثالثة).

٩ ـ الميلاتونين: هل هو الدواء السحري؟.

١٠ ـ القشرة والصلع والشيب والحناء.

١١ ـ حذار حذار من هذه الكتب.

• **في الطب النبوي:**

١ ـ قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة (الطبعة الثالثة).

٢ ـ زيت الزيتون بين الطب والقرآن (الطبعة الرابعة).

٣ ـ الأسرار الطبية الحديثة في السمك والحوت (الطبعة الثالثة).

٤ ـ النوم والأرق والأحلام.. بين الطب والقرآن (الطبعة الثالثة).



٥ ـ الأسودان: التمر والماء (الطبعة الرابعة).

٦ ـ الإعجاز الطبي في القرآن والسُّنَّة (كتيب المجلة العربية).

٧ ـ معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي (الطبعة السابعة).

٨ ـ الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث (الطبعة السابعة).

٩ ـ الأسرار الطبية الحديثة في الثوم والبصل (الطبعة الرابعة).

١٠ ـ الرضاعة من لبن الأم (الطبعة الثانية).

١١ ـ أسرار الختان تتجلى في الطب الحديث (الطبعة الثانية).

١٢ ـ الطب النبوي بين العلم والإعجاز (الطبعة الثانية).

• **قضايا طبية فقهية:**

١ ـ الدليل الطبي والفقهي للمريض في شهر الصيام.

٢ ـ الصوم بين الفقه والطب، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار.

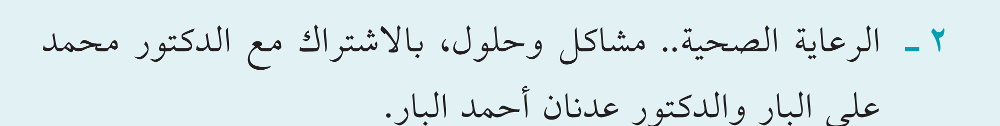
٣ ـ صحتك في الحج والعمرة (الطبعة الثالثة).

٤ ـ صوموا تصحوا (الطبعة الثالثة).

٥ ـ رمضان بين يديك (بالاشتراك مع عدد من المؤلفين)، دار العلوم، عمان.

• **أخلاقيات الطب:**

١ ـ مسؤولية الطبيب بين الفقه والقانون (الطبعة الثانية)، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار.



٢ ـ الرعاية الصحية.. مشاكل وحلول، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار والدكتور عدنان أحمد البار.

٣ ـ أخلاقيات البحوث الطبية، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار.

٤ ـ موسوعة أخلاقيات مهنة الطب، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار والدكتور عدنان أحمد البار.

• في الأدب والتاريخ:

١ ـ هكذا كانوا يوم كنا (الطبعة الثانية).

٢ ـ الداء والدواء بين الأطباء والأدباء (الطبعة الثانية).

• في التربية والسلوك:

١ ـ أسعد نفسك وأسعد الآخرين (الطبعة السابعة عشرة).

٢ ـ كيف تربي أبناءك في هذا الزمان (الطبعة الثامنة عشرة).

٣ ـ همسة في أذن شاب (الطبعة العشرون).

٤ ـ همسة في أذن فتاة (الطبعة الحادية والعشرون).

• سلسلة ألف ليلة وليلة للأسرة السعيدة:

١ ـ سهرة عائلية في رياض الجنة (الطبعة الخامسة).

٢ ـ عندما يحلو المساء (الطبعة الرابعة).

٣ ـ قلوب تهوى العطاء.

٤ ـ همسة في أذن زوجين.



• كتب باللغة الإنجليزية:

1 - Hope heart care handbook Manchester Free press, Manchester, 1987.

2 - Handbook of coronary care Blackwell Scientific is Publication 1990 London.

3 - Patient’s Guide to heart disease. Dar Al - Manara , Jeddah 1997.

4 - Contemporary bioethics: Islamic Perspective (with Dr Mohammed Ali Albar).

* * *





صدر للمؤلف

الدكتور حسان شمسي باشا

عندما يحلو
المساء

دار القلم
دمشق


الدكتور حسان شمسي باشا
همسة
في أذن فتاة
دار القلم
دمشق



الدكتور حسان شمسي باشا

همسة

في أذنِ شابٍّ

دار القلم
دمشق



الدكتور حسان شمسي باشا

أسعد نفسك وأسعد الآخرين

دار القلم
دمشق



كيف تربي

أبناءك

في هذا الزمان؟

الدكتور حسان شمسي باشا

دار القلم

دمشق


الدكتور حسان شمسي باشا
سَهرة عائليّة
في رياض الجنة
دار القلم
دمشق